

# الشر

بلاد

دكتورة زبيدة عطا

في  
العصور الوسطى

بمزنطة وسلاجقة الروم  
والعثمانيون



منشور الطبع والنشر  
دار الفكر العربي



وكتوبة نيرة خطها

# البرك في العصور الوسطى

بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون

ملغز من الطبعة والنشر  
دار الفكر العربي



## مقدمة

الترك أحد الشعوب الرعوية التي عاشت في أواسط آسيا وقدر لها أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ العالم ، ورغم أن أول ظهور لإسم الترك يعود إلى القرن السادس الميلادي حيث كونوا أول إمبراطورية لهم والتي ورد ذكرها في وثائق بينظلة في القرن السادس ، فإن بينظلة عرفت في فترة سابقة عددا من القبائل تندرج تحت الجنس التركي كالبغار والخزر والفججاق والبورداس والماجيار .

ولقد بدأ إنتشار الترك وتوسعهم في جميع الاتجاهات بعد لإنهيار إمبراطوريتهم في منتصف القرن السابع فاتجهت قبائلهم إلى وجهات عدة بعضها اتجهت إلى أراضي بينظلة والبعض إلى الأراضي الخاضعة للدولة الإسلامية .

واقدر تناول عددا من المؤلفات الإسلامية في العصور الوسطى بعض تلك الشعوب التركية التي دخلت إلى الحدود الإسلامية وأقامت دولاً تركية إسلامية كالسلاجقة والغزنويين والسامانيين فكتب عنهم البيهقي والرشخي والبنداري والراودي ولكن الفترة التي لم تستوف حقها من الدراسة هي الفترة السابقة لدخول تلك الشعوب فضاء العالم الإسلامي ، ولم تتناولها إلا مؤلفات قليلة ككتاب قسطنطين بورجينيوس عن إدارة الدولة .

فهذا ذكر القبائل التي أحاضت بالإمبراطورية وأجناسها ومعلومات عن حياتها الأولى ، وهناك عدد من مؤلفات الرحالة والجغرافيين المسلمين ولكنها ترجع أيضاً كما يرجع كتاب قسطنطين إلى فترة القرن العاشر الميلادي أو قبله بقليل كاللخمي وابن حوقل والأصطخري وإن كان يؤخذ عليها أنها لا تحدد تحديداً دقيقاً أما كتبهم أو فئاتهم. أما أقدم النقوش التركية

فكان نقش آرخون الذى أورد بعض المعلومات عن إمبراطورية الترك الأولى.

ولما كان من الصعب القيام بدراسة شاملة لكل الشعوب والقبائل التركية فأتى جعلت دراسة قاصرة على دولتين تركيتين تنتميان إلى قبيلة الغز وهما سلاجقة الروم ودولة العثمانيين إلى سقوط القسطنطينية ، وكلا الدولتين قامت على أراضي بزنطة في آسيا الصغرى حيث توجد أهم ولايات الدولة ، ويستمد منها المدد البشرى من خيرة جند الإمبراطورية ومن مدها خرج عدد من أباطرة بزنطة ، وفي مدينة نيقية التى اتخذها السلاجقة عاصمة لهم فترة ، عقدت أول المجامع الدينية المسيحية .

ولقد استطاع سليمان بن قتلش في القرن الحادى عشر الميلادى اقتطاع آسيا الصغرى من جسم الإمبراطورية وأقام عليها مملكة كانت أطول ممالك السلاجقة عمراً فقد استمرت للقرن الثالث عشر ولم يقض عليها إلا المغول بعد معركة ابلستين ، ولكن على انقاضها قامت عدد من أمارات الغزاة قدر لأحدها وهى أماره عثمان أن تكون دولة تركية جديدة لم تكتف بالسيطرة على القطاع الآسيوى فى الإمبراطورية بل سيطرت على البلقان وامتد نفوذها إلى الجانب الأوروبى ولم يبق لأباطرة بزنطة إلا عاصمتهم القسطنطينية التى ما لبثت أن سقطت تحت سيطرة العثمانيين ١٤٥٣ م ودخلتها جيوش محمد الثانى أو الفاتح كما اشتهر فى التاريخ ليحول مدينة قسطنطين إلى مدينة إسلامية .

ولقد قسمت الدراسة إلى تسع أبواب فأوردت الباب الأول ، للحديث عن العلاقات البيزنطية التركية إلى القرن الحادى عشر ، فذكرت ما أحاط ببزنطة من أخطار على حدودها وخاصة فى منطقة البلقان والبحر الأسود وإن أغلب القبائل التى هددتها آنذاك كانت ترجع إلى أصل تركى كالبلغار والقفجاق والغز والماجيار ، وحددت الأماكن الجغرافية لتلك القبائل

ثم عرضت لقيام الإمبراطورية التركية والقصص المختلفة التي وردت حول أصل الترك وقبائلهم . وما ترتب على إنبهار تلك الدولة من هجرة القبائل التركية وإنتشارها وإتجاه جزء إلى أراضى بيزنطة حيث دخل فى صراع أو تحالف معها، وإتجاه جزء آخر إلى أراضى الدولة الإسلامية .

أما الفصل الثانى وكان عن ذلك الفرع من القبائل الغزية الذى إتجه إلى الأراضى الإسلامية ، وعن إنتشار الإسلام بين القبائل التركية فى بلاد ما وراء النهر والذى تم عن طريقين طريق الغزو الحربى وطريق التغلغل السلمى ، متخذاً عدة مظاهر كالتبشير والمدارس الإسلامية ، ولقد كان للسامانيون دوراً كبيراً فى إعتناق عدد من قبائل الترك الإسلام ومن أهم تلك القبائل السلاجقة الذين اعتنقوا الإسلام على المذهب السنى واستطاعوا خلال فترة بسيطة الانتصار على الغزنويين ثم دخول أراضى الخلافة بل السيطرة على الخلافة نفسها بعد قضائهم على البويهيين ، وبوصفهم سنيين متحمسين كان عليهم إعلان الجهاد المقدس ضد أعداء الدولة وأولهم دولة بيزنطة المسيحية ، وفى معركة مانزكرت إنهزمت بيزنطة وأسر إمبراطورها وترتب على تلك المعركة اثبال الترك فى آسيا الصغرى . ولقد تعددت مصادر هذا الفصل بين إسلامية وبيزنطية فمن السلاجقة كتب الراوندى الرشخى البيهقى البخندارى وعن مانزكرت كتب ميخائيل بليوم وآنا كومنين .

أما الفصل الثالث فقد عرضت فيه لقيام مملكة سلاجقة الروم على أيدى أحد الأمراء التأثيرى على الب أرسلان وهو بيلبان بن قتلش حيث استطاع إقابة مملكة فى آسيا الصغرى إعتياداً على إنبهار قوة بيزنطة بعد مانزكرت ولقد استغل سليمان الصراع بين الأباطرة والقادة البيزنطيين لكسب أراضى جديدة على حساب بيزنطة ولقد استمرت الدولة بعد سليمان فى

توسعها وخاصة في عهد خليفته قلعج أرسلان مما اضطر الإمبراطور الكيسوس للإستنجاد بالغرب وخير مصادر تلك الفترة أنا كومنين .

والفصل الرابع عرضت فيه لموقف السلاجقة وبيزنطة تجاه الحملات الصليبية ورغم نجاح الحملة الصليبية الأولى في إقتطاع غالبية آسيا الصغرى فإنها لم تقض على الوجود التركي هناك بل نمت بذور الخلاف بين الصليبيين والبيزنطيين . وهذه الفترة نجد أن مصادرهما تشمل مؤلفات يونانية وإسلامية ولاتينية وفي مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية نجد وصفاً دقيقاً للعلاقات بين الأطراف البيزنطية والسلجوقية واللاتينية الغربية أثناء الحملات الصليبية .

أما الفصل الخامس فهو عن عصر القمة في التاريخ السلجوقي حيث استطاع الأتراك جمع شتاتهم وإلحاق الهزيمة ببيزنطة في ميروكيفالون وهذه الهزيمة لا تقل عن ما ذكرت وإن كانت أبعد أثراً فقد إنحصر نفوذ بيزنطة في آسيا الصغرى . ولقد اكتملت للدولة السلجوقية في تلك الفترة مقوماتها السياسية والحضارية ، وهذه الفترة تعاصر عهدي كل من عز الدين كيكاوس وقلج أرسلان ، ولقد ساعد سلاطينها على الاهتمام بأمورهم الداخلية لإنهاء بيزنطة وتمزقها عقب الحملة الصليبية الرابعة وإقسامها لممالك عدة ولقد هربت البقايا اليونانية إلى آسيا الصغرى حيث أقاموا عدداً من الممالك اليونانية هناك كمملكة نيقية وأمارة طرابزون . وأهم مؤرخي تلك الفترة روبرت كلاري وفيلهارودين من اللاتين ، ونيكتاس حونتيس من اليونان .

والفصل السادس يتعرض لإنهاء الدولة السلجوقية على يد المغول وتحولهم إلى أمارة صغيرة تابعة للإمبراطورية المغول عقب معركة أبلستين ويعدرشيد الدين الحمذاني ويبرس الدوادار من أفضل مصادر تلك الفترة



أما الفصل من السابح إلى التاسع فتتناول تاريخ العثمانيين، فقد عرضت لإمارات الفزاة التي قامت على أنقاض الدولة السلجوقية وأهمها أمارّة عثمان، ثم ناقشت التخصّص التي وردت عن أصل العثمانيين، ثم سيطرتهم على القبائل الخزوية وتوسّعهم على حساب بيزنطة في آسيا الصغرى، ثم الجانب الأوربي اعتماداً على إغيار أوضاع الدولة البيزنطية منذ عهد أندرونيكوس الثاني حتى أصبح السؤال المثار هل تستقط بيزنطة في أيدي العثمانيين أم على يد قوة غربية. ولقد حاول حكّامها محاولات يائسة للاستنجاد بالغرب ولكن لم يلق نداؤهم اذناً صاغية رغم محاولتهم لكسب البابوية وإعلان الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية.

وفي الفصل العاشر والأخير عرضت لأحوال الدولة العثمانية والإمبراطورية البيزنطية خلال تولية محمد الثاني وكيف أصبحت القسطنطينية الفاصل بين أملاك السلطان في آسيا وأوروبا، ولقد تعرضت المدينة للحصار عدة مرات كان آخرها في عهد محمد الفاتح وانتهى بسقوطها في أيدي السلطان ونحوها المدينة الإسلامية. وكتب عدد من المؤرخين بيزنطيين عن مراحل ذلك الصراع منهم حنا كمتاكوزنيوس وفرانتيز وكريستفولوس الذي أوردت ملحقاً بمقتطفات من مؤلفه عن سقوط القسطنطينية التي كان معاصراً لأحداثها.

وفي النهاية أرجو أن أكون أوفيت الموضوع حقه في الدراسة.

د. زيده عطا



## فهرس الموضوعات

### المقدمة

#### الفصل الأول

بيزنطة والترك إلى القرن الحادى عشر ٣٦ - ١

بيزنطة والقبائل المتبردة إلى القرن السادس — القبائل التركية  
الأصل التى دخلت إلى حدود الإمبراطورية ومواقعها الجغرافية —  
امبراطورية الترك الأولى — انهيار الامبراطورية وتفرق القبائل —  
بيزنطة والخزر — البجناك — الماچيار — القفجاق — الغز .

#### الفصل الثانى

الترك فى آسيا الصغرى ٥٣ - ٢٦

أولا : الترك والإسلام — اتجاه القبائل الغزية إلى الحدود  
الإسلامية — الفتوح الإسلامية لبلاد ما وراء النهر — التغفل  
السلى — التبشير — المدارس — دور السامانيين — أول الدول  
التركية الإسلامية ( القراخانية ) .

ثانيا : السلاجقة — أصلهم — علاقاتهم بالغزنويين — دخولهم  
بغداد — توسعهم فى آسيا الصغرى — معركة مانزكرت .

#### الفصل الثالث

سلاجقة الروم ٥٣ - ٦٨

سليمان بن قتلش وتكوين المملكة السلجوقية فى آسيا الصغرى  
— السلاجقة والصراع البيزنطى على العرش — دولة السلاجقة  
بعد سليمان — الكيوس كومنين وآسيا الصغرى

## الفصل الرابع

٩٨ - ٥٨ سلاجقة الروم والبيروية الصليبية

الحرب الصليبية الأولى - استعجاد الكسيريوس بالغرب -  
موقعة السلاجقة حملة الشعوب - الصليبيون والسلاجقة - موقعة  
ضبرليوم - الخلاف بين بيننطة والصليبيين - السلاجقة وحملة ١١٠١ م  
آسيا الصغرى بعد الحملة الصليبية الأولى

## الفصل الخامس

٩٩ - ١٢٨ عصر القمعة في التاريخ السلجوقي

معركة ميوس كفالينون - السلاجقة والحملة الصليبية الثالثة -  
الناكبات البيزنطية الشرقية - قسطنطينية ١٢٠٤ م  
السلاجقة والبيروية - امبراطورية نيقية - اماره طرابزون

## الفصل السادس

١٢٩ - ١٥٢ انهيار دولة سلاجقة الروم

الغزو المغولي - المغول وآسيا الصغرى - مملكة سلاجقة  
الروم كأماره تابعة للمغول - معركة ابلستين - نهاية الدولة  
السلجوقية - الامارات التركمانية في آسيا الصغرى (امارات الغزاة)

## الفصل السابع

١٥٢ - ١٦٤ العثمانيون

أصل العثمانيين - سيطرة العثمانيين على امارات الغزاة -  
توسع العثمانيين في اراضي بيننطة الآسيوية - التوسع العثماني  
في الجناح الاوربي من بيننطة - بيننطة والامبتنحاد بالغرب -  
بيننطة والبابوية

## الفصل الثامن

### استقرار العثمانيين في البلقان

١٦٤ - ١٨٧

مراد والصراع الداخلي في القسطنطينية — بايزيد وحصار  
القسطنطينية الأول — العثمانيون وممالك البلقان — الصرب — البلغار  
المجر — معركة كوسفو الأولى — العثمانيون والمغول — معركة  
انقرة — حصار القسطنطينية الثاني — التحالف الأوربي والبابوية  
— الاتحاد بين الكنيستين

## الفصل التاسع

سقوط القسطنطينية: محمد الفاتح وقسطنطين الحادي عشر ١٨٨ - ٢٠٦

تولى محمد العرش — سفارات القسطنطينية والغرب إلى السلطان  
الجديد — بناء قلعة روملي هيسار — استجداد بن نقطة بالغرب —  
الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية — الاستيلاء على  
القسطنطينية — خطة الحرب: أولا الحصار ثانيا الهجوم —  
سقوط القسطنطينية ونحوها لمدينة إسلامية .

الجدول — الملاحق — القهارس

الجدول — القهارس ٢٠٧ - ٢١٤

أولا : أباطرة الدولة البيزنطية . ثانيا : سلاطين السلاجقة  
— سلاطين السلاجقة الأوائل — سلاجقة العراق — سلاجقة  
الشام — سلطنة سلاجقة الروم .  
ثالثا : سلاطين آل عثمان إل سقوط القسطنطينية .  
رابعا : أباطرة اللاتين في القسطنطينية ،  
خامسا : أماره أيرروس

سادسا : حكام البلقار امبراطورية البلقار الاولى .

سابعا : الإمبراطورية المقدونية .

ثامنا : مملكة البلقار الثانية .

تاسعا : الصرب .

عاشر : أمراء أرمينية .

٢٢٨ — ٢١٥

#### الملاحق العربية

الملحق الأول : قلع أرسلان والحملة الصليبية الثالثة كما ورد  
في ابن شداد ( النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية )

الملحق الثاني . ذكر ما اشتملت عليه المملوك الرومية من  
البلاد الإسلامية أثناء سيطرة المغول. كما ورد في يبرس  
الدوادار ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ج ٩ ،

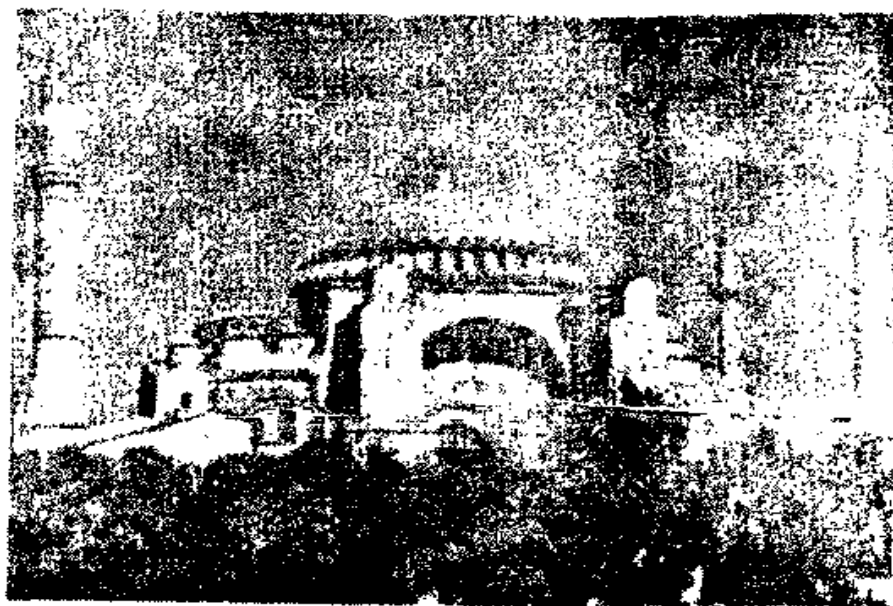
الملحق الثالث : معركة ألسند ، كما وردت في جامع التواريخ  
لرشيد الدين ابن فضل الله الحمذاني

الملحق الرابع : الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩ — ١١٩٠  
كما وردت في تاريخ أوتوسان بلاس ،

الملحق الخامس : سقوط القسطنطينية كما ورد في كتاب  
كريستفولوس ، محمد الفاتح ،



كنيسة أيا صوفيا بعد تحويلها لمسجد على يد محمد الفاتح

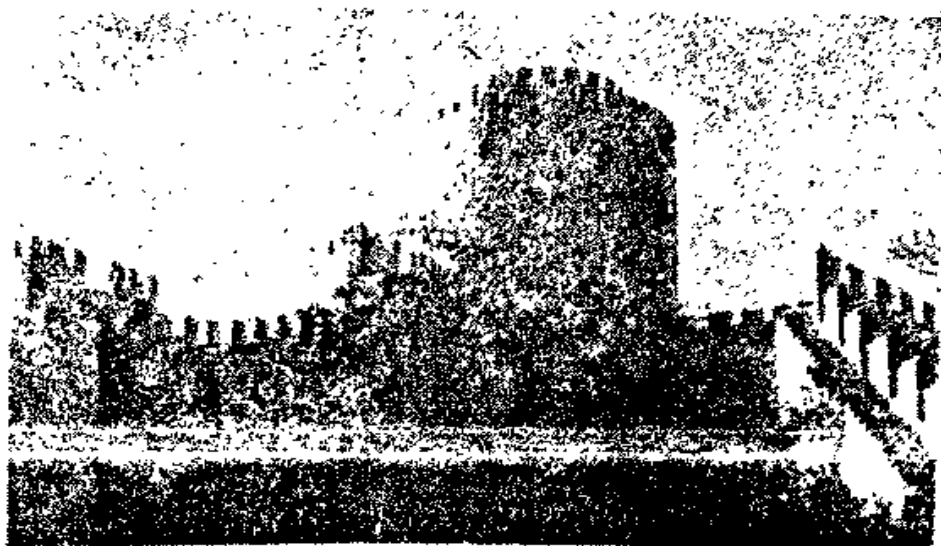


كنيسة ايا صوفيا كما تبدو سنة ٥٣٢ م



الكنيسة أثناء الحكم العثماني بعد إضافات معمارية تركية

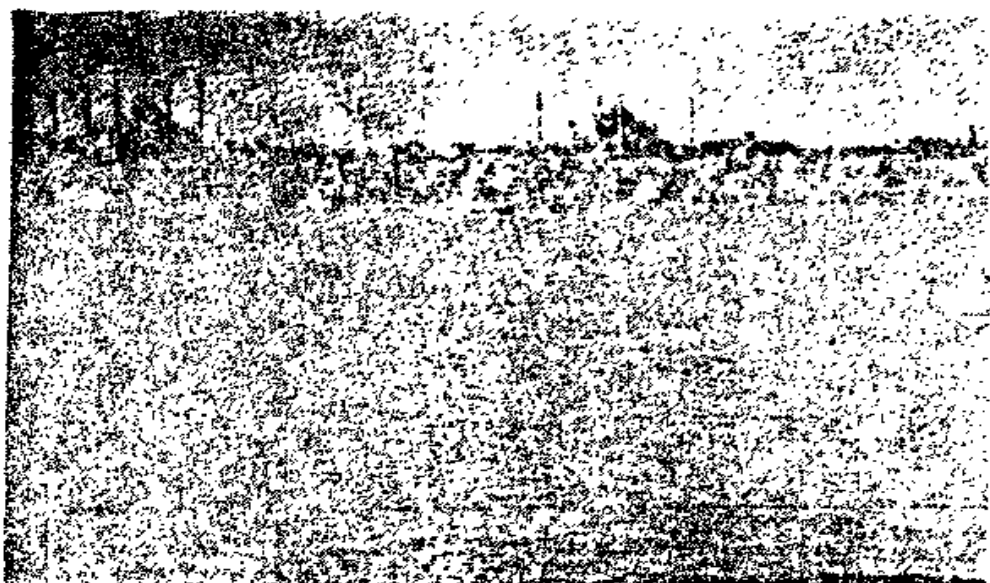




قلعة روملي هيسار التي بناها محمد الثاني ١٤٥٢



منظر لموقع القسطنطينية من البحر



القصر الإمبراطوري كما يبدو من بحر مرمرة



القرن الذهبي وقلعة غلطة ١٣٤٩ م

# الفصل الأول

بزنطة والترك إلى القرن الحادي عشر الميلادي

في عام ٣١٣ م اعترف الامبراطور قسطنطين في مرسوم ميلان بالمسيحية كديانة مصرح بها وفي ٣٢٤ ، بعد انتصاره على خصمه ليسنيوس بدأ في إنشاء عاصمته الجديدة على ضفاف البسفور والتي وصفت بسيدة الشرق. وظلت تحمل اسم منشأها لأحد عشر قرناً . واتجاه الامبراطور إلى الشرق له دوافعه، فروما تمثل حضارة وتراث الوثنية القديمة وبها كثير من مؤيدي خصمه . في حين أن الشرق به أعداد وافرة من المسيحيين إلى جانب كثافة سكانية ، وتوافر مصادر اقتصادية ، فلم يعرض الشرق لما تعرض له الغرب من غزوات الشعوب المتجبرة .

كما أن موقع القسطنطينية الفريد أكسبها مناعة وحصانة طبيعية فلم تستطع أي قوى أو جيوش معادية طوال تاريخها اقتحام المدينة التي تحرسها الآلهة إلا مرتين الأولى على يد الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤ م والثانية والأخيرة كانت جيوش محمد الثاني العثماني في ١٤٥٣ م تحولت بعدها إلى مدينة إسلامية. والمدينة على شكل مثلث غير متساوي الأضلاع يحيطها المساه من ثلاث جهات القرن الذهبي في الشمال وبحر مرمرة في الجنوب والبسفور في الشرق يحيط بحر مرمرة بشواطئ أوروبا وآسيا ، ويحيط البسفور والدرديل بوابتي القسطنطينية ومن يستطيع السيطرة عليهما يتحكم في وجهه تأتي أنطول معاد ويفتحهما في وجه السفن التجارية، ولقد مكن موقع للمدينة قسطنطين من الاحتفاظ بالولايات الشرقية حيث أن موقعها حال بين قبائل المتعبررين في البحر الأسود وبين اقتحام هذا الحاجز التاسع ، إلى جانب أن العاصمة تشكل مركزاً ممتازاً عند التقاء قارتين وتربط المواصلات بين آسيا

وأوروبا وكذلك بين البحرين الإيجيني والأسود مما جعلها مركزاً تجارياً عالمياً. ولقد أصبحت بزنطة لمدة ألف عام مركزاً للحياة عقلية وحضارية وأسهمت بنصيب وافر في التطور الحضارى والسياسى العالمى (١).

وبإنشاء القسطنطينية ظهر إلى العالم ما يعرف بالدولة البيزنطية ورغم أن تعبير بزنطة حديث يرجع إلى القرن الثامن عشر، فلقد ظلت بزنطة في نظر مواطنيها دولة رومانية فليس هناك حفاصل واضح بين الامبراطورية الرومانية القديمة وبين الامبراطورية الرومانية التي اتخذت عاصمة لها القسطنطينية في الشرق، فلقد ظلت خلال القرون الثلاث الأولى رومانية الطابع لاثينية الحضارة لها نفس الحدود السياسية للإمبراطورية الرومانية القديمة ونفس اللغة والتقاليد. ولكن ابتداء من القرن السادس بدأت تتكسب الطابع اليونانى لغة وحضارة واهتماما.

ولقد ورثت الامبراطورية الجديدة نفس الأخطار والمشاكل التي كانت تواجه الإمبراطورية الرومانية فأحاطت بها الشعوب المتعبرة من جميع الجهات، فأحاط بها البربر في غرب إفريقيا، والجنوب الشرقى كان العرب وفي الشرق الفرس وفي الشمال الشرقى من جبال أورال شعوب أسيوية كالهون والمغول والترك وداخل الحدود الآوربية وجد السلاف والكلت. وابتداء من القرن الرابع بدأت علاقة الإمبراطورية بتلك العناصر البربرية تدخل طوراً جديداً حيث دخلت معها في صراع مباشر واتخذ الهجوم شكل غزوات منظمة هدفها الاستقرار في أراضى الامبراطورية. وتعرض شطرا الإمبراطورية الشرقى والغرب للهجوم ولكن تفاوتت درجته، فإذا كان الغرب قد خضع لغزاته فإن الشرق قاوم واستطاع الصمود أمامهم.

(١) Ostrogorsky. History of the Byzantine state p41

John Hearsey, City of Constantine. p2

Millingen Van : Byzantine Constantinople

Liddet, Byzantium and Istanbul p5

والقد واجه الغرب أخطر تلك الغزوات متمثلة في الغزو الجرمانى .  
وعلاقة الإمبراطورية الرومانية بهم تعود إلى القرن الثانى الميلادى حيث  
سالمهم الأباطرة الرومان ومنح أورليان القوط ٢٧٠ - ٢٧٢ أقليم  
داشيا ، واستخدمتهم الإمبراطورية كجنود وضباط في الجيش الرومانى .  
ولكن ابتداء من عام ٣٧٥ م بدأ هجومهم يتخذ طابعاً جديداً وهو غزوة  
نظامية مكثفة بعد أن كان مجرد هجوم تقوم به جماعات وقبائل صغيرة متفرقة ،  
و استستمر هذه الغزوات لمدة قرنين من الزمان استطاع خلالها الجرمان  
الاستقرار وتكوين ممالك لهم في الجزء الغربى من الإمبراطورية .  
وفي عام ٤٧٦ م سقطت روما في يد أحد القادة الجرمان وهو أودواكر  
ورغم اعتراه بالسلطان الاسمى للإمبراطور زينون فإن الغرب منذ ذلك  
الوقت بدأ يأخذ خطأ تاريخياً منفصلاً عن الشرق ، ورغم محاولات  
الإمبراطور جستنيان في القرن السادس استعادت الإمبراطورية الرومانية  
خدودها القديمة ، فإن نجاحه كان جزئياً<sup>(١)</sup> . وانهارت أغلب فتوحاته على يد  
الروماد ثم الفرنجة . وبذلك أخذ الشطر الغربى ينسلخ تدريجياً عن جنم  
الإمبراطورية حتى استطاع ملك الفرنجة شارلمان الانفصال بالقسم الغربى  
وإعلان نفسه إمبراطوراً على الغرب في ٢٥ ديسمبر سنة ٨٠٠ م واضطرت  
بيزنطة في عهد ميخائيل الأول وانجاييه في سنة ٨١٢ م إلى الاعتراف  
بالأمر الواقع<sup>(٢)</sup> .

أما الجزء الشرقى من الإمبراطورية فكان الوضع يختلف عنه في الغرب  
تماماً ، فالشرق لديه القدرة على المقاومة والصمود بما فيه من سكان وموارد  
اقتصادية إلى جانب أنه لم يتعرض للهجوم الجرمانى بنفس الحدة والعنف  
الذى تعرض له الغرب ، فاستطاع الشرق التصدى له واستيعابه .

(١) أنظر Diehl : Justinian

Bury . History of the Later Roman Empire Vol 1p 69 (٢)

Bury . Eastern Roman Empire p325

ولكن الشرق تعرض لأخطار أخرى على حدوده الشرقية والشمالية  
يتمثل أولها في الفرس العدو التقليدي للرومان . فالدولتان تشتركان في  
الحدود الشرقية وكانت منطقة آسيا الصغرى الجاذبة سياسياً ودينياً لبيزنطة  
تمثل منطقة صراع بين الدولتين .

وابتداء من القرن الرابع تعرضت لهجوم الفرس الدائم فاجتاحها  
الجيوش الفارسية في طريقها إلى قلب الأراضي البيزنطية<sup>(١)</sup> . وفي هذه  
المنطقة وعلى حدودها وجدت عدد من الشعوب والقبائل التي يغلب عليها طابع  
البداءة . وكانت تنهم أثناء ذلك الصراع إلى أحد الأطراف وفقاً لما تمليه  
مصلحتها .

ولقد استمر الصراع البيزنطي الفارسي يمثل أهم مشاكل الامبراطورية  
إلى القرن السابع الميلادي أي إلى أن سقطت فارس في يد العرب . فورث  
العرب دور فارس كعدو تقليدي لبيزنطة ، وخاصة بعد انتزاعهم أغني  
ولايات بيزنطة الشرقية مصر وسوريا وتوغلهم في آسيا الصغرى . وأصبح  
الصراع البيزنطي الإسلامي يمثل محوراً أساسياً في تاريخ بيزنطة ، ولقد  
حاصرت الأساطيل الإسلامية القسطنطينية عدة مرات في عهد قسطنطين  
الرابع في ( ٦٧٣ - ٦٧٩ ) وفي عهد ليون ٧١٧ - ٧١٨ م<sup>(٢)</sup> .

ولم يكن الفرس إبان العصر السياسي ( ٢٢٤ - ٦٥١ ) العدو الوحيد الذي واجه  
الامبراطورية الشرقية بل كان هناك عدد من الشعوب المتبربرة التي أحاطت  
بالامبراطورية وخاصة على الحدود الشمالية في البلقان<sup>(٣)</sup> . وفي البداية لم يكن

(١) حدثت الحدود الشرقية للامبراطورية في القرن الرابع وفي معامدين ويمثلها خط  
يحدث من حدود كولخين على البحر الأسود إلى الفرات .

Bury History of the Later Roman Empire Vol I p93  
Chapot : La Frontiere de l'Euphrate p163

Hearsey City of Constantine p2 (٢)

Bury History of the Later Roman Empire vol I p265 (٣)

خطر تلك العناصر وانحما لأنها كانت متفرقة ، ولكن مع مرور الوقت بدأت تلك العناصر تستقر في جسم الإمبراطورية في البلقان . ومن هناك أخذت تتوسع في جميع الاتجاهات ، وفي فترة ضعف الإمبراطورية بدأ خطرهما يصبح ملحوساً (١) .

ووجود الشعوب المتبربرة على الحدود الشمالية يرجع لفترة متأخرة سابقة لقيام الإمبراطورية الرومانية فقد كانت منطقة الاستبس في جنوب روسيا موطن عدد من الشعوب الآسيوية التي هاجرت أصلاً من آسيا الوسطى (٢) وقد قامت في القرن السابع ق م مجموعة من المستعمرات الإغريقية على شاطئ البحر الأسود وهي مستعمرات

Chersonesus, Theodosia, Panticapaeum, Olbia, Tyrus

وكانت تلك المستعمرات على صلة بمجموعة الشعوب المتبربرة التي تعيش في هضاب روسيا وعرفوا باسم Sarmatians, Scythians وإلى الشمال الغربي منهم كان السلاف والفن Finns ولقد مارس تلك الشعوب في البداية نوعاً من الضغط على المستعمرات اليونانية وأجبروها في فترة من الفترات على دفع جزية .

وفي القرن الثاني والثالث الميلادي اندفعت هجرات جديدة إلى شمال البحر الأسود والجزء الغربي من الاستبس احتلته القبائل الجرمانية وخاصة القوط والجزء الشرق احتله الهون الآسيويون . ولقد ظلت مملكة القوط لفترة قرنين في الهضاب جنوب روسيا وفي مناطق على حدود البحر الأسود ودخل القوط أراضي الإمبراطورية البيزنطية في البلقان واشتبكوا في صراع معها (٣) ، وفي ٣٧٥ م اختفى القوط من شواطئ البحر الأسود

(١) بالنسبة للجرمان أنظر Tacitus : The Germans trans hrednbb

Camb, Med Hist, Vol 2 p 323 (٢)

Ostrogorsky, op, cit, p 47 (٣)

وانتهجوا لأوروبا وإن كان قد بقي جزء صغير منهم في القوقاز . Crimea .  
ويظهر الطون بدأت فترة جديدة في تاريخ منطقة شرق ووسط  
أوروبا فلقد امتدت أراضيهم من آسيا إلى قلب الدانوب ، وكالصفحة  
اجتاحوا جنوب روسيا ثم بانونيا وكون Attila إمبراطورية في القرن  
الخامس كانت قصيرة العمر لم تستمر إلا من ٤٤١ - ٤٥٤ م (١) .  
ولقد دفع الطون أمامهم بالعديد من القبائل والشعوب إلى البلقان  
والبحر الأسود وآسيا الصغرى وكانت غالبية تلك القبائل التي انتشرت  
في المنطقة نتيجة لضغط الطون ترجع إلى أصل تركي كالبغار والآفار  
والخزر والبجناك والكومان و Kajar - Magyar والتركان والغز (٢)  
وابتداء من القرن السادس بدأ التوسع التركي في البلقان وتعد الهجرة  
التركية واحدة من أشهر وأنجح الهجرات في التاريخ ، فانتشرت الشعوب  
والقبائل التركية في مناطق واسعة منشعبة من البلقان والبحر الأسود (٣) .  
البغار: وهم ليسوا تركا خالصا فاصام يرجع إلى Finnish مختلطين بالترك  
وأقاموا في المنطقة بين Volga - Kama ولكن اتجه جزء منهم في وقت  
غير معلوم إلى الجنوب الغربي من البلقان، ولما غزا الطون بانونيا رحلوا  
إلى البحر الأسود حيث ظهروا في الهدف الثاني من القرن الخامس، ولقد  
خضعوا أثناء تلك الفترة لتأثير تركي قوي، ولقد ذكر المؤرخون الأخرى  
أسماء قبيلتين رئيسيتين وهما Kutrigurs, Utigurs وكان Utigurs يعيشون  
في المنطقة من الدون إلى الجنوب الشرقي من بحيرة Azov . Kutrigurs تمتد  
أراضيهم من شاطئ الدون إلى الغرب وعرف Utigurs باسم البغار السود .

(١) لمزيد من التفاصيل عن البلقان وإمبراطورية الطون

De Guignes; Hist. des Huns 4 vols, Lebedev; Chronologie des  
guerres de Byzance

Bury; Hist. of the Later Roman Empire .

Constantine porphyrogenitus De, Administrando imperio ١٢٥٥ (٢)

Jenkins .



ولقد استقرت بعض العشائر بالقرب من البحر الأسود ، أما بقية العشائر فهاجرت في النصف الثاني من اقرن السابع ، ولقد سبب البلغار ابتداء من القرن السادس للامبراطورية البيزنطية كثيرا من المشاكل فاضطر جستنيان لدفع جزية للبلغار Kutrigs في حين هاجم Utigurs المستعمرات البيزنطية على شاطئ البحر Cimmerician ولقد استعمل جستنيان وسائله الدبلوماسية عن طريق الإيقاع بين الشعبين إلى جانب إرساله لحامية بيزنطية في ٥٢٢ م أقامت على البسفور (١) .

الافسار : وهم أيضا ليسوا عنصراً تركياً نقياً ، خضعوا لسيطرة الصين فترة ثم استقلوا واحتلوا أراضي السلاف الشرقيين في جنوب روسيا ثم اتجهوا إلى بانونيا ومنها بنوا التوسع في البلقان وكذلك تعاونوا مع السلاف في الهجوم على سالونيك ووصل نفوذهم من الدون إلى الدنيبر والسهول في الجنوب احتلها Dacian (٢) .

البلغار البيض - في الشمال شرقي الخزر بين نهر Volga - Arel وهم البلغار الذين ظلوا في مواطنهم في حين هاجر الباقون إلى البحر الأسود وهم ثلاث قبائل Barsuls - Esogels - Bulger proper .

الخزر : كون الخزر أول ولاية تركية منظمة استمرت للقرن الحادي عشر ، ففي بداية القرن السادس اجتاحوا أرمينيا وعبروا إلى القوقاز ومدوا نفوذهم إلى Araxes ثم اتجهوا إلى آسيا الصغرى حيث اشتبكوا مع الفرس وتعاونوا مع بيزنطة وأصبحوا حلفاء لها ، وهناك عنصر تركي آخر كان يدين بالتبعية للخزر وهم Burdas ولقد ذكر ابن رسته والمسعودي

(١) Diehl. Justinien p 33

Vasiliev : The Byzantine Empire. p 196

Vasiliev : op cit. p 196 (٢)

Caston Gillard . op cit. p. 3 (٣)

كانهم بقيموت بجوار الخزر على نهر يحمل اسمهم وهاجروا أراضي البجناك والبغار .

البجناك : بين نهر Dane, yak كان غرضهم السلاف وجنوبهم الخزر وشرقهم القفجاق ووسطهم الكومانة وموطنهم الأصلي . وفقا لرواية الامبراطور قسطنطين Porphyrogenet استبس وسط آسيا ثم اتجهوا لجنوب روسيا واتخذوا طريقهم لواءى Tihrah وطردها Nagy. من اوطانهم بين الدون والدينير ثم اتجهوا الى المجر ، ويرجع سبب هجرتهم الى ضغط الغز الاتراك على حدودهم الغربية وقد احتل البجناك مناطق واسعة على البحر الاسود وظلوا لفترة طويلة على وفاق مع بينظة وقاموا بالوساطة التجارية بينها وبين شعوب المنطقة وخاصة روسيا .

القفجاق : أطلق عليهم الروس اسم Patovisy والاوربيون والبيزنطيون أسمهم Comans والعرب القفجاق وإن ذكروا عند الأديبي تحت اسم القومان وهم فرع من شعب الكيمك التركي وكانوا يعيشون عند نهر إيرتيش ويشغلون الأراضي التي تقع شمال الغز ، وتمتد غربا حتى نهر الفولجا أو نهر Kama ولم يظهروا كعنصر فعال في تاريخ المنطقة ابتداء من القرن الحادى عشر حيث تردد ذكرهم فى الجوليات البيزنطية وكونوا لأسرة حاكمة فى القرن الثانى عشر هاجمت الأراضي الإسلامية إلى أن أسلموا عام ١٠٤٣ م نتيجة لصلاتهم بخوارزم (١) .

Magyer ، ذكر Vambery أنهم سلالة تركية سكنت شمال شرق حدود الترك التار وذكر ابن رسته أنهم يعيشون فى المنطقة التى بين قبائل البجناك فى الأورال وبين البغار Posaonian وفى القرن التاسع هاجروا

(١) أورد عدد من مؤرخى وجغرافى العرب معلومات عن الترك وقبائلهم مثل المسعودى .

مروج الذهب ومعادن الجوهر وابن رسته . الاطلاق القفجاق .

الأمطارى المسالك والممالك . ابن حوقل المسالك والممالك ، الأديبى أحسن التقاسيم .

فى معرفة الأقاليم .

إلى البحر الأبيض واحتلوا الأراضي شمال غرب البحر الأسود وجنوب  
بروسيا ومولدافيا ثم اتجهوا للبحر، وابتداء من القرن التاسع بدأت  
صلتهم ببيزنطية .

Kazar : أحد الشعوب التركية التي ورد ذكرها في الحوليات البيزنطية  
واحتلوا الأراضي المنخفضة في سالونيك وطردوا السلاف من شواطئ  
القسطنطينية .

الغز : كان القرن أحد العشائر التي كونت إمبراطورية القرن السادس  
وبعد انهيارها في القرن الثامن تفرقت قبائل الغز في اتجاهات مختلفة ، وفي  
أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر اتجهوا إلى مناطق الأورال والفولجا .  
وابتداء من القرن العاشر اعتادت الوثائق البيزنطية أن تشير إليهم كأعداء (١)  
وذكر جغرافيو العرب أن بعض العشائر اتجهت إلى الأراضي المتاخمة  
للمسلمين وانتشروا بين بحر الخزر إلى أواسط مجرى سيرداريا حيث  
اعتنقوا الإسلام . في القرن العاشر ، والسلاجقة أحد أفرع الغز (٢) :

ورغم أن جميع تلك الشعوب تنتمي إلى أصل تركي فإن ورود لفظ  
ترك في الحوليات البيزنطية لأول مرة يعود إلى القرن السادس الميلادي (٣)  
وهذا يحتم معرفة أصل ذلك الشعب الذي قدر له أن يلعب دوراً كبيراً  
في تاريخ المنطقة بل العالم .

الترك : أحد الشعوب البدوية التي طاشت في آسيا الوسطى والتي تنتمي  
إلى الجنس Ural - Altaic في المنطقة التي تمتد من الخليج الفارسي إلى جبال  
Kbir - gen وتنقسم إلى إقليمين بواسطة سلسلة هضاب البامير وتيان شان

(١) Baldwin. The Crusades. Vol I p 186

(٢) بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ص ١٠٤

الراولدي : راحة الصدور ص ١٤٥

(٣) Vasiliev : op. cit. p170

وهي نفس موطن كل من الشعبين المغولي والصيني، ومن الصعب تحديد الزمن، الذي ظهر فيه الترك لأول مرة لأنهم لم يدونوا تاريخاً بلغة تركية في الفترة الأولى. فنقوش أرخون التي تعتبر أول ما دون بلغة تركية تحدثت عن الترك الذين كونوا إمبراطورية القرن السادس، أما أول تاريخ تركي مدون فكان تاريخ العثمانيين، أما اعتمادنا في الفترة السابقة للقرن السادس فهو على المصادر الصينية وكان الترك في هذه الفترة عبارة عن قبائل بدوية رعوية تعيش على حدود الصين وفي مناطق الإستبس في آسيا الوسطى، حيث اعتادت عدد من القبائل أن تتجول معا بحثاً عن المرعى فكانت قبائل المغول *yurta* إلى جانب الترك *Romanian, Catun, Khatun, khatonau* تتجول معا ويرأسها أكبر أعضاء القبيلة سناً وأكثرهم أملاً كاللماشية، وفي المرحلة التالية خضعوا لحكم خان وكانت اللغة التركية آنذاك سائدة بين عدة عشائر تركية وهي *Yakutish, Bashkirish, Nizghizlish, Uigurish, Tartarish* وعدد آخر من قبائل الترك الجمالة. ويذكر طومسون أنهم من سلالة الهياطة الذين عاشوا في القرن الخامس. ولقد ذكرت المصادر العربية عدد من الأرقام التركية تبدأ بالجنك في جنوب روسيا ثم تنتشر حتى حدود الصين وتشكل بلغات متشابهة إلا البلغار في حوض الفلجا والخزر (٢). ووفقاً للمصادر الصينية فإن أول مملكة تركية ظهرت في القرن السادس كانت حليفة لإمبراطورية *To - pa* الصينية وكانت إمبراطورية *To - pa* قد انشقت عن الإمبراطورية الصينية الأم وكونت إمبراطورية مستقلة في نفس الوقت الذي تارت فيه عناصر *Yuan - Yuan* وهم الذين عرفوا في أوروبا فيما بعد باسم الآفار على سادتهم وحكامهم الصينيين وكونوا دول مستقلة، وإن ظلت فترة تحت سيطرة إمبراطورية *To - pa*.

(١) لمزيد من التفاصيل عن الحياة الرعوية الأولى لترك. *Camb. Med. Hist. vol 1. P 333*.

*Constantine porphyrogenitus: op. Cit p67 - 77*

(٢) الطبري. تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٢

ولكن ما لبثوا أن انفصلوا عنها وكونوا إمبراطورية مستقلة  
تولى رئاستها قائد يسمى Sheliam (٤٠٧ - ٤١٠) حمل لقب خان .  
ومنذ هذا الوقت إلى القرن السادس أصبح Yuan - Yuen أهم  
الناصر في آسيا الوسطى ، وسيطروا على شرق تركستان ومنغوليا  
ومنشوريا وكوريا . ومع نهاية للقرن الخامس بدأت إمبراطورية  
Yuan - Yuan تدب فيها عوامل الضعف وسعت كالأشعوب والقبائل  
الخاضعة لسلطانهم إلى الاستقلال تدريجياً ، ومن هذه القبائل كانت  
قبائل Tu - kue أو الترك وكانت تلك القبائل خاضعة للصين في البداية .  
ثم خضعت لهم ودفعت جوبة رمزاً لتبعيةها وخضع جزء من تلك القبائل  
لسيطرة الهون في القرن الخامس (٢) .

وفي منتصف القرن السادس وحد القائد التركي Tu-men تلك القبائل  
واستطاع السيطرة على الأتراك في شمال ووسط آسيا واتحد مع إمبراطورية  
To - pa الصينية ضد Yuan - Yuen وانتهى الصراع بانتصار الترك ،  
وإمبراطورية To - pa وانتحار خان Yuan - Yuen واستقلال القبائل  
التركية الخاضعة لهم واعترافها بسلطان Tu - Men الذي أقام إمبراطورية  
الترك في حوض نهر Oxus على أنقاض إمبراطورية الافيثالين ، ولقد  
استمرت دولة الترك تلك إلى القرن الثامن (٣) .

ومنذ ذلك الوقت بدأ اسم الترك يتردد في الحوليات البيزنطية ، ولقد

(1) Camb. Med. Hist Vol 4 p 185

(2) Gaston. Gillard, op. cit. p.4

(٣) ظهرت إمبراطورية الافيثالين في منتصف القرن الخامس وانهارت مع القرن السادس .

Cambridge Medieval History. vol 4 p 185

Vasiliev : op cit 568

Rambaud : Histoire de l. Empire Grec p 357- 358

ذكر قاموس أن لفظ oxus اليوناني مشتق من لفظ oxus والآشوريين ، يعني به لفظ

الترك oxucos

اختلف العلماء في معنى الكلمة فالبعض يذكر أنه اسم لقبيلة مستقلة أو أسرة حاكمة ، وذكر آخرون أن معناها القوة والاحكام ونفوس أرحون تذكره بمعنى قوم ومع ذلك فإن نقش أرحون وهو أقدم النقوش التركية لا يحده تحديداً واضحاً القبائل التي تحمل اسم الترك ، فلقد اتسع الاسم حتى شمل قبائل عديدة تنسكلم التركية . كان الخان يسمى قومه « التروك » والغزو التغرير ، ولقد ورد ذكر الأتراك في الحوليات البيزنطية ابتداء من القرن السادس إلى جانب شعوب تركية أخرى كالخزر والبجناك والغز والكرومان حيث أفاضت في ذكر قبائلهم والممالك التي كونوها ، وفي القرن العاشر ذكرهم الامبراطور قسطنطين بورجتيوس في مؤلفاته وأطلقت المصادر الروسية على قانس الغز الذين اتصلت بهم اسم *Torki* (١) . وكان الأتراك الذين كونوا دولة القرن السادس ينقسمون إلى قبائل عدة ، ففي الشرق يوجد ال لولوس ، وأطارلوس حوفي الغرب يوجد « توركش » إلى جانب الغز وعدد من القبائل التركية الأخرى أشهر هؤلاء القارلوق ، الايغور ، القرغيز وبعض العناصر التركية التي تحررت من سلطان *Yuan - Yuan* انجهرت إلى غرب الاستبس في جنوب هوسيا ثم إلى بانونيا وهؤلاء ما أطلق عليهم فيما بعد الآفار وهاجوا الامبراطورية في البلقان وسالونيكاً . ولقد أطلق العرب في القرن السابع والثامن كلمة الترك على أقوام من التقوا بهم (٢) . وكانوا يتكلمون نفس اللغة التركية ، ونجد أن الأوربيين والروس في الأزمنة المتأخرة لم يطلقوا كلمة ترك إلا على السلاجقة والعثمانيين المنحدرين من الغز ولم يطلقوها على البجناك *Polovtsy* .

ولقد ارتبطت الإمبراطورية بتلك العناصر التركية بعلاقات تزاوج بين العداء السافر والمخالفة ، وسنتناول العناصر التركية الخالصة التي ارتبطت

(١) Constantine : op cit, p. 77

بارتول : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ص ٩٠١

(٢) الطبري تاريخ الطبري ص ٧ من ٣٣ اللاذري : فوج البدان ص ٢٠٣

بالإمبراطورية بصلات وهي الخزر والجنك والكومان و *Magyar* ، الغز .  
 الخزر: أحد الشعوب التركية النشطة التي كوث مع بداية القرن  
 السادس واحدة من الولايات التركية المنظمة التي استمرت حتى القرن الحادي  
 عشر ، وقد بدؤوا استقرارهم في المنطقة باجتياح أرمينيا ثم عبروا إلى القوقاز  
 ومدوا نفوذهم إلى *Araxes* ثم آسيا الصغرى وبذلك بدأ صدامهم مع  
 الفرس فأرسل إليهم الشاهنشاه الفارسي جيشا بلغ مقداره اثنا عشر ألف  
 مقاتل ، ولكن استطاع الأتراك الانتصار عليهم واحتلال الأراضي بين  
*Araxes - Cyrus* ثم اجتولوا ألبانيا ، واضطر قباز أمام المد التركي ولتأمين  
 حدوده الشمالية لدسور من البحر إلى بوابة اللان وأقام به ثلاث قلاع  
 قوية بحصنة ، وقام خليفته كبرى أنوشروان ٥٣١ - ٥٧٨ م بإقامة سور  
 حاجز على الخليج الفارسي وسمى العرب المدينة القريبة منه باسم باب الأبواب  
 وبالفارسية *Darb and* وهذا الحاجز يسير إلى جبال القوقاز وبلغ طوله  
 حوالي ١٧٠ ميلا ومع ذلك اتحد الخزر طريقهم عبر للدربند إلى بلاد الفرس .  
 وفي الربع الأخير من القرن السادس أصبح الخزر جزء من الإمبراطورية  
 التركية التي كونها *Tumen* . وبعد وفاة *Tumen* خلفه ابنه *Baekim* وباليونانية  
*Akkin* ( ٥٥٣ - ٥٦٩ ) وقد امتد نفوذه من أراضي *Shania* إلى البحر  
 اقرب ومن حوض نهر *Taren* إلى قرب نهر *Kien* أونيس ، ولقد امتدت  
 حدود الإمبراطورية في عهد خليفته *Khagan Dizabul* بالتركية *Sinjibu*  
 ولقد ظل الخزر على ولائهم طالما كانت الدول التركية قوية (١) .  
 وقد أصبح الفرس العدو الأول للنوسع التركي ، وبما أن الفرس العدو  
 التقليدي لبزنطة كان من الطبيعي أن يتعدا ضد العدو المشترك (٢) وأرسل

(١) Vasillev op. cit. p. 197

Ostrogorsky : op. cit p 78

(٢) (٢) ديمري : تاريخ بخارى ص ٤٩

خان الترك Se - kin في سنة ٥٦٣ م . أثناء حكم جستنيان الأول سفارة  
بيزنطية لإجراء تحالف ، وفي عهد جستين الثاني أرسلت سفارة أخرى في  
سنة ٥٦٨ م وهي التي وردت في الحوليات البيزنطية وذكر فيها اسم الترك  
الأول مرة وأرسل الترك مبعوثين من قبيلهم عبر القوقاز حيث استقبلوا  
استقبالا حافلا من البيزنطيين ووضعت الخطط لإقامة تحالف تركي بيزنطي  
ضد فارس (١) .

وهذه المعاهدة تضمنت إجراء تحالف في حالتي الهجوم والدفاع .  
واقترحت السفارة التركية على الحكومة البيزنطية أن يقوم الترك بدور  
الوسيط في تجارة الحرير بين بزنطة والصين وبذلك يمتنع تدخل الفرس ؛  
وهذا ما كان يسعى جستنيان من قبل إلى تحقيقه . إنما الاختلاف الوحيد  
بين الجانبين هو أن جستنيان كان يرجو تحقيق ذلك باستخدام الطريق  
البحري في الجنوب (٢) ، وبفضل مساعدة الأحباش . على حين أن الترك  
اقترحوا الطريق البحري الشمالي على أن المفاوضة لم تؤدي إلى إقامة تحالف  
حقيق ضد الفرس لأنه حدث في أواخر الستينيات من القرن السادس أن  
انصرفت الإمبراطورية البيزنطية إلى ما حدث من تضرعات في الغرب  
الاسيا في إيطاليا ، حيث هاجم اللومبارديون ، إلى جانب أن جستين رأى  
أن ما لدى الترك من القوة الحربية لا يكفي لتحقيق الغرض ، ومع ذلك فقد  
أرسل سنة ٥٦٩ م Zamarchus مندوبا عنه إلى الترك وسار من قليقيا إلى  
وسط آسيا .

وفي سنة ٥٧٩ م أرسل البيزنطيون سفارة أخرى بقيادة Valentinus

(١) Vasiliev : op. cit. p 170

Bury : op. cit. vol I p 91

(٢) عن السفارة أنظر Diehl justinien Chapot : la frontiere de

L. Euphrate

عظمى : تاريخ بخارى ص ٤٨ .



الذى أعلنهم بتولى الإمبراطور الجديد تيبريوس الثاني العرش وقام فالتنيان برحلة ثانية صحبه فيها ١٠٢ من الترك ، ولقد وجد في العاصمة البيزنطية بعض الأتراك وهؤلاء هم الأفراد الذين صحبوا السفارات البيزنطية السابقة أثناء عودتها . ووصل فالتنيان إلى عرش خان الخزر في Turxunth في الاستبس بين الفولجا والقوقاز وبما أن خان الخزر يعتبر تابعاً للخان الأكبر فتقرر أن يذهب فالتنيان إلى خان الترك ، ولكن أثناء وجوده في بلادهم قام عدد من الترك بمهاجمة مدن كريميا وساعدهم Anagey أمير Utigius .

ورغم أن التحالف مع بيزنطة ضد الفرس لم يأت بنتائج إيجابية فقد ظلت علاقاتهم بيزنطة ودية<sup>(١)</sup> . وقد استفاد الترك من الصراع البيزنطي الساساني<sup>(٢)</sup> فقد كان الساسانيون كما كان الأكيمين من قبلهم لا يستطيعون وهم يخوضون غمار الحرب مع بيزنطة أن يحافظوا على حدودهم في الشرق . خافاد الترك من هذا الوضع فسلبهم حوض نهر جرجان الذي يصب حالياً في بحر الخرزولكن هذا أدى إلى نتيجة هامة فإذا كان الفرس لم يحققوا نصراً عسكرياً ، فقد انتشر نفوذهم الحضارى . وكان تأثير المدنية الفارسية بدأ يحل محل المدنية الهندية في وسط آسيا وخاصة لأن الفرس كانوا يسيطرون على طرق التجارة العالمية ويتحكمون في نقل الحرير إلى الصين وباستقرار الأتراك في أراضي فارسية . امتد تأثير المدنية الإيرانية ودخل بعضهم الديانة الزرادشتية ، ويدل هذا على أن فارس كانت تؤثر بمدنيتها وإقتصادها على جيرانها دون أن تقتصر عليهم عسكرياً<sup>(٣)</sup> .

ولكن إمبراطورية الترك بدأ يدب إليها الضعف في عهد خلفاء Stanjiba حرمع أن الخان الأكبر استطاع سنة ٥٩٧ م أن يخضع الثورات التي قامت حده بمساعدة ثلاث خانات تابعين له . إلا أن قبائل الخزر التركية بين

(١) من العلاقات البيزنطية الفارسية ارجع

Ammianus Marcellinus : trans. Baynes

(٢) أمبري تاريخ عارى ص ٤٢

الفولجا والخليج الفارسي استطاعت أن تتحرر من قوة الدولة التركية عند بداية القرن السابع. وقد بلغت إمبراطورية الخزر أقصى اتساع لها من القرن السابع إلى التاسع، ولقد ترتب أيضاً على ضعف دولة الأتراك أن خانات الترك الحاكمين في الغربية أصبحوا مستقلين استقلالاً تاماً وكان أتراك الغرب يشملون التركمان في فارس وروسيا والافجيم Afghem في تركستان وأذربيجان<sup>(١)</sup>.

ولقد أصبح من حق خاناتهم أن يعقدوا المعاهدات دون أن يراجعوا في ذلك الخاقان الأكبر باش خان المقيم في الشرق<sup>(٢)</sup>، ورغم أن دولة الأتراك في الغرب Tonkin لم تكن تبلغ في أواخر أيامها كدرجة المغول إلا أنها كانت تتصل ثقافياً بالخارج وكانت واسطة لاتصال حضارة الشرق الأقصى بحضارة غرب آسيا.

ولقد استغل الخزر ضعف الدولة التركية وانهمروا بنفوذهم إلى البحر الأسود وحاولوا الاستيلاء على كرميان البيزنطية واصطدموا بالبلغار، حلفاء بيزنطة. فعند بداية القرن السابع اعتنق سيد الهون Orghana سنة ٦١٩ م المسيحية. وكذلك فعل خان البلغار بعد أن خرب نفسه من سيطرة الآفار، ولكن عند وفاة خان البلغار أجبرهم الخزر على الاعتراف بسلطانهم، فسامت علاقتهم بيزنطة.

ويظهر العرب في القرن السابع وقيام الخلافة الإسلامية بالقضاء على الإمبراطورية الفارسية. كان من الطبيعي أن يستمر تحالفهم مع بيزنطة لمواجهة الخطر المشترك بالرغم من مصالحهم المتعارضة في Crimean، وخاصة بعد أن قامت الجيوش العربية - زمن الخليفة عثمان

(١) Gaston Gillard : op. cit. p. 4

(٢) Dialogue - The History of Jewish Khazars p 172

يذكر قامبري أن التعبير الصحيح خان بالق قامبري ص ٦٨.

باجتماع أراضي أرمينيا وأخذ جزءاً من أراضي الخزر ، وفي سنة ٦٩٠ م اشتبك العرب مع الخزر ، وقتل آلاف منهم ، وعبر العرب بوابة الخليج الفارسي وحكموا في القرن الثامن Crimea وكانت المدينة الوحيدة التي قاومتهم خرسون ولكنها ما لبثت أن سقطت بعد فترة قصيرة (١) .

وفي عهد جستنيان الثاني ٦٨٥ - ٦٩٥ م طرأ تغير على العلاقات البيزنطية الخزرية نتيجة للصراع على العرش البيزنطي فبعد حلع جستنيان الثاني آخر أفراد أسرة هرقل سنة ٦٩٨ م لجأ إلى Daras في كيريميا وأرسل لخان الخزري Vasi يستنجد به واستقبله الخان استقبالا ضيافيا وزوجه أخته ثيودورا ، وأقام جستنيان في Tamatach التي تخص الخزر ، ولكن الامبراطور تيبريوس أسباز طلب من الخان تسليمه ، فاستجاب الخان لطلبه حرصا على علاقاته الطيبة مع بيزنطة . ولكن ثيودورا حذرت زوجها فهرب في الوقت المناسب إلى شواطئ البحر الاسود وتلى ذلك استعادته لعرشه ويمجرد اعتقاله العرش أرسل في استدعاء زوجته الخزرية وابنه منها الذي كان قد ولد بعد هروب والده وأطلق على الطفل اسم تيبريوس وعين كامبراطور مشارك ولكن لم يقدر له الحكم فقد قتل مع والده نتيجة ثبوت ثبوتهم فقد قرر الامبراطور معاقبة الخزر لاستيلائهم على خرسون وأرسل أسطولاً ثلاث مرات لاستعادة المدينة ، وحقق الجيش البيزنطي نجاحا محدودا ، ولكن جيش الخزر اضطره لرفع الحصار على المدينة التي ظلت في أيديهم إلى عهد ثيوفيل (٢) .

وخوفا من انتقام الامبراطور أعلن الجيش والاسطول الثورة والتي انتهت

بمصرعه

(١) Dunlop ; op Cit - p 112 / 179

Vasiliev : op . Cit p255 (٧)

Ostrogorsky . op . Cit p125 (٣)

Dunlop . op . Cit p174 (٤)

رنا بين العلاقات أن طاعت لي طبيعتها الأولى حتى أن  
ليو الايسوري طلب من خان الخزر ابنته كزوجة لابنه قسطنطين وبعد  
اعتناقها المسيحية سميت لريرن وابنها ليو الذي أصبح يحمل اسم الخزري  
حكم الامبراطورية ٧٥٠م وفي عهده جعل للخزر منحة سنوية تسمى  
Talt zakai .

وفي القرن الثامن حدث صراع بين الخزر والعرب دمرت نتيجة له  
أراضي جورجيا وارمينيا ، والغريب أن مؤرخي العرب لم يذكروا الخزر  
إلا قبل النصف الثاني من القرن التاسع ؛ وفي ٧٩٩م اجتاحت الخزر أراضي  
ارمينيا بجيش كبير ولكن الخليفة هارون الرشيد استطاع طردهم وكانت  
هذه آخر مرة تحتاج جيوش الخزر أراضي جنوب القوقازو آسيا الصغرى ،  
ورغم عدائهم للعناصر الإسلامية فإن الفرق الرئيسية من الجيش الخزري  
والمسماة قراسيا كانت تتكون من حوالي ١٢ ألف مقاتل وأغلبهم من  
مسلمي خوارزم ولقد ظل الخزر حلفاء أوفياء لبيزنطة إلى سقوط دولتهم  
على يد برتسلاف الروسي في القرن الحادي عشر .

ورغم صلتهم ببيزنطة فإن المسيحية لم تنتشر في بلادهم على نطاق واسع  
فقد انتشرت انتشارا محدودا في كل من القوقازو Crimea ، ولكن العقيدة  
التي كانت لها الغالبة كانت اليهودية وحتى الإسلام لم يلقى استجابة وانتشار  
بينهم رغم وصول دعائه في النصف الثاني من القرن العاشر (١) .

البجناك : Patziak وذكرتهم المصادر الصينية في الفترة الأولى  
تحت اسم Keng-li واطلق عليهم العرب اسم البجناك وذكرهم قسطنطين

(١) في عهد ميخائيل الثامن ٦٨٠م ارسل ملك الخزر يطلب من الامبراطوران بيزنطة اليه  
بأشخاص يقومون بشرح العقيدة المسيحية فارسل بعثة تبشيرية يقودها كاهن يسمى قسطنطين  
ونابلت خان الخزر في سمندر ورغم جهود قسطنطين واتباعه فلم يحرز نجاحا .  
الباز العربي : الدولة البيزنطية من ٢٦٨

Porphyrogenitos في كتابة De Administrando Imperio الذي افه في القرن العاشر . وتحدث فيه عن إدارة الامبراطورية مع دراسة الجغرافية البلاد الأجنبية والعلاقات التي تربط بيزنطة بالأمم المجاورة واستهل هذا الكتاب بفصل عن الاقوام التي تجاور بيزنطة من جهة الشمال كالبحناك والروس ، والغزو والخزر . ولقد ذكر قسطنطين انهم هاجروا من وسط آسيا إلى جنوب روسيا في المنطقة بين الفولجا والأورال ومع بداية القرن التاسع طردوا magyar من أوطانهم بين الدون والدينير وتحت ضغط قبائل الغز اتجهوا إلى الغرب ، واحتلوا أراضى السلاف في شمال غرب البحر الأسود وان كانت بعض قبائل منهم بقيت وخضعت لسيطرة الغز ومن موطنهم الجديد هاجموا Crimea البيزنطية ، فرأت بيزنطة أن تستغل تلك الهجرة لصالحها وفي نفس الوقت تمنعهم من التوسع على حساب أراضيها فعقدت تحالفه معهم ضد أعدائهم من الروس والبلغار ولم يقتصر التحالف على الجانب السياسي بل تعداه إلى الجانب الاقتصادي فقام البجناك بدور الوسيط التجاري بين خرسون البيزنطية وبين الروس والخزر (٢) :

ولكن منذ القرن العشرون العاشر بدأ الوضع بين الطرفين يختلف وسامت العلاقة نتيجة لتحالف البجناك مع الروس (٣) فتذكر الحوليات الروسية في عام ٩٤١ م تحالف البجناك مع الامير الروسي ايجور ضد بيزنطة حيث حشد جيشا من عناصر مختلفة كالورنك والروس والبوليان والصقالبة والبجناك واضطر رومانوس ايكابديوس الا أن يعرض عليهم دفع جزية إلا أنهم رفضوا ، ولكن البيزنطيون استطاعوا الانتصار عليهم واجبار

Gamb. Med. Hist. Vol 4 P 203 (١)

Vasiliev op cit p323 (٢)

Rambour op cit p 578 (٣)

الحيش الروسى وحلفائه على التراجع وتوقيع معاهدة صلح تعهد فيها الطرفان بعدم الإعتداء وتجدد التحالف الروسى البجناكى فى عهد زمسكيس سنة ٩٧٠ م وأحرز القائد بارداس نصرا عليهم ووقعت أعداد كبيرة من البجناك فى يده وهزم الروس فى أدونة (١).

وفى عهد باسيل الثانى ٩٧٦ - ١٠٢٥ م تجاوزت أراضي البجناك والامبراطورية نتيجة لإخضاع بينظفه لبلغاريا ولضغط الكومان عليهم ، ولقد رفض البجناك معاونة قيصر البلغار أثناء صراعه مع بينظفه خوفا من تعرضهم لغضب الامبراطور، وإن كانوا قد حاولوا فى عهد خليفته قنسطنطين الثانى الهجوم على الأراضى البلغارية ، ولكن الدوق البيزنطى لبلغاريا قنسطنطين ديوجين أنزل بهم هزيمة ساحقة (٢) ورغم ذلك فإن البجناك حتى منتصف القرن الحادى عشر لم يمثلوا خطرا مباشرا على الامبراطورية .

Magyer :- عنصر تركى آخر تداخلت أراضيه مع البجناك فى الأورال وذكر Vambery أنهم سلالة تركية وذكرتهم المراجع البيزنطية تحت اسم الترك والمصادر العربية . أطلقت عليهم ماجوريان وذكر ابن رسته أن مساكنهم الأصلية بين البجناك الذين يعيشون فى شكل قبائل فى الأورال وبين البلغار فى أرض البشكير Bashker. ومع بداية القرن التاسع هاجروا إلى شواطئ البحر الأسود وسكنوا شمال شرق حدود الترك التتار . واتجهت عدة عشائر منهم فى فترة سابقة إلى الأراضى الفارسية ولقد احتل Magyer فى البداية المنطقة

(١) Ostrogersky . op . cit p262

Camb. Med . Hist.vol 1, p205

(٢) Baldwin . The Crusades vol . 186

بين الدون والدينير التي كانت جزءاً من أراضي الخزر واختطت عناصر  
منهم بالخزر ولكن طردهم البجناك فواصلوا الهجرة إلى الأراضي شمال  
غرب البحر الأسود ووصلوا لجنوب روسيا ومولدافيا ، ثم اتجهوا للمجر  
وتحالف معهم الامبراطور ليون سنة ٨٩٤ م ضد البلغار (١).

ولقد اتجهت عناصر منهم إلى إيطاليا ٨٦٩ م ثم اجتاحتها موفيا  
وبافاريا ولكن برزوا. وفي نفس الوقت اجتاحتها ترافيا وتحالفوا مع البجناك  
ووصلوا لأبواب القسطنطينية . ولقد طلبوا جزية من بيزنطة وفي ٩٣٤ م  
اضطر الامبراطور رومانوس ليكاپونوس Romanus Lecapenus إلى إرسال  
الشريف Theophanes إليهم لعقد معاهدة لمدة خمس سنوات وحاولت  
بيزنطة كسبهم كحلفاء ضد البجناك (٢) ولكنهم اجتاحتها البلقان من ٩٥٨ -  
٩٦٢ م . وفي ٩٦٧ م انضمت مجموعة منهم إلى الأمير الروسي Suroslav  
في حربه ضد البلغار ولكن انتصر عليهم حاكم البلغار (٣) Tatarsimon . وما لبث  
أن احتل البجناك أراضيهم على البحر الأسود فاتجهوا إلى المجر حيث  
اعتنقوا المسيحية في ٩٧١ م .

القفجاق : - فرع من الكيماال الاترك هاجروا من آسيا الوسطى إلى  
المنطقة التي تمتد من نهر إيرتيش إلى نهر الفولجا ونهر Kama ولقد أطلق  
عليهم البيزنطيون اسم Codana وابتدأ من القرن الحادي عشر بدأت  
هجرتهم إلى كبرياء ، فانتقلوا إلى أراضي النهر الذين اضطروا تحت ضغط  
القبائل عليهم في الشمال إلى إغناء نهر جتوب والترب واستقروا القفجاق

(١) Gamsa . Alud . Hist vol 4 p306

(٢) Gamsa . Hist : op. cit p. 312

(٣) Gamsa . Alud . Hist vol 4 p312

على الأراضي التي تركها الغز في حوض نهر سيحون بعد هجرتهم إلى أراضي البجناك في جنوب روسيا ودخلت مناطق الإستبس في نفوذهم وأطلق عليهم الروس لقب Polovtsy ولم يكن القفجاق وحدة سياسية متحدة بل كانوا وحدات متفرقة يرأس كل منها خان وفي القرن الثاني بدأت الحوليات البيزنطية تردد اسم الكومان كاعداً ولكن لم يشكوا خطراً حقيقياً ، وفي نفس الوقت هاجم القفجاق المسلمين حتى اضطروا المسلمون للاتحاد والكرج لصد غزواتهم واستطاعوا الاستيلاء لفترة على ديبند وشابه ران ولكن نتيجة لصلة القفجاق بالخوارزمين وتأثرهم بالمدينة الإسلامية فإن أعداد كبيرة منهم دخلت الإسلام في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (١) .

الغز : - أحد الشعوب التركية التي هاجرت من أواسط آسيا وخضع للغز للصين ثم استقلوا عنها وانضموا إلى أمبراطورية Tamea (٢) . ويقال أن خانات الأتراك الغزيين كانوا من الغز ومع ذلك فإنهم دخلوا في صراع مع أتباعهم من القبائل الغزية التي كانت دائمة الثورة (٣) ومع انهيار دولة الأتراك في القرن الثامن تفرقت قبائل الغز في الجهات مختلفة فاتجه بعضها وفقاً لرواية قنسطنتين بوزفوجنييتوس في أواخر القرن التاسع وبداية العاشر إلى مناطق الأورال والقولجا حيث طردوا البجناك واحتلوا تلك المناطق وفي هذه الفترة بدأت صلتهم بالروس بعد عبورهم القولجا لجنوب روسيا وأطلقت عليهم المصادر الروسية Torki ومنذ القرن العاشر اعتادت الوثائق البيزنطية أن تشير إليهم كاعداً اعتادوا الإغارة على أراضيها رغم دخول بعضهم في الفرق الامبراطورية واعتناق عدد منهم المسيحية وفقاً

(١) Ramhaud ; op . cit p. 382

(٢) Camb .Med .Hist vol4- p185

(٣) بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ص ١٠٢



لهذه الأثرؤذكى ويقال أن الغز فى الفترة الأولى من تاريخهم أثناء خضوعهم للصين تأثروا بالديانة البوذية ولقد اتجهت عشائر من الغز إلى الأراضى المتاخمة للحدود الإسلامية حيث التقى بهم جغرافيو العرب فى القرن العاشر، ولقد ذكرت المصادر الصينية أن الغز المقيمين غرباً ينقسموا عشر قبائل وأن خمساً من قبائلهم شمال نهر ايلة وخمسة فى جنوبه ولقد تجاوزت الأراضى الإسلامية مع أراضى الغز حتى أن ثلاث مدن تركية من الخاضعة لسلطان الغز أسفل نهر جيحون وهى جند، خواره، ينغى كنت قد اعتنقت الإسلام، ولقد اشتبك الغز مع المسلمون عند نهر سيرداريا وكانت الغلبة للجانب الإسلامى، فاحتل القارلوق محل الغز عند ضفتى نهر جو ٧٦٦م ولكن فى القرن العاشر بدأت أعداد كبيرة من الغز المقيمين عند نهر سيرداريا تدخل الإسلام نتيجة لصلاتهم بالخوارزمين وقام الغز المسلمون بمقاتلة من يحاورهم من الممالك التركية الوثنية. والغريب أن المسيحية وصلت أيضاً إلى بعض قبائل الغز لاعتناق بعض أهل خوارزم المسيحية نتيجة لصلتهم بالخزر ولقد وصلت المسيحية لبعض المدن التركية منذ القرن الرابع الميلادى فحينما ذهب الأمير إسماعيل السامانى فى محرم ٢٨٠ هـ ٨٩٣م لفتح طراز (طالاس) وجد أن جميع أهلها وأميرها يعشقون المسيحية على المذاهب النسطورية ويقال أن المسيحية انتشرت فى المنطقة منذ القرن الرابع الميلادى (٢).

ولكن فى بداية القرن الحادى عشر عبر فرع آخر من الغز البدانوب سنة ١٠٦٥م وكانت تلك العشائر قد تجمعت فى شكل هجرة شاملة فبلغ عدد مقاتليهم ستمائة ألف مقاتل؛ وهذه الهجرة اتخذت وجهتها إلى الأراضى

---

(١) بارمولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى من ١٠١-١٠٣

(٢) الرضى تاريخ بخارى تحقيق عبد الحيد بدوى ص ١١٧

البيزنطية وذكرتهم المصادر البيزنطية تحت اسم *Ozes* ولم ينضم هؤلاء الغز إلى اخوانهم البجناك ، بل بدؤا في محاربتهم فهاجروا البجناك إلى شبه جزيرة البلقان وتبعهم الغز هناك حتى التقوا بالقوات الامبراطورية وهزموها واسروا اثنين من قادتها *Batablate* , *Aroxapez* وذلك في عهد قسطنطين دوكاس تلى ذلك انقسام العشائر إلى عدة أقسام اتجهت جماعة منها إلى سالونيك وبلاد اليونان ولم يستطع الامبراطور مراجعتهم لانشغاله في عدة جهات في الغرب أو آسيا الصغرى حيث الترك السلاجقة<sup>(١)</sup> فحاول استمالة رؤساء تلك العشائر ومنحهم الهدايا ودعوتهم لعاصمتهم لم تجدى تلك الوسائل بل كشفت عن عجز الامبراطورية فقرر الامبراطور الخروج بنفسه، ولكن انقذت الامبراطورية بسبب عامل خارجي لم يكن لها به دخل ، فالترك لم يهتموا البرد القارس فانتشرت بينهم المجاعة والأمراض<sup>(٢)</sup>، إلى جانب أن البلغار قتلوا عدداً كبير منهم وخضعت جماعات غزية لبيزنطية فانزلوهم بمقدونيا كما يفلحوا الأرض ويمدوا الجيش بالجند أى طبقوا عليهم نظام *Themes* حيث يمنح الجند مساحات من الأراضي في مقابل الخدمة العسكرية<sup>(٣)</sup>.

وحظى قادتهم بكل رعاية من بيزنطة . ولقد دخلت فرق منهم إلى الجيش كمتطوعين وهذا يوضح أن جيش الامبراطور رومانوس ديوجانيوس الذي خاض به معركة ملاذكرد كان به عدد كبير من الغز .

وفي عام ١٩٧٣ م عاد الغز مع البجناك لمهاجمة الامبراطورية فانضموا لنيستور حاكم الدانوب الثائر على الامبراطور ميخائيل السابع

(١) Baldwin . op. cit vol I p187

(٢) Baldwin op. cit vol I p 187

(٣) Ostrogorsky op. cit. p 301 — 303

ولكن عند اقتراب المغتصب من القسطنطينية تخلوا عنه<sup>(١)</sup> .

ولقد استغل الغز والبجناك النزاع على العرش بعد عزل ميخائيل السابع لنهب أراضي الامبراطورية وتخريبها في البلقان والاناتول وكان كلا الفرقاء يسعى لضمهم إلى جانبه مما أتاح لهم فرصة اخفاء الشرعية على ارتيادهم لأراضي بيزنطة وانهى الأمر بعقد صلح بينهم وبين الامبراطور نففور بوتانياتس ولكن أخطر العناصر الغزية كانت تلك التي انتهت إلى الجانب الإسلامى في الغرب ، واعتنقت الإسلام وقامت بمهاجمة أراضي بيزنطة بل اقتطاع آسيا الصغرى ونقصدها السلاجقة<sup>(٢)</sup> .

ولم تكن صلة بيزنطة بالشعوب التركية قائمة على المخالفة أو العداء فقط بل استطاعت الامبراطورية الاستفادة من تلك العناصر باستخدامهم كقاتلين وجنود في جيوشها ، كما حدث مع الغز وتوطينهم في مقدونيا ، وكذلك مع قبائل التبتشجير والكومان الذين دخلوا الفرق الامبراطورية وسلاحظ أن الجيوش البيزنطية ابتداء من القرن العاشر تحوى مقاتلين من الكومان والغز والبجناك ولقد اتخذ بعضهم مساكن دائمة في ولاية الاناتوليك ، الاناضول ، واعتنق المسيحية ، بل إن المسيحية وصلت إلى موطن الترك في آسيا الوسطى ، ووفق رواية البيروني وهو من علماء القرن الحادى عشر يذكر أن عددا من القبائل التركية اعتنق المسيحية عل المذهب الارثوذكسى واستخدمت بعض قبائلهم الأبجدية السريانية . وقد اعتنق

---

Baldwin : The Crusades volI p136 (١)

Botanclates Ostrogorsky ، op. cit p313 حكم قنور الثالث (٢)

١٠٧٨ — ١٠٨١

كل من البلغار والأفار و *Magyer* المسيحية ولقد ظلت تلك الشعوب لا تمثل خطرا حقيقيا على بيزنطة إلى القرن العاشر .

ومنذ بداية القرن الحادى عشر بدأ الوضع يتغير فالجفاف بدأ يعم تركستان وبدأت القبائل التركية تتحول وتنتجى للغرب ، واتجهت أنشط القبائل التركية وهم الغز بهجراتهم وجهة أخرى حيث أراضى الخلافة الإسلامية واعتنق عدد كبير منهم الإسلام .

## الفصل الثاني

الترك في آسيا الصغرى

الترك والإسلام

بفتح العرب لفارس كان من الطبيعي أن تترك الدولة الإسلامية نفس الأخطار والأعداء الذين كانوا على حدود الدولة الساسانية . فالبيزنطيون في آسيا الصغرى ، وعلى حدود خراسان كان الأتراك .

ولقد عانى الساسانيون منذ القرن السادس من هجرات وغزوات الشعوب التركية وخاصة بعد قيام امبراطورية الترك التي كونها Tumen . وكانت أكثر الشعوب التركية ارتياد للأراضي الفارسية الخزر ، وخاصة في عهد قباذ وكسرى أنوشروان فتوغلوا في أراضي فارس بل وصلوا إلى آسيا الصغرى عن طريق الدربند . ومع انهيار دولة الأتراك الغربيين في القرن الثامن تفرقت القبائل التركية الخاضعة لها واتجهت وجهات مختلفة فاتجه عدد من تلك القبائل إلى المناطق المتاخمة لخراسان بالقرب من نهر جيحون ، وبذلك تجاوزت أراضي المسلمون مع أراضي الأتراك الغربيين وكان على العرب تأمين حدودهم ضد الخطر التركي إلى جانب أن المسلمون رؤوا فيهم أرضا خصبة لنشر الدعوة الإسلامية لبقاء غالبيتهم على وثنيته .

فطبيعة العلاقة بين المسلمين والأتراك تنقسم إلى قسمين الأول هم عن طريق الفتح والثاني عن طريق الاتصال الحضاري والدعوة السلمية .

الفتوح الإسلامية لبلاد ماوراء النهر

اتجهت أنظار العرب منذ عهد معاوية إلى فتح بلاد ماوراء النهر .

ولكن الغزوات الإسلامية الأولى كان الهدف منها سبر غو  
وطبيعة بلادهم فهي عبارة عن هجوم خاطف لا يلبث أن يعود  
إلى خراسان محملين بالغنائم، وكان أول ارتياد لأراضي تركية على  
ابن زياد في أواخر ٥٣ هـ وأوائل ٥٤ هـ ( ٦٧٢ م — ٦٧٣ م  
جيحون إلى بخارى واستولى على مدن بيكندورامين ، ولقد  
القوات التركية ولكنها أجبرها على التراجع . واضطرت  
لمبادئته ودفع مليون درهم . فلما عزل وتولى سعيد بن عثمان أمر  
اشتبك مع عسكر الصفد وسمرقند وكش وتخشيب (١) الذي قد  
بخارى ولكن تراجعوا دون قتال واضطرت حامية بخارى لزياد  
المقدم للعرب .

وفي ٥٦ هـ — ٦٧٥ م عبر نهر جيحون إلى وادي جيحوا  
الصفد (٢) ، ثم اخضع مقاطعات نهر سيحون ثم فرغانة وخوارزم  
فشملت غزواته إقليم ما وراء النهر ووصلت إلى الشاش وإقليم  
مركز الأتراك الشرقيين .

وفي عهد يزيد بن معاوية تولى مسلم بن زياد بن أبيه إمارة .  
فتجدد الصراع مع الأتراك واتحدت جيوش بخارى والصفد وقواد  
من التركستان مع أمير ختن (٣) وحققته الجيوش الإسلامية انتصارا  
على الأتراك وغنموا الكثير واضطرت الخاقان صامانية بخارى  
أموال عظيمة .

ولأن كانت تلك الغزوات لا تمل غزوا فلما زعم الخاقان

(١) سجده الله في بغداد معتمداً على

(٢) أبو بكر محمد بن عبد الله الرشيد في تاريخ بخارى ص ١٠٠

(٣) الخاقان صامانية في تاريخ بخارى ص ١٠٠

تم على يد قتيبة بن مسلم الباهلي والى خراسان في عهد الوليد بن عبد الملك ، فبعد إخضاعه خراسان كلها تم على يديه فتح طخارستان<sup>(١)</sup> وعبر جيحون سنة ٨٨ هـ / ٧٠٦ م واستولى على بيكند وخبون<sup>(٢)</sup> وتارب ، واجتمع جند الترك بقيادة ملك الصفد وانضم اليهم الملك كورمغانون بن اخت ملك الصين ، وأجبر الترك على التراجع واستولى على بخارى وكانت هذه رابع مرة يغزو هذه المدينة . ولقد استمرت فتوح قتيبة من ٧٠٥ - ٧١٥ م ففتح الصفد و خوارزم وسجستان و سمرقند وغزا أطراف الصين وفرض جزية على من يسكن هذه المناطق وأصبح يلى بلاد ما وراء النهر وخراسان والى واحد .

ولقد نتج عن الصراع بين الأتراك الغربيين والمسلمين انهيار ملكتهم وانقسامها وظلت بلادهم حتى التي لم يصل اليها الفتح في فن و قلاقل ، وهذا أدى إلى انصراف المسلمون في الفترة التالية لتأمين فتوحهم ضد غزوات الترك فأقاموا الأسوار والحنادق للمحافظة على البلاد الواقعة على الأنهار في الصفد وبخارى والشاش ، وبإخضاع الأمويين لدولة أترك الغرب لإنجبت انظارهم إلى ما يلى وراء النهر حيث موطن الأتراك الشرقيين الذين كانوا يحكم موقعهم على صلة بالصين وحكامها ، ودأبوا على الاغارة على مناطق ما وراء النهر الخاضعة للمسلمين وكان وطن الأتراك الشرقيين يمتد من نهر شاما إلى البحر الغربي، ومن حوض نهر Tarem إلى قرب نهر ينسى أى من منطقة ما وراء النهر إلى حتى السهوب الروسية وشرقا لحدود الصين ولقد ذكرت المصادر الاسلامية ثلاث اقوام من الترك في المنطقة من

(١) الترشيحي : تاريخ بخارى ص ٤٦٩

(٢) قرية في بخارى معجم البلدان ج ٣ ص ٤٦٩

بحر الخزر إلى حدود الصين : الغز ينتشرون في الأرض المحتلة من بحر الخزر إلى أوساط بحرى سيرد اراريا ، القارلوق ينتشرون في الأراضى تمتد شرق فرغانة التفزغز والطوقوز اغوز يسكنون الأراضى التى تبدأ من حدود أراضى القارلوق وتمتد حتى الصين (١).

واتهم الأتراك الشرقيون فرصة الصراع الإسلامى للتوسع في بلاد ما وراء النهر فتذكر نقوش ارخون ان في السنوات بين ٧١٠ — ٧١٥ م أستولى الأتراك الشرقيون على دولة تورككش الغربية لفترة محدودة وانهم وصلوا إلى تمر قابوع = الباب الحديدى بين سمرقند وبلخ وذكر البعض انه بين الصغد وطخارستان ، وأرسل الأمويون منذ عهد عمر بن عبد العزيز الحملات ضدهم على يد الجراح بن عبد الله ، وعبد الله بن معمر اليشكرى . وفى عهد الخليفة هشام غزا مسلم بن سعد الأتراك الشرقيين وكان قد قطع النهر لحربهم ولكنه عزل وولى اسد بن عبد الله وطلب منه والى العراق . خالد بن عبد الله القسرى الاستمرار فى الغزوة فسار إلى فرغانة وأقبل . خاقان الترك حيث حقق الترك فى البداية نصرا ، ولكن ما لبث العرب أن اقتصروا وأسروا حاكم السغد وأحد القواد الترك (٢) ، ثم غزا أسدا الغور وهى جبال هراه فى ١٠٧ هـ وفى العام التالى غزا الختل ولكنه هزم ثم قاتلهم مسلمة بن عبد الملك ووصل إلى باب اللان ولقيه الخان فى جموعه . ولكن لحقت الهزيمة بخان الترك .

ولقد استغل الأتراك الشرقيون ما قام به الأشروس بن عبد الله السلمى والى خراسان فى عهد هشام بن عبد الملك فجاء الأتراك فى بلاد ما وراء النهر

---

(١) باردولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ص ٤٧

(٢) المائى : تاريخ الرسول والمليك ص ٦٤



فقد دعى أهل سمرقند وبلاذ ما وراء النهر إلى الإسلام على أن توضع عليهم الجزية فأجابوا إلى ذلك فلما أسلخوا وضع عليهم الجزية وطالبهم بها، وتسبب هذا في مناصبة الأتراك العداء بل أن سبعة آلاف من أهل السغد رجعوا عن الإسلام واستنجدوا بآتراك الشرق؛ ولقد اشتبك أشروس وفطن بن قتيبة بن مسلم مع أهل السغد وبخارى وخاقان الترك الشرقيين وكان النصر في البداية لحليف الترك ولكن استطاع المسلمون الانتصار على الترك في النهاية وهزمهم. ومالبت خاقان الترك أن طوّد الهجوم على المنطقة قرب بخارى وانضم إليه أهل فرغانة وحاول الترك التفاوض مع المسلمين ولكن توقفت المفاوضات بعزل أشروس وتولى جنيد فتحديد القتال مع الترك وخاقانهم بالشعب وغزا جنيد طخارستان ونزل على بلخ.

ومع ذلك فإن أعنف الحملات على آتراك الشرق تعود إلى ولاية نصر ابن يسار على خراسان وبدأ عهده برفع الجزية عن أسلم. ولقد غزا نصرا بلاد ما وراء النهر ثلاث مرات. ففي المرة الأولى غزا بلخ ثم اتجه لمرو وفي الثانية غزا ورغش وسمرقند ثم غزا الشاش وسقط أحد خانات الترك الشرقيين وهو كورصول<sup>(١)</sup> وقتل، واتجه نصر بعد ذلك إلى فرغانة في ثلاثين ألف ثم غزا عرشستان وغور والمختل وطبرستان وكان عدد من الترك من أهل السغد نتيجة لمقتل خاقان الترك في ولايته اسد قد غادر بلاده، ولكنهم أرادوا العودة إلى السغد ثانية نتيجة لما سمعوه من عدل نصر، تفرقت الترك في غارة بعضها على بعض، فطمع أهل السغد في الرجعة إليها وانحاز قوم منهم إلى الشاش، فلما ولي نصر بن يسار أرسل

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٧٤

اليوم إلى المراجعة إلى بلادهم<sup>(١)</sup> ، واستجاب لطلبهم التي سما بقية المسلمين تعدى على الدين وعلى العدالة ، فراجع عن ذلك . وفي هذه السنة غزا نصر فرغانة غزوته الثانية وذلك في عهد الوليد وتذكر المصادر الصينية أنه في عام ٧٤٥ م انهارت دولة الترك الشرقيين وعمل عملهم الايفور وكان المقر الرئيسي لخاناتهم يقع على نهر أورشون ولقد ظلت هذه الدولة إلى سنة ٨٤٠ م وانقرضت على يد القرغيز الزاحفين من الغرب ، وكان سقوط الممالك التركية في يد العرب فيه تهديد للصين وحكامها ، فاشتبك الصينيون مع الحكام المسلمين العباسيين الذين واجهوا الصين ، وانموا فتح بلاد الأتراك الشرقيين وهزموا الجيش الصيني في ٧٥١ م<sup>(٢)</sup> .

ولقد استمر العباسيون في سياسة التوسع على حساب الأتراك الشرقيين وخاصة بعد أن أصبحوا جماعات متفرقة في عهد المنصور والرشد والمأمون ، وكان الترك في السغد يثرون من آن إلى آخر على الحكم الإسلامي ولم تكن الخلافة تتردد في قمع الفتنة فنقض اصبهذ خبرستان العهد بينه وبين المسلمين عدة مرات وقتل من كان يبلاده من المسلمين وغزا المنصور فرغانة ولقد تقدمت الجيوش الإسلامية في السغد واشروسنه وفرغانة ووصلوا إلى اسوار الصين ورغم انتصارات المسلمين الحربية فإن الوسائل السلبية كان لها أثر كبير فوصلت إلى قبائل وشعوب تركية بميسها الفتح .

### التوسع السلمي

كان الأتراك الذين كونوا دولة القرن السادس يعتقدون العقيدة الشامانية القائمة على تناسخ الأرواح ووجود الهى الضوء والظلام<sup>(٣)</sup> . وابتداء من

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٩٢

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ١٤٩ - ١٥٠

(٣) Camb. Med. Hist. vol 4 p 346

القرن السابع دخلت المسيحية والزرادشتية والمناوية الى وطن الأتراك  
 وإذا كان المبشرين النساطرة قد وصلوا إلى بعض المدن التركية قبل هذه  
 الفترة (١) كما استقرت بعض قبائل النغوز الزرادشتية وهي عقيدة الساسانيين  
 . انتهى الإيغور المناوية وكذلك أهل بلخ وطخندستان وهي معاوية للتوفيق  
 بين المسيحية والزرادشتية والبوذية ، وكانت المناوية أكثر العقائد انتشارا  
 بين القبائل التركية ولقربها من البوذية لم يستطع مؤرخي المسلمين كالبيروني  
 والمسعودي التفرقة بينهما ، فيذكر البيروني أن المناوية كانت منتشرة بين الترك  
 انتشارا واسما على حين يهزم المسعودي بأنها منتشرة بين الإيغور وحدهم (٢)  
 ولقد سعى المسلمون في الوقت الذي بدأت فيه فتوحهم لنشر الإسلام  
 بطرق سلمية فأرسل الخليفة هشام بن عبد الملك ( ٧٢٤ - ٧٤٣ )  
 سفيرا لأسد خانات الترك يدعوهم إلى الإسلام ولكن لم تلق دعوة  
 استجابة (٣) ومع ذلك فقد سعى الإسلام والحضارة الإسلامية انتشارا  
 عقائديا وحضاريا أكثر مما حققته حروبهم فوجد أن عددا من القبائل  
 التركية بدأ يدخل الإسلام ، بل قامت مدن إسلامية تركية خاضعة لحكام  
 غور لم يعتنقوا الإسلام وهي مدرت ، جند ، خوراه ، يغنى كنت في القسم  
 الأسفل من نهر سيحون وهذا يرجع إلى عوامل عدة :

أولها ظهور التبشير الفردي الإسلامي سواء في داخل العالم الإسلامي .  
 أو خارجه مرتبطا بالتصوف الإسلامي فكانت حياة الصوفية ومناقبتهم  
 لها تأثيرها على الأتراك ولقد انتشر الإسلام في أماكن كان فيها بوذيون  
 وماويون ونصارى ، ويرجع هذا إلى تفرق العالم الإسلامي ماديا ومعنويا

(١) الرشدي بخارى ص ١٤٥

(٢) بارفولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ص ٤٩

(٣) بارفولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ص ٤٩

على كل البلاد المتمدنة ، فالبدو في كل وقت بحاجة إلى حاصلات البلاد المتحضرة، وكان هؤلاء البدو يالفون البضائع الإسلامية ويتأثرون بطراز حياة المسلمين بوجه عام ، وكانوا يتأثرون كذلك بالإسلام لا من الناحية الدينية فحسب ولكن من الناحية المدنية أيضاً فالانضمام إلى العالم الإسلامي المتحضر لم يكن ممكناً إلا إذا دخلوا في الإسلام ، إلى جانب أن الخلافة العباسية أرسلت دعائها إلى خراسان وأقليم ما وراء النهر وكانت الدعوة قائمة على أساس أن ينال كل من أسلم حقوقه السياسية والمدنية دون النظر إلى جنسه وكان مما صرف الترك عن الإسلام وما أدى إلى ارتداد بعضهم في العهد الأموي فرض الجزية عنهم أسلم . ولقد ساعد على انتشار الإسلام وجود المدارس الإسلامية فاليها يرجع الفصل في أن الديانة الزرادشية قد زالت من بلخ وطخارستان سريعاً وإن ظلت متماسكة بعض الوقت في بلاد ما وراء النهر .

ولقد لعبت المدارس الإسلامية في بلاد ما وراء النهر وخراسان دوراً كبيراً في نشر الإسلام وكان بعضها مستقلاً عن الحكومات القائمة . ودخلت أعداد كبيرة من الترك إلى قصور الأغنياء والخلفاء كمنزلهم وجواري لما تمتعوا بهم من جمال وقوة جسدية واستكثر منهم الخلفاء وأصبحوا يكونوا فرق حرسهم الخاص فالقلاج والخلاج كانوا من الغز (١) ومنذ عهد المعتصم تغلبت العصبية التركية فالمعتصم كان يميل إليهم إذ أن أمه تركية الأصل إلى جانب عدم ثقته بكل من العرب والفرس فاستكثر منهم حتى بلغ عددهم ثمانون ألفاً وأنشأ لهم مدينة سرمن رأى ومنذ ذلك الحين بدأ الغنصر التركي يلعب دور رئيسياً في مقدرات الخلافة ولقد وصلت الابدلية

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٢٠

العربية إلى الترك في القرن الثامن . وذكرت المصادر الصينية أن قوافل المسلمين التجارية في القرن الثامن كانت تصل إلى القرغيز ولقد اهتم المسلمون بالطرق المؤدية إلى الصين وكثرت المعلومات في المؤلفات الإسلامية في القرن العاشر عن الطريق إلى الصين والأقوام التركية الساكنة بمحاذاته .

ولكن الفضل الأكبر في نشر الإسلام يعود إلى آل سامان الذين بسطوا سلطانهم على أواسط آسيا في القرنين التاسع والعاشر ٨٢٠ - ١٠٠٠ م وكان سلطانهم يشمل بلاد ما وراء النهر وطبرستان والري والجل و سجستان وكان السامانيون ينتسبون لأحد الأسر الفارسية القديمة وفي عهد الرشيد خرج رافع بن الليث عليه فأرسل إليه الرشيد هرثمة بن اعين وطلب من أبناء أسد بن سامان معاونته فأجبروا رافعا على عقد الصلح (١) ولما تولى المأمون أمر غسان بن عباد أمير خراسان بأن يولى أبناء أسد مدنا هامة من ممدن خراسان وكان ذلك في سنة ٢٠٢ هـ ٨١٧ م وتولى نصر بن أحمد بن أسد بن سامان في عهد الواثق بلاد ما وراء النهر ٢٥٠ - ٢٦٥ هـ (٢)

وفي عهد الأمير اسماعيل بن أحمد بدأ نزو بلاد الترك فحارب طراز و انحال كنيستها إلى جامع وعبر جيحون واشتبك مع الترك ومنحه الخليفة في ٢٨٠ هـ - ٨٩٣ م البلاد من عقبة حلوان وولاية خراسان وما وراء النهر والتركستان والسند والهندوكر كان (٣) ولقد قام السامانيون بنشر الحضارة الإسلامية بين الترك الوثنيين ، وأقاموا في بلاد ما وراء النهر مراكز ثقافية

(١) الرشدي : تاريخ بخارى ص ١٠٥

(٢) الرشدي : تاريخ بخارى ص ١١٧

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ص ٢٢٢

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ص ٢٢٢

عامة كانت عاملا هاما في صبغ الترك بالصبغة الإسلامية فخنفت من خطرهم على العالم الإسلامي ولقد دخل عدد كبير من الترك في جيوش السامانيين ثم الجيوش الإسلامية عامة ولقد تعرضت الدولة السامانية لهجوم من عناصر كثيرة ضمت في أراضيها وأدت في النهاية إلى انهيارها تعرضت لضغط الديلم والعلويين كما تعرضت لضغط البويهيين والغزنويين الذين استقلوا بالقسم الغربي من أراضيها وتلى سقوط السامانيون انقسام سلطانهم بين الغزنويين وخانات الأتراك القرخانيين المسلمين .

وفي القرن العاشر بدأت أعداد كبيرة من الترك تدخل في الإسلام فأسلم بلخار الفلجا وفي سنة ٩٦٠م أسلم ما يقرب من مائتي ألف خيمة من الترك . وتلى ذلك قيام أول دولة تركية إسلامية أقامها أترك الشرق وهي الدولة القراخانية وكان أول ملوكها هو ساتوق بغراخان عبد الملك وكان يطلق عليه اسم آخر هو ( قراخان ) وسميت باسمه الدولة واتخذ العاصمة له مدينة كاشغر وقامت تلك الدولة بمحاربة أعداء الإسلام وخاصة من جاوراها من الترك الوثنيين ثم نقلت العاصمة إلى بالاساغون ومن هناك حاولوا فتح بقية بلاد ما وراء النهر .

وكان من الطبيعي أن يصطدموا بالسامانيين وبالفعل اشتبك بغراخان مع قوات نوح بن منصور الساماني بعد إجراء (١) فائق أمير خراسان من قبل السامانيون اليهم واستنجاده بهم وكان ذلك في عام ٣٧٩ هـ - ٩٨٨ م وانهمز جيش نوح وقبض على أبيج الحاجب الذي أرسله ولقد استمر فائق والي خراسان في تحالفه مع بغراخان سرا والفسح إلى سمرقند وتعبه بغراخان إلى بخارى فاضطر نوح بن منصور إلى الفرار وترك

(١) الرشدي : تاريخ بخارى ص ١٤٥

بخارى التي استولى عليها بغراخان ولكن مالبث بغراخان ان توفي أثناء عودته لتركستان (١).

وفي عهد أبو الخاثر منصور بن نوح تجدد الصراع مع إيلك بخارى واستعاد إيلك بخارى (٢) وفي عهد عبد الملك بن نوح بن منصور استولى إيلك على ما وراء النهر في ٣٧٩ هـ - ٩٩٨ م وفر عبد الملك وقبض على امرائه وأقاربه وبذلك زالت الدولة السامانية. وأخذ حاول المستنصر إسماعيل بن نوح أخو عبد الملك بعد فراغه من سجن إيلك خان وذهابه إلى خوارزم . جمع جيش السامانيين وبعث الدولة ومقاتلة القراخانيين فحارب في سمرقند جعفر تكين أخا إيلك خان وقد أسر من وجماعة من الأجناد على يد جيش السامانيين واستولى إسماعيل على عرش بخارى ، ولكن هزم في النهاية وفر والتجأ إلى الغز ، فأمدّه الغز بجيش وحاربوا إيلك خان في بخارى وانتصروا عليه واستولى إسماعيل على بخارى . ثم خشي الغز بعد ذلك فقر من بينهم ليلا والتجأ إلى سيف الدولة محمود والى نيسابور الذي سار إلى نجدته في بخارى ، وحارب حامية إيلك خان وأخضع بخارى لإسماعيل ولكن جاور إيلك . الهجوم فاضطر إسماعيل للفرار ودير جييون ولكنه قتل في سنة ٣٧٥ هـ و ٩٨٦ م (٣). ثم اتجه القراخانيون بعد ذلك بفتحهم إلى بلاد محمود الغزنوي ونشبت بينهم حروب خسر فيها القراخانيون بهضاً من أراضيهم فاستولى محمود الغزنوي على الولايات شمال جييون وكزهدفه من ذلك ألا يتصل القراخانيون بالخلافة العباسية إلا بواسطة وهذا أدى إلى اتجاه القراخانيون بفتحهم إلى شرق تركستان حيث تفرغوا لمحاربة الأتراك (٤).

(١) الرشدي : تاريخ بخارى ص ١٥٥ : تاريخ البيهقي ص ١٤٧

(٢) الرشدي : بخارى ص ٩٤٧ ابن بطون : التاريخ ص ٩٩٧

(٣) الرشدي : تاريخ بخارى ص ٩٤٩ قاموس التاريخ ص ١١٦ - ١٢٠

(٤) خوندميز : حبيب السير ص ٢٠ ص ٤٩

ولم يكن دخول القراخانيين الإسلام هو النصر الوحيد بل كان اعتناق  
 حرم آخرين من الأتراك الإسلام يعتبر بحق هو النصر الحقيقي الأول  
 للسلاجقة الغز.

### السلاجقة

كان ظهور السلاجقة نقطة تحول خطيرة في تاريخ الدولة الإسلامية  
 والحضارة الإسلامية فقد كان العالم الإسلامي يعاني في القرن الخامس الهجري  
 و الحادى عشر الميلادى ، من مشاكل داخلية وخارجية تتمثل في الصراع  
 بين الخلافتين العباسية والفاطمية . ثم ضعف العباسيين وسيطرة الفرس  
 البويهيين عليهم إلى جانب توسع بين نقطة على حساب الدولة الإسلامية في الشام  
 ولسكن السلاجقة بقوام الفتية استطاعوا استعادة وحدته السياسية في  
 نفس الوقت الذى منحوا فيه الحضارة الإسلامية مظهراً وحياة جديدة بما  
 استحدثوه من أنظمة وقوانين (١).

وكان فتح وتترك الشرق الأدنى وخاصة الأناضول واحداً من أهم  
 التغييرات السياسية التي أوجدتها الإمبراطورية السلجوقية (٢).

والسلاجقة فرغ من القبائل الغزية التي اتجهت إلى الأراضي الإسلامية في  
 المغرب حيث سيطروا على الوادى الأدنى لسيحون. ولقد اختلف المؤرخون  
 على أصل التسمية فيذكر محمود الكاشغرى أن رئيس الأسرة الغزية يسمى  
 سوباش أى قائد الجيش، وذكر قامبرى أنه كان قائد لجيش أمير يدعى بغو  
 والمصوص التركية تذكره Seltchuk ولكن عدداً كبيراً من المصادر  
 الإسلامية ذكر أن زعيم تلك القبائل كان يسمى سلجوق بن دقاق (٣)  
 وهو الذى وحد تلك القبائل ثم قام بالهجرة بها إلى أراضي

(١) Camb . Hist of Islam. vol I p261

(٢) عن السلاجقة أنظر . الراوندى : راحة السندور برآية السروى الحنبلى : أنبار

١٩٧٨ : ١١ : لى بى والبندارى : تاريخ دولة آل سانيو وقامبرى : تاريخ بنووى ٩٧٨

(٣) الراوندى : السلاجقة ج ١ ص ٢٠



المسلمين ويبدو أن علاقته بالمسلمين الذين كانوا يسكنون نهر سيحون كانت  
وطيدة ولقد اعتنق الإسلام على المذهب السني ولكن هناك فارقا واضحا  
بين السلاجقة وقبائل الغز الأخرى فالعناصر النزية الأولى سواء من  
ماهاجم بين نطة أو دخل الأراضى الإسلامية كان عبارة عن فرق متفرقة  
ليس بينها رابطة ولا نظام ولا تشكيل مدغها السلب لا الاستقرار بمسمى  
السلاجقة الذين كان يلقب قادمهم بالفاتح والامير وكانت قوتهم متفوقة نظاما  
وتشكيلا (١) ولقد تعرض الغزنويون لغارات السلب التى قام بها الغز وإن  
كان السلطان محمود الغزنوى قد استعان بالتركمان فى جيشه وفى غزواته للهند  
ولكن لم يكن من اليسير السيطرة عليهم فاضطر السلطان محمود حين اراد  
طغيانهم إلى أن يلقى بهم بحمد السيف فى بلخان كوه . ولكن هذه الغارات  
على اتساع مساحتها ما كانت تحدث أى تغيير سياسى ذلك أنهم اعتادوا  
أن ينتقلوا من مكان لآخر دون أن يتركوا حاميات عسكرية ولا يقيموا  
دولا مستقرة (٢) .

ولكن السلاجقة رغم أنهم فى هذه الفترة كانوا ما يزال ينسب عليهم  
طابع القبيلة كانوا أكثر تنظيما ودراية من غيرهم من الترك . ولقد اتخذ  
السلاجقة قاعدة لهم مدينة جند فى بلاد ما وراء النهر ويبدو أنهم استولوا  
عليها من حاكمها المسلم شاه ملك . وفى البداية انضم السلاجقة إلى جانب  
السامانيين ضد القراخانية الذين استولوا على بخارى وسمرقند ويذكر  
الترشخى « أن المستنصر اسماعيل بن نوح أخو عبد الملك آخر الحكام  
السامانيين حين حاول بهت الدولة السامانية واشتبك مع القراخانية لقره  
شديدة فقر إلى الغز فأمدوه بقوات لمحاربة ايلك خان فى بخارى وبفضل قوتهم  
انتصر على ايلك خان واستعاد بخارى ثم خاف الغز فقر من بينهم ايلك

(١) عبد القيم حنين سلاجقة إيران والعراق ص ٩٩

(٢) البيهقى : تاريخ البيهقى ص ٤٤

وبعد انهيار الدولة السامانية تحالف القباخانيون مع السلطان محمود الغزنوي ضد السلاجقة ، نتيجة لذلك حلت بالسلاجقة الهزيمة <sup>(١)</sup> ، وفي تلك الاثناء توفي سلجوق وخلفه اربعة من ابنائه وهم <sup>(٢)</sup> ارسلان ، ميكائيل ، يينور ، موسى . ولقد قُبِلَ السلطان محمود على ارسلان بالندبة سم حسنة في إحدى قلاع الملتان بالهند إلى أن مات ، وبعدها سمخ للسلاجقة بالإقامة في إقليم خراسان في المنطقة بين نسا وبأورد ولكن اشكى منهم أهل هذه المنطقة فأرهم السلطان محمود وانتصر عليهم ، ولكن تلى وفاة السلطان محمود وتولية ابنه مسعود محاولتهم التوسع في أراضي الغزنويين وكان مسعود قد استعان بهم لتدعيم جيوشه في نيسابور وكان يرأسهم ثلاث قادة هم قزل ، بوقه ، كوكناشي ، وبعد تنفيذ المهام المطلوبة منهم انقلبوا وعادوا إلى سيرتهم الأولى من النهب والسلب ، وضاعت مواحي الري والجبان بسببهم واستطاع الغزنويون أجلاءهم بعد جهد عثيف ، ولقد سعى السلطان مسعود لنقل التركان من هراة وترحيلهم لغزنة فلما عرفوا بما يدبر لهم جاءوا من الري لخراسان وافسدوا في الأرض <sup>(٣)</sup> . ولقد ازداد سلطان السلاجقة إلى حد أنهم طلبوا من السلطان مزيدا من البلاد ليقيموا فيها . وكان من الطبيعي ألا يقف الغزنويون أمام التغلغل الذي مكسبوا الأيدي وقرر السلطان مسعود التصدي لهم وأخذ من توسعهم <sup>(٤)</sup> ولكن جند مسعود كانوا مترفين ينفرون من الحروب ، بعكس القوات التركية التي تغلب عليها روح القبيلة والفتوة ، فالمعركة بالنسبة لهم معركة مصير تهريمتهم تعنى انحصارهم في بقاع محدودة لم تعد تتسع للاعداد المتزايدة

(١) الأرشيفي : تاريخ بخارى ص ١٤٩

(٢) يذكر أحيانا امراةيل يينور « ارسلان » ، ابن الاثير ج ٩ حوادث ٤٣٢ هـ

(٣) البيهقي تاريخ البيهقي ، ترجمة الخشاب ص ٩٨

(٤) البيهقي : تاريخ البيهقي ص ٦٣٤

(٥) القرطبي الملوك ١ هـ ١ ص ٣٢

لترك . واشتبك الفريقان في معارك عدة ، وفي البداية هزم السلاجقة في سرخس ، ولكنهم عادوا لهجوم على الجيش الغزنوي الذي حاقته الهزيمة ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م<sup>(١)</sup> واضطر السلطان لقبول مهادنة السلاجقة والاستجابة لمطالبهم التي نصت على الاعتراف بما في أيديهم من أراضي وذكر البيهقي رسالة موجهة من السلاجقة إلى وزير مسعوده نحن على ما رأى الوزير الكبير وأن عليه أن يبين عظمته حتى يذهب عنا غضبه فيمنحنا الولاية والأودية والمراعى للسكن فيها ونبقى في دولته قائمين على خدمته وبهذا يستريح أهل خراسان من النهب وشن الغارات<sup>(٢)</sup> فمنحهم نسا وباورد وهراء على شرط ألا يتعرضوا للمسلمين ولكن ما لبث السلاجقة أن عاودوا التوسع فعاد طغرل إلى نيسابور وداود أقام في سرخس ، وذهب البناليون إلى نسا وباورد .

في حين انصرف مسعود لحياته الخاصة ولهوه غير عاني بما يحدث ولكن مع ازدياد غارات طغرل السلجوقي اضطر السلطان للخروج إلى سلاطته سنة ٤٣١ هـ عند مرو ولكن اقتصر السلاجقة لتخاذل جند السلطان وتراجعهم بل انضم بعضهم إلى السلاجقة<sup>(٣)</sup> وهزم الغزنويين في معركة الداندقان ، وأعلن طغرل نفسه والياً على خراسان ٤٣٢ - ١٠٣٧ م . وكتب الرسائل لحانات تركستان ولأعيانهم ينبؤهم بالفتح . . . ولقد اتفقوا على أن يذهب طغرل إلى نيسابور وأن يستقر يغوفى مرو وأن يسير داود مع معظم الجند إلى بلخ ليستولى عليها وعلى طخارستان وأرسل إلى الخليفة العباسي القائم يطلب تقليداً بأمره ودعاه الخليفة إلى الحضور لبغداد ولم تجد محاولات مسعود لمقاومة السلاجقة فقرر الهروب<sup>(٤)</sup> ولكن غلبته

(١) الغزنوي : السلوك ١ - ص ٣٢ .

(٢) البيهقي : تاريخ البيهقي ص ٦٤٧ .

(٣) البيهقي : تاريخ البيهقي ص ٦٨٨ .

(٤) Enc. Isl. Art. Seljuks .

جمعوا في أمواله فانتفضوا عليه وحبسوه في قلعة ماريشكة وأمر الحاكم الجديد بقتل مسعود وتوسيع السلاجقة في بقية الممتلكات النورية في عهد خلفاء مسعود واتجهوا بعد ذلك إلى أن النورية فاستولوا على قزوین وأبر وحماني وأذربيجان ثم اتجهوا لكرمان وأصفهان وبنار وبنالك يكون السلاجقة قد سيطروا على إيران الجنوبية والشرقية وتطرقوا إلى إقليم الجزيرة ووصلت حدودهم إلى بزنطة .

ولقد اتخذ السلاجقة في البداية لقب شاهنشاه عند توليهم حكم خراسان . ولكن بدخولهم إلى الغرب إلى أراضي الدولة الإسلامية اتخذوا لقب سلطان الإسلام وكان السلطان يلى الخليفة في المنزلة ، ودخل طغرل بك إلى بغداد ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م وحل السلاجقة محل البويهيين في السيطرة على الخلافة ، وبحكم أنهم حماة الخلافة والإسلام ، وبوصفهم سنين متعصبين فقد كانت عليهم جهاد أعداء الدولة والإسلام فحاربوا الغز ابتداءً بجلستهم وأنضعهم لسلطان الإسلام ، وانخضعوا الثورات في فارس ، وحاربوا الفاطميين المخالفين للعباسيين في المذهب الديني واستردوا منهم بيت المقدس الرملة دمشق ، وتصدوا لبزنطة أكبر الدول المسيحية آنذاك وتوغلوا في أراضيها .

فقام فرع من السلاجقة الاوهم ما عرفوا بسلاجقة الروم بالاتجاه إلى أراضي بزنطة واقتطاع آسيا الصغرى وتكوين دولة كانت من أطول

(١) ذكر البيهقي كيف أن السلطان تملكه الخوف وذكر على لبنان وزيره احمد بن عبد الحميد « اعلم ان السلطان شديد الخوف عن هؤلاء الأعداء وقد حاولت عبثاً احله على التجلد ، ولكن يبدو أن الله قضى أمره وأنا شقي فادرس من شيء بعد ذلك » وقد قرأ نفسه أن داود لا عالة قاصد غزته بعد أن هزم التوتاش وتكلم كثيراً ميتاً أنه ليس من المقول ان يعصد داود بلداً آخر ولم يفرغ من بلخ ، وخاصة غزاة ولا سكن كلامي .

الدول السلجوقية عمرا إذا استمرت من (١٠٧٥ - ١٣٠٢ م) ويعود الفضل لهذه الدولة في تزريك المنطقة أى صبغها بالصبغة التركية والتهميد فيما بعد لدولة غزية أخرى استطاعت الاستيلاء على القسطنطينية نفسها وهى الدولة العثمانية .

### السلاجقة وآسيا الصغرى

في ١٠٧٥ م وبعد خمس وثلاثين عاما من تكوين امبراطورية السلاجقة في فارس تأسست دوله سلاجقة الروم في الأناضول على يد سليمان بن قتيلش ، كنتيجة مباشرة لمعركة مانزكرت ١٠٧١ - ٩٤٣ م . ولكن توغل الغز في الأناضول يعود لفترة سابقة على ذلك ، بدأت من ٨٤٠٩ - ١٠١٨ م ولقد اتخذت الهجرة التركية مظهرين الأول اتخذ شكل غزوات فردية وكان مجرد استطلاع وارتداد للمنطقة واستغرق الفترة من ٨٤٠٩ - ١٠١٨ م إلى ٨٤٣٣ - ١٠٤٠ م . أما الفترة التالية ١٠٤٠ - ١٠٧٥ م فقد كانت من انفترات الحساسة في تاريخ المنطقة ، انهارت فيها المقاومة البيزنطية ، وبدأ الفر في الاستقرار في بعض مدنها وقلاعها وكان تمهيدا لاستقرارهم الدائم في آسيا الصغرى .

وآسيا الصغرى أو الأناضول تمثل منطقة حساسة وهامة بالنسبة لبيزنطة (١) تعرضت المنطقة لهجمات مستمرة من جانب الفرس منذ القرن الرابع الميلادى ، ثم لمحاولات الغزو العربى في القرنين السابع والثامن . الأمر الذى أدى مع انتشار الأويثة ، إلى نقص عدد السكان ، ومع ازدياد ارتياد الجيوش العربية للمنطقة كان على بيزنطة زيادة الاهتمام بأمنها فوضعت نظاما للدفاع يقوم أساسا على تشجيع البنادقة العسكرية .

١) كانت آسيا الصغرى تضم أهم الولايات البيزنطية كان هناك من البنادقة ومن سلاجقة الروم ومن الدولة الأيوبيّة .

في مناطق الحدود ، وعهدوا بملكية تلك المناطق إلى القرى الجماعية وفي شكل مقاطعات كبرى تمكثها أن تمد الدولة بالجنود اللازمين لها في حالة الحرب والسلام فآدى ذلك إلى تغير الوضع وعاد الأمن يسود المنطقة إلى حد كبير . وفي القرن التاسع كان نظام الدفاع هذا يتولاها أمراء ونبلاء سرفرا باسم Akritia وكان عملهم ينحصر في مهاجمة أراضي الأعداء أو صد الهجوم وكانوا مستقلين لا يخضعون للسيطرة الفعلية للدولة ، وكانت أراضيهم معفاة من الضرائب ، بل أن الدولة كانت تسكاهم على خدماتهم وظل هذا النظام قائما طوال فترة الصراع البيزنطى الإسلامى (١) .

وكان في الجانب الإسلامى نظام مقابل فاهم الخلفاء بمناطق الحدود الإسلامية اهتماما كبيرا خاصة في مناطق أذنة وطرسمون والمصيصة وهي الحدود المشتركة مع بيزنطة . وكان المنشقون من الجانب الإسلامى الخارجون على سلطة الخلفاء يحدون الحماية عند أمراء الحدود Akritia الذين كانت غالبيتهم تتبع الكنيسة الأرمنية المنشقة . ولكن بدأ نظام الدفاع الإسلامى ينهار منذ منتصف القرن التاسع حينما بدأ الضعف يذب في الخلافة العباسية وسيطرت عليها عناصر مختلفة من أتراك وفرنس ، في نفس الوقت الذى بدأ فيه عصر الضحوة أو النهضة في التاريخ البيزنطى وخاصة في عهد نقفور فوكاس وحنان مسكيس ولم تعد الحدود الفاصلة جبالا بل أراضي مزروعة فهناك حامية بيزنطية في انطاكية ، وعدد من المدن الأخرى . ولم تعد الحاجة ماسة لأمراء الحدود فبدؤا في توطيد سلطانهم على المناطق التى سبق لهم الحصول عليها في غزواتهم السابقة في الاناضول وظلوا شبه

Camb. Hist. of. Islam. vol I p. 231

(١)

Runciman The Fall of Constantinople p 22

Runciman : op. cit. p 22

(٢)

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٠-١٩١ ذكر البلاذرى نظام الصوائف والعوارج .

مستقلين ، (١) وأحاطوا أنفسهم بجيوش وكونوا أساس الارستقراطية التي اصطدمت بالامبراطورية في منتصف القرن الحادى عشر وفى نفس الوقت فإن محاولات بينظطة لبسط سيطرتها على مناطق الحدود فى ارمينية وخاصة تجاه الشمال اضعف (٢) نظام الدفاع .

وفى القرن الثانى عشر بدأت صلة بينظطة بالأتراك تدخل طورا جديدا . وفى هذه المرة لم يكونوا حلفاء كأتراك القرن السادس بل اعداء (٣) وهنا نفرق بين عنصرين من الأتراك : دولة السلاجقة النظامية من جهة ، وقبائل التركمان من جهة أخرى . وإن كان عدد كبير من القبائل التركمانية قد خضع لسلطان السلاجقة ، وأن دثبوا على التمرد والثورة . وكانت أول المشاكل التي واجهت الامبراطورية السلجوقية كانت مشكلة أولئك التركمان ، وإيجاد أراضى للأعداد المتزايدة منهم . ولقد اعتبر كل من طغرل بك ( ٥٤٢٩ - ٥٥٥٠ ) ، ألب أرسلان ( ٥٤٥٥ - ٥٤٦٥ ) — وملك شاه ( ٥٤٦٥ - ٥٤٨٥ ) التركمان من أشد العناصر خطورة على أمن الدولة وقانونها فوجهوهم إلى أراضى آسيا الصغرى وبذلك آمنوا أولا من اجتياحهم الأراضى الإسلامية ثانيا دعموا قواتهم ضد بينظطة ففتح الأناضول وتزريكه كانت نتيجة لتلك السياسة واستجابة لتلك الاحتياجات . واقد اتجه التركمان بدعم من السلاجقة ، ولكن تحت رأسه بكوناتهم من أذربيجان إلى أقصى الشرق فى قلب وغرب آسيا الصغرى ، ونتيجة لهذا التوغل والاجتياح المستمر لأراضى بينظطة ، فقد استطاعوا الاستيلاء على السهول والهضاب والمناطق المكشوفة بل على مدن بينظطة هامة كإزروم . ٥٤٤٠ - ١٠٤٨ م وقرسيا فى ٥٤٤٦ - ١٠٥٤ م ماطية ٥٤٤٩ - ١٠٥٧ م .

Runicman op. cit p 221

(١)

Camb. Med Hist. vol 4 p. 162

(٢)

Wasiliev. The Byzantine Empire p 359

(٣)

سيواس ٥٥٤١ - ١٠٥٩ ، قيصريّة ٥٤٥٩ - ١٠٦٧<sup>(١)</sup> قونية وعمورية  
٤١٥ - ١٠٦٨ ، وناس ٥٤٦١ - ١٠٦٩ .

ولقد ساعدت ظروف بين نقطة التركان على تأمين فتوصلهم فما وقع من  
الفتى بالقسطنطينية ، وما نشب في الحروب بين القادة البيزنطيين في أطراف  
الدولة ، يضاف إلى ذلك عجز الحاميات البيزنطية المرابطة في حصون  
منيعة ، بأطراف البلاد عن السيطرة على الطرق المؤدية إلى داخل آسيا  
الصغرى<sup>(٢)</sup> .

وأول إشارة إلى الترك السلاجقة تعود إلى عام ١٠٢١ م في عهد  
الامبراطور باسيل . حيث قام السلاجقة والتركمان بمهاجمة أرمينيا ، فاضطر  
حاكمها حناسباد إلى التنازل عن أمارته لباسيل وقبول شروطه مقابل  
أن يظل ملسكا أثناء حياته<sup>(٣)</sup> ، وطلب الامبراطور من ملك الأبخاز  
(جورجيا) صد هجمات الأتراك السلاجقة الذين تعددت هجماتهم على أرمينيا ،  
وكان هجومهم مقترن بحدوث مجاعات ، وقد ازداد هجوم السلاجقة على  
أطراف الامبراطورية في عهد ميخائيل البافلاجوني (١٠٣٤ - ١٠٤١ م) .

ولكن السلاجقة أصبحوا يمثلوا خطراً حقيقياً منذ عهد الامبراطور  
قسطنطين التاسع ، ولقد أتاح لهم الامبراطور الفرصة للتغلغل في أراضي  
بين نقطة لسياسة التي انتهجها تجاه أرمينيا ، فلقد قبض الامبراطور  
قسطنطين بوسائل الخداع على جاجك حاكم أرمينيا وأجره على التنازل عن

---

(١) الامبراطور باسيل من الأسرة المقدونية حكم ٩٧٦ - ١٠٢٥ م

(٢) Canib Med Hist vol.4 162

(٣) يمين بن حميد : التاريخ المجهول ، ص ٢٤٠



مدينة آني<sup>(١)</sup> ، وعند استيلاء البيزنطيون عليها قاموا بالتنكيل بأهلها ،  
وتعرض أمراء الحدود للنفي والقتل ، وأحل البيزنطيون حاميات يونانية  
مكان الأرمينية . وقاموا بتدمير العديد من المدن وتخريبها . ولم يجهلوا  
للتترك وزنا وحسابا في خططهم لجهلهم بمدى قواتهم وخطوراتهم<sup>(٢)</sup> .

ولما علم طغرل بك بما أصاب أرمينيا من الضعف عاد إلى مهاجمتها وتدمير  
مدنها لسنوات عديدة ، واستباح مدينة سمباد المنية و نكل بسكانها ، ولقيت  
نفس المصير مدينة Ardzen التجارية غرب أرضروم ، وقرر البيزنطيون  
آخر الأمر التصدي للقوات التركية ، رغم قيام ثورة ليرتورنيكوس  
سنة ١٠٤٧ م . ولكن أحد قادة السلاجقة وهو إبراهيم بن اينال أحرز  
انتصارا باهرا على القائد حنا كومنين الذي تولى قيادة الجيوش البيزنطية<sup>(٣)</sup>  
وحليفه ملك جورجيا ليبارتيس الذي سقط أسيرا في أيديهم ، وتلى ذلك  
توغل السلاجقة في آسيا الصغرى فقاد طغرل جيشه وتقدم في أراضي بزنطة  
وأرزن الروم وظاهر طرابزون ، وأرمينيا فيما بين فان وجورجيا ، وحاصر  
ماتركزت فلجأت الحكومة البيزنطية إلى المفاوضة وطلب الصلح ، وكان من  
شروط هذا الصلح الإفراج عن حاكم جورجيا ، فيذكر ابن الأثير دقاربظ  
ملك الأبخاز ، بذل في نفسه ثلاثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف<sup>(٤)</sup> .  
ومع ذلك فقد استمر طغرل وجوع التركان في مهاجمة الإمبراطورية  
فنهبوا قبادوقيا وملطية سنة ١٠٥٧ م ووصلوا لسيواس ، وعند تولية  
الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكل ( ١٠٥٩ - ١٠٦٧ ) اقتحموا مدينة  
سيواس وأجروا فيها مذابح وحشية .

Gahen : Turkish invasions p147 (١)

Camb.Med. Hist vol 4 p165 (٢)

(٣) ابن الأثير : السكامل حوادث ٤٤٦ هـ

(٤) ابن الأثير : السكامل حوادث ٤٤٦ هـ

القرطبي : السلوك ١٢ قسم ١ ص ٣٢

يذكر القرطبي إل من شروط الصلح تعمير مسجد القسطنطينية وإقامة الخطبة فيه لطرل

ولم يكن في عام ١٠٦٣ م توفي ملوك و خلفه الب أرسلان سنة ١٠٧٣ م .  
 ١٠٧٢ م قد خلت العلاقات من سدة جديدة إلا وهي من سدة الاستقرار أو الدائم  
 في قلب الأمبراطورية و هي في نطاق واسع ، شطرنج هذه وفاته لم يترك لها  
 كان مع الأرميني أن يحدث ، أعين بين أخيرا إلى البيت الساجوق في على خلافته  
 ولم يكن أخاه جغري الذي كان قد توفي قبله قد ترك عددا من الأبناء كان  
 أكبرهم الب أرسلان الذي كان يحكم خراسان وما وراء النهر واستطاع أن  
 يبي المرش ، ويعترف به رئيس البيت الساجوق ، (١) وكان لائب أرسلان  
 أهداف أساسية واضحة يسمى لتحقيقها أو لها التوسع على حساب التوسع  
 المهادية الخلافة السنية ليدور في نظر العالم الإسلامي المدافع في سيره  
 المتقدمة الإسلامية ، وبذلك كان عليه التصدي للخلافة الفاطمية التي كانت  
 منصر ، ثم الدولة البيزنطية و لقد قاده أخلافة العباسي سجن كل عام من  
 البلاد شارج سبوح دولته سره كانت هذه البلاد في يد البيزنطيين أمرا أن  
 الذين يتخالفون في المذهب (٢)

ولقد وجه الب أرسلان جهوده إلى بيزنطية بعد قصاته على الفرس التي  
 آثارها سمه ينفوه وعقده تحالفات مع بقايا القراخانيين والغزنويين وبدأ  
 الب أرسلان غزواته من القوقاز يصحبه ابنه ماسك شاه وانضم إليه أحد أمراء  
 التركمان وهو طغتكين (٣) ، انفصل ملك شاه عن الجيش الرئيسي واتجه  
 إلى بلاد الكرج (جورجيا) ، وهاجم عددا من الحصون فمرض حاكما  
 الصلح مقابل دفع جزية ، في حين اتجه الب أرسلان إلى أرمينيا فحاصر آني  
 واستولى عليها ودمر قصورها ومعابدها وقتل آلاف من أهلها ، وامتدت

Grousset : Histoire de : l' Arménie . P604

Camb . Med. Hist . vol4 . P167 (٢)

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٤٦ م

خروج الب أرسلان إلى أرمينيا الصغرى<sup>(١)</sup> ، وانفتح المجال أمامهم فهاجموا قبادوقيا وهاجمت القوات التركانية التابعة لألب أرسلان عجمورية وقونية وقلقية وقصريه ومضت في زحفها سنة ١٠٦٧ حتى بلغت ملطية وفريجيا ولم يستطع الإمبراطور قسطنطين صد ذلك المد التركي ، ومع ذلك يقال أن جماعات من الترك دخلت في خدمة البيزنطيين واستغلواهم في قمع الفتن الداخلية .

### معركة مانزكرت

خلف قسطنطين على عرش بزنطة رومانوس ديوجنس ١٠٦٨ م — ١٠٧٦ م وهو جندي قدير أثبت كفاءته ومقدرة في حروبه ضد الغز والبيجناك في عهد كل من قسطنطين التاسع والعاشر مما جعله يحصل على تأييد الحزب العسكري<sup>(٢)</sup> . وقد بدأ عهده بإعداد جيش على قدر من الكفاءة ولكن غاليته كانت من العناصر المأجورة ، وهذا يوضح أن انتصاراته بين عامي ١٠٦٦ — ١٠٦٩ لم تكن حاسمة لأن جيوشه كانت تفتقر إلى التجانس والنظام ، في حين امتاز الجيش التركي بالسرعة والمقدرة على الحركة والمناورة وفي ١٠٦٨ اغترضت جيوشه جموع السلاجقة التي نهبت نيكسار وأجبرتها على ترك غنائمها . ثم اتجه إلى بلاد الشام حيث هاجم ارتاح ومنبج . واستغل السلاجقة الفرصة للتوسع في آسيا الصغرى فيما بين قيصريه وقبادوقيا ، واضطر الإمبراطور للعودة لمواجهة لغيا ب حاكم أرمينيا Philaretos الذي لقي هزيمة على يد الترك عند ملطية . وفي ١٠٨٠ م هاجم الترك قونية

Grousset . Histoire de l'Arménie p 609 (١)

Cahen : Turkish Invasion p 147

Anna Comnena : Alexiad (٢) عن معركة مانزكرت

Trans Dawes, Book I p 7 - 8

Michael psellus : The Chronographia, trans Sewter, p 189

ابن الأثير : تاريخ دمشق ١١٧

ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٤٥٦ هـ — ٤٦٣ م

فأرسل الإمبراطور القائد مانوين كومنين ، على رأس جيش بيزنطي ولكن هزم عند سيواس .

وفي ٤٦٤ هـ - ١٠٧١ م اتجه ألب أرسلان إلى جانب الخلاف نشب بينه وبين أميرها محمود المرداسي حيث أنجزه على الاعتراف بسلطانه ولكن أثناء عودته بلغته أنباء التجمعات البيزنطية في مازكرت قرب بحيرة فان ، وكان الإمبراطور قد جمع جيشا بلغ تعداد ما يقرب من ٣٠٠ ألف مقاتل ولكن غالبية الجيش كانت من المأجورين من الفرنجة والنورمان ، والترك والغز والبيجناك ، وكان من الطبيعي أن يقتصر جيش مثل هذا إلى الوحدة إلى جانب أن العصبية غلبت ، على المقاتلين الترك فانضم الغز أثناء القتال إلى السلاجقة ، ولم يكن الجيش قد استكمل استعداداته عند بدء القتال ، فقد جرى إرسال فرق من الجيش للحصول على المؤن ، وأخرى للاستيلاء على خللاط (١) .

وفي ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م لحقت بيزنطة هزيمة ساحقة في مازكرت ، ووقع الإمبراطور رومانوس أسيرا في يد ألب أرسلان الذي وافق على إطلاق سراحه مقابل فدية كبيرة مع عقد اتفاقية نصت على أن يدفع جزية سنوية الأتراك ، وإجباره على إطلاق سراح من وقع في أسره من الترك (٢) ، وتعمده بإمداد الترك بالمعونة العسكرية متى طلبوها واتفقوا على تقسيمات إقليمية جديدة فتظل في أيدي الترك آفي وفاسبوركان ومازكرت وتحفظ بيزنطة بإقليم الأتاراف Tbeadosiopolis ، وبعد توقيع تلك المعاهدة عاد رومانوس إلى القسطنطينية ، ولكن فوجيء بعوله عن العرش ، وأثناء فترة أسره في أيدي السلاجقة تولى زوجته الإمبراطورة أوديكسيا .

(١) Ostrogorsky : op cit P 304

Grousset : op cit p 629

(٢) الراوندي : راحة السدور ص ٢٨٩

ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٤٦٣

ابن العبري . تاريخ الخضر الدول ص ١٨٥

العرش مع ابنها الأكبر ميخائيل دوكاس ، ولكن أجبرت الامبراطورة في ١٢٤٠ أكتوبر سنة ١٠٧٧ م على دخول النير . و أعلن ميخائيل السابع انقراض طور و عومل رومانوس كعدو للامبراطورية عند عودته للقاسية وقبل الامبراطور تسليم نفسه في مقابل حصوله على عهد بالامان ، ولكن الامبراطور ميخائيل نقض وعده و سملت عينا رومانوس .

ولقد اعتبر الب ارسلان ما حدث لرومانوس نقضاً للاتفاقية السابقة واطلاقاً ليد الترك في آسيا الصغرى ، وأصبحت الامبراطورية في وضع يشبه الوضع الذي كانت عليه عند بداية الفتح العربي (١) .

ولكن في الفترة الاولى واجهت القوات الإسلامية الغازية خلفاء هرقل الذين امتازوا بالقدرة والمهارة إلى جانب ما كانت تتمتع به الامبراطورية من مقومات ومصادر داخلية مكنتها من المقاومة والتصدي للمد الإسلامي أما الآن فإن كل شيء قد انهار تماماً . كما انهار أيضا نظام الدفاع القائم على امتلاك الجندي للأرض ، وأصبح سلطان السلاجقة القوي يواجه اميراطورا ضعيفا خلفه حاشية فاسدة .

ولقد ترتب على موقعه ما ذكرت نتائج هامة كان لها تأثير كبير على مستقبل بيزنطة والعالم الإسلامي والغرب الأوروبي .

فقد أثبتت تلك الحرب أن بيزنطة لم تعد حامية للعالم المسيحي الغربي وحامية لأوروبا من الغزو الإسلامي ، ولذلك كان على الغرب أن يواجه الموقف الجديد حتى قيل أن المقدمة أو التمهيد الطبيعي للحروب الصليبية . كانت ما ذكرت ، فيشير ولهم الصوري مـرخ الحروب الصليبية أن هذه

---

(١) Ostrogorsky op cit p 354

الخرقة كانت أهم عامل خدام الحركة الصليبية<sup>(١)</sup>، وكان من نتائجها أيضا القضاء على التحالف بين نسطور الفاطمي بعد اضطرابه في نقطة لمادة السلاجقة وكان الفاطميون يمثلون حلفاء لهم أهيتهم في الشرق، ورغم أن الب أرسلان لم يستغل انتصاره ولم يعتبرها أكثر من معركة خاضها وانتصر فيها ترتيبه عليها بعض مكاسب أفريقية، فلم يحاول الاستيلاء على بقية آسيا الصغرى أو تحطيم الامبراطورية البيزنطية، ومع ذلك فإنه تلى تلك المعركة تغييرات جذرية في آسيا الصغرى<sup>(٢)</sup>، فلقد ترتب على انهيار المقاومة البيزنطية انتشار الترك في آسيا الصغرى بطريقة سريعة ومفاجئة مما أدى إلى تغير مستقبل السلالات الجنسية في المنطقة ويرجع بعض المؤرخين هذا إلى دخول أعداد كبيرة من سكان المنطقة في الإسلام<sup>(٣)</sup>.

وعلى كل فإن ترك المنطقة أو صبغها بالصبغة التركية الإسلامية استغرق عدة قرون فالسلاجقة كونوا أول هجرة تركية المنطقة. أما الهجرة الثانية فقام بها الترك الذين هربوا قبل الفز والمغول من وسط آسيا وفارس، حيث انتشروا في مناطق وسط الأناضول إلى شواطئه ولقد تم هذا خلال السبعينات من القرن الثالث عشر ورغم أن الدولة السلجوقية في الأناضول كانت تقوم في البداية على أساس قبلي فإنها سرعان ما ضمت فئات ونوعيات مختلفة، ولم تعد مقصورة على المقاتلين وضمت فلاحين، وتجار، حرفين، رجال الدين<sup>(٤)</sup>.

أما بالنسبة لأرمينيا فقد زالت تماما الإدارة البيزنطية في أرمينيا وقادوقيا بعد أن هجرها أهلها واستسلمت المدن للتركان بل القس بعضهم

William of Tyre. Hist of Deeds Done Beyond thesee (١)  
vol xx p 20

Grousset, Histoire de l'Armenie p 924 (٢)

The Camb Hist. of Islam. p 233 (٣)

The Camb. Hist of Islam vol I d 234 (٤)

حمايتهم وسمح الأتراك لهم بحكم بلادهم بأنفسهم ، إلى جانب أن نظام الدفاع البيزنطى الذى تولاه أمراء الحدود قد انهار وبدأ الجند الفلاحين المرابطين على الحدود يختلطون بالمسلمين ويأتسون إليهم وبذلك تعرض نظام الحدود البيزنطى إلى ضربة قاسية ، وخاصة أن بزنطة بعد هذه الهزيمة بلغت إلى انزال جند مرتزقة فى أرمينيا والرها ، ولم تحاول الاستعانة بالسكان الأصليين مما أدى إلى انبعاث الكراهية لبزنطة فى تلك المناطق . ولقد ترتب على استيلاء الترك على أغلب الولايات الأرمنية فقد بزنطية لمورد بشرى هام لجيشها فإن الأرمن كانوا يكرتون فرقا أساسية فى الجيش البيزنطى .

## الفصل الثالث

### مملكة سلاجقة الروم

بعد عزل رومانوس ديوجينيس اعتبر البارسلان ان الاتفاقية البيزنطية التركية ملغاة وأرسل رسالة لرومانوس ينبأه فيها أنه سيجتاح اناطوليا انتقاما له . ولكن ما لبث أن توفي البارسلان (٤٦٤ - ١٠٧٣ هـ) وخلفه ابنه ملكشاه الذي استمر على سياسة ابيه في التوسع في اسيا الصغرى ولكن قيام مملكة سلاجقة الروم في الاناضول لا يعود إلى الدولة النظامية بقدر ما يعود إلى العناصر التركمانية المستقلة . والتركمان الذين أقاموا في آسيا الصغرى ينقسمون إلى قسمين التركمان الخالص الذين حرصوا على الاغارة على الكفار والذين كرهوا كل ما يتعلق بحكومه نظامية من افكار ، ثم التركمان الذين أقاموا في اسيا الصغرى دولة نظامية شبيهة بالتي أقامها بنو عمومتهم في إيران (١) .

والتركمان الأول كانوا يمثلهم الدانشمندان الذين استقلوا في سيواس وسيطروا على كل الطرق التي تجتاز شمال آسيا الصغرى (٢) وزاغراس الذي استقل بأزمير ومنجوشك وغيرهم ، على أن الفرق بين الفئتين لم يكن واضحا (٣) ، إذ أن قوة السلاجقة أنفسهم إنما تستند أساسا إلى التركمان ،

---

(١) Runicman : op. cit p 223

(٢) Setton : Hist of the Crusades p213

(٣) Camb .Med : Hist Vol 4 p 331



ولأن قادة التركمان أنقسموا ينزعون إلى الاستقلال عن أمراءهم ، وما كان يحدث عادة من المنازعات والمنافسات في كل معسكر بين الحاشية وسائر الأفراد يؤدي إلى التحالف بين الخصوم والواقع أن النضال بين السلاجقة والدانشمندان ظل مستمرا معظم القرن الثاني عشر .

ولقد كان العامل الأساسي في تكوين دولة السلاجقة الهجرة التركمانية التي تلت ما ذكرت وخاصة أن بنزله اتخذت سياسة الحياد تجاه السلاجقة نتيجة لما وقع فيها من أحداث داخلية ، من نزاع على العرش والتجاء الطامعين إلى السلاجقة لمساندتهم إلى جانب مناوئة العناصر النورمانية المأجورة ، ثم الصراع بين الطبقة الأرستقراطية الحربية والطبقة الأرستقراطية المدنية كل ذلك هيا للتركمان الفرصة للتوغل في داخل آسيا الصغرى فبلغوا في زحفهم بحر مرمرة ، والبسفور ، وبحر إيجه (١) .

ورغم أن سليمان بن قتلش ابن أرسلان يغوره مؤسس الدولة (٢) فإنه لم يكن بين القادة الذين أرسلهم الب أرسلان بعد ما ذكرت وعزل رومانوس لفتح الأناضول ، ولكن الاسم الذي يتردد كثيرا بين جميع أولئك القادة كان أرتوك بك واليه يرجع الفضل في التوغل التركي داخل الأناضول ففي ٤٦٤ هـ — ١٠٧٢ م هزم أرتوك بك جيشا يقوده اسحاق كومنين وأخذه

(١) — Setton . op . Cit Vol Ip.214

(٢) The Camb. Hist of Islam p234

خرج قتلش على طاعة ابن عمه طغرل وانضمت إليه أعداد كبيرة من التركمان أبوه أسكن أفراد الأسرة السلجوقية فاعتبر نسبه أخق بالملك من طغرل وقام أبناء قتلش بالدور على الب أرسلان وانضمت إليهم العناصر التركمانية .

أمير أوو سيل (1)، شواطيرهم Salaraya تاركاً قلب الأناضول (2). واثبت  
أثارت الثورة التي قام بها ريد سيل بالليل (3) قائد  
النورمان المهاجرين ضد سيخاتيل الفرحة أمام أرتوك للتوسع على  
حساب بن ناله فقد أرسل الأمير أطور عمه القيصر حنا ديكاسر لإخضاع  
روسيل ولكنه سقط أسيراً في يده وأعلنه أميراً أطورا ، واتجه منه إلى  
القسطنطينية فاستنجد الأمير أطور بجيوش السلاجقة وحصل على معونتهم  
في مقابل أن مايفتحونه من أراضي والتي كان قد استولى عليها المغتصب  
لهم حق البقاء فيها ، وعن هذا الطريق استطاعوا التوسع في آسيا  
الصغرى والوصول إلى نيقية (4) . ولكن عند وفاة الب أرسلان  
وذئوب الخلاف على العرش جرى استدعاء أرتوك بلك إلى الري خاصة  
السلاجقة .

وانقد استغل سليمان بن قتلش هذه الفرصة المتاحة بالشغال كل من السلاجقة  
، بين ناله في مشا كلهم الدناطية للتوسع في آسيا الصغرى ، وكان أبوه قتلش  
قد أتى هزيمة في ٥٤٦٥ هـ - ١٠٦٤ م ) على يد الب أرسلان ، وأبعد أبنائه  
، سليمان ومنصور إلى الحدود البين نطية ، فقاموا بجلب القبائل التركمانية حولهم  
في الأناضول بعد مغادرة أرتوك بلك ، وكانت غالبية القبائل التي انضممت  
إليهم من قبائل Yavghyan الثائرة ضد طغرل والب أرسلان وكانوا في حاجة  
تكميد بقودهم . وأول ورود لاسم أبناء قتلش في المراجع الإسلامية كان في  
سركند في سوريا اشتهبكو انبها ضد أمير بلك القائد التابع للملك شاه وقد  
سألوا إقامة شأنهم مع الخلافة الإسلامية المملوكية السلجوقية ، ولكن

(١) Cambridge Med. Hist. vol 4 p244

(٢) ذكر Setton أن سليمان لا أرتوك بل هو قائد عاون الأمير أطور في

Setton op. Cit. vol P332

المحقق سليمان نجاها في قلاع الشام فركز جهوده في آسيا الصغرى . وفي ١٠٧٠ حاصر حلب وانطاكية في طريقه إلى الأناضول وانضم إليه أحد القادة الترك وهو توتاق الذي كان قد اتجه إلى بشتيا على رأس جيش مكون من عشرة آلاف مقاتل ، وانضمت إليهم جموع التركمان في آسيا الصغرى .

وساعد تطور الأحداث في بزنطة زمن ميخائيل السابع على توسع سليمان في أراضيها كما ساعد أرتوك من قبل نتيجة للثورات التي قامت بها الأرستقراطية العسكرية ضده فطلب الإمبراطور المساعدة من سليمان مرتين الأولى ، حين ثار عليه نقفور Bryennius دوق دراخيوم الذي خرج في ١٠٧٧ من موطنه في ادريناوبل واتجه إلى أسوار القسطنطينية ولكن بفضل القائد الكسيوس كومنين وسليمان أمكن القضاء عليه<sup>(١)</sup> ، والثانية كانت حين ثار نقفور Botaneiates قائد ثغر الأناطوليك<sup>(٢)</sup> فاستعان ميخائيل بقوات سليمان وبدخول السلاجقة إلى الجيش البيزنطي بدأ استقراءهم الدائم في أراضي بزنطة ، فقد تخلى سليمان وأخوه منصور عن ميخائيل وانضبا إلى Botaneiates الذي أعلن نفسه إمبراطورا في ٧ يناير سنة ١٠٧٨ م وأدخلهما بوتناياتوس إلى نيقية ، وبعد ذلك عاونوه في الاستيلاء على نيقوميديا ، وخلع قدونية وكريسوبوليس وانفجرت ثورة في العاصمة أجبرت ميخائيل على الذهاب إلى الدير وأعلن نقفور بوتناياتوس إمبراطورا ، فلما حاول الإمبراطور اجلائهم عن الأراضي التي دخلوها أعلنوا راية العصيان ، وأعلن سليمان نيقية عاصمة - ١٠٧٥ م ، وليس أدل على ضعف بزنطة في تلك الفترة من أن سقوط نيقية التي لعبت دورا خطيرا في تاريخ

(١) Cohen - Turkish Invasion p159

Grousset : Histoire der Arméni p828 (٧)

بيزنطة والمسيحية ، حيث عقد بها العديد من المجالس المسكونية الاولى إلى جانب موقعا وقربها من القسطنطينية<sup>(٢)</sup>

لم تذكر المصادر البيزنطية هذا الحدث إلا في اشارات عابرة . وانضم السلاجقة إلى نفقور Melissenos الذي أعلن الثورة في بيقية ضد الامبراطور واتفق مع السلاجقة على استيلائهم على نصف مافتحوه في عهد نفقور بوتنايتوس في مقابل مساعدته واخضع ميلسنيوس مدن جالاتيا ، فريجيا وترك حاميات تركية فيها ، ولكن لم تكتب لثورة ميلسنيوس النجاح ، ظلت هذه المدن في يد سليمان وجيوشه<sup>(٣)</sup> ومن هذه المواقع بدأ توسعهم فسيطر سليمان على كل آسيا الصغرى من قليقيا إلى Hellespont ، وبذلك تكونت مملكة سلاجقة الروم ولقد سارع التركمان المنتشرون في آسيا الصغرى إلى الاعتراف بسلطانها سنة ١٠٧٧ م بل هاجرت بعض القبائل التركمانية من آسيا الوسطى إلى الدولة الجديدة وكان هذا إيذانا بفقد بيزنطة لآسيا الصغرى وانهيار النظام الدفاع والإدارة في الولايات الآسيوية واندسار نظام Theme القائم على امتلاك الجندي للأرض ، ولقد ترتب على ضعف بيزنطة الحربى انهيار لنظامها الاقتصادى والمالى . وكانت هذه الظروف مجتمعة هي التي واجهت الامبراطور الجديد الكسيوس كومنين<sup>(٤)</sup> ،

### الكسيوس كومنين وآسيا الصغرى

لم يكن الكسيوس كومنين هو القائد الوحيد في الارستقراطية العسكرية الذى تطلع إلى العرش ، ولكن كان أقدرهم كسياسى ، ولقد بدأ بالتمهيد لنفسه

(١) ostrogorsky : op cit p307

(٢) Camb. Hist of Islam vol I p1235

(٣) Ostrogorsky : op cit p314

سواء في الجيش أو العاصمة بعد نظرو دبلوماسية ماهرة مكنته ، من الانتصار على مناوئيه . فصاهر أسرة دو كاس عن طريق زواجه من إيرين حفيده القيصر حنادوكاس ، وبذلك أيدته أسرنا دو كاس وكومنين . ثم عقد اتفاقا مع نفقور ميلسنيوس والذي كان زوجا لشقيقة زوجته ولقد طلب الأخير آسيا الصغرى في مقابل ترك الجانب الأوربي لالكسيوس ولكن الكسيوس رفض ووعده بمنحه لقب قيصر . وبدأ الكسيوس يعده العدة للاستيلاء على العاصمة وكانت الحامية في العاصمة من العناصر الجرمانية المأجورة ، فلم تصمد طويلا واستطاع بعد قتال دام ثلاث أيام دخول المدينة ، وأقنع نفقور بوتنايتوس بعدم جدوى المقاومة واستجاب لنداء البطريك بترك العرش وفي ١٤ أبريل ١٠٨١ م توج الكسيوس .

ولقد اعتلى الكسيوس عرش امبراطورية تحيط بها الاخطار والأعداء من كل الجهات فكان عليه اتباع دبلوماسية قائمة على أسس جديدة إلى جانب الالتجاء إلى الوسائل الحربية إذا اقتضت الظروف . فالفترة بين باسيل الثاني والكسيوس كومنين كانت سلسلة من الهزائم المتتالية لسياسة بيزنطة الخارجية فقد شهدت فقد آسيا الصغرى وضياع إيطاليا وضعف نفوذ بيزنطة في البلقان . أما في الداخل فقد عانى المجتمع من انهيار اقتصادي وتفكك اجتماعي ، وكان على الكسيوس ١٠٨١ - ١١١٨ م إعادة هذا البناء على أساس جديد وخاصة فيما يتعلق بالولايات ولكن لم يكن لدى الأمبراطورية من المصادر والمنابع الداخلية ما يساعدها على عملية إعادة البناء وقد فقدت مركز قوتها في آسيا الصغرى وكل ما استطاع فعله آل كومنين عامة هو استعادة الشواطئ . وانتقلت أهمية بيزنطة التجارية والبحرية لمدينة إيطاليا مركز بيزنطة كنوة .

كبرى تحت حكم آل كومنين لم يكن يعتمد على وضع داخلي قوى ودولة مترابطة ولذلك لم يحقق نجاحا في النهاية .

وكانت مشكلة الأتراك وتوسيعهم أهم ما واجه الإمبراطور . ولكن الكسيوس ، كان مقتنعا بصعوبة استعادة آسيا الصغرى من الأتراك فلم يكن أمامه حق الخيار فقرر الاعتراف بالوضع القائم فعلا . فسمح لسليمان بحكم فليقية انطاكية وملاطية (١) ، واعتبرها مستعمرات على أن يكون لبيزنطة حق الاشراف عليها ، أى اعتراف اسمى بسلطان بيزنطة ولكنهم لم يعتبروا أتباع خاضعين بل معاهدين Federat ، يقيمون في أراض وافقت الإمبراطورية على التنازل عنها ، كما حدث مع البجناك في البلقان وبذلك استطاع الكسيوس التفرع لمشاكل النورمان .

وكذلك اتجه سليمان إلى الشام بعد أن آمن جانب بيزنطة . وكان سلاجقة العراق قد سبقوه إلى هناك فقد أصبحت بلاد الشام مسرحا للنزاع بين قوى مختلفة : الفاطميون ، العباسيون ، الأمراء المحليون من العرب كبنى مرداس وبنى عقيل وبنى كلاب ثم البيزنطيون . وكان سلاجقة العراق قد وصل نفوذهم إلى الشام ابتداء من ١٠٧٠ م حين التجأ رشيد الدولة المرداسي صاحب حلب لطلب الحماية من الب أرسلان ، وخطب له وللخليفة العباسي القائم ١٠٧٠ م ولقد طلب الب أرسلان من محمود المرداسي الخروج لقتال الفاطميين والبيزنطيين فرفض محمود الاستجابة ولكن أمام ضغط السلطان الب أرسلان أذعن واعترف بالتبعية وانتشر السلاجقة في شمال الشام ، ولما خلف ملكشاه ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م الب أرسلان امر

---

Ostroqorsky: op c, t p316 (1)

Grousset : Hist de l, Armine P 630 (2)

(٣) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ١٠٩٢ م .

السلاجقة في الشام أن يخضعوا لآخيه تاج الدولة نقش وهاجم حلب  
١٠٨٥ م ولكن لم يستطيع الاستيلاء عليها ، وفي ١٠٧٩ ، استولى على  
منبج وبزاعة ثم دمشق التي كانت بيد اتسين بن ابيق أحد قادة الترك وكان  
قد استولى عليها من الفاطميين ٤٧٦ هـ (١) وسيطر تنش على وسط سوريا  
وفلسطين وقبض على اتسين وقتله ، وما لبس أن اشتبك تنش في قتال  
مع أخيه ملكشاه ١٠٨٣ م — ١٠٨٤ م .

واستغلالاتك الأوضاع فرو سليمان بن قتيلش الاتجاه إلى الشام  
وبدا بانطاكية ٤٧٧ هـ — ١٠٨٤ م التي يحكمها Philaretus (٢) الأرمن نائبا  
عن بزنطة وكان قد أساء السيرة فكاتبه أهل المدينة سليمان ليقتلها ٤٧٧ هـ  
— ١٠٨٤ م) فاستولى عليها من غير قتال ، إلا أن أمير الموصل مسلم  
بن عقيل الذي كان قد وطد مركزه في شمال الشام وأعلى الجزيرة ، وكان  
على صلة بالفاطميين ، كان قد أجبر فيلارتيوس وإلى انطاكية على دفع جزية  
له فأرسل إلى سليمان يطالبه بدفع الجزية ورفض سليمان على أساس أن  
فيلارتيوس كان وإلى من قبل بزنطة أما هو فحاكم مسلم ونتيجة لذلك دار  
قتال بينهم قرب انطاكية ١٠٨٥ م انتهى بهزيمة مسلم بن عقيل ومقتله ،  
وأثر هذا الوضع على موقف الفاطميين حلفاء مسلم فانسحب بدر الجاني  
من سوريا بعد أن غزاها ، واتجه سليمان بعد ذلك إلى حلب ولكنه هزم

(١) استولى اندر من الفاطميين على الرملة وبيت المقدس وحاول غزو مصر ١٠٩٧ م  
فهاجمه أمير الجيوش بدر الجاني وحاصر دمشق ولكن تدخل تنش بجملة ينسحب .

سميد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠٥

(٢) فيلارتيوس أحد القواد الذين اشتركوا في جيش رومانوس الرابع قد كونه  
الأرمن بعض فرق رئيسية واستولى على الرعا سنة ١٠٧٧ م وسلم له أهل انطاكية المدينة  
بعد مقتل الحاكم البيزنطي واعترف بسلاطنه بزنطة ١٠٧٨ — ١٠٨١ م ولقد سيطر على  
طرسوس والمصيصة وعين زربة وإن كان سليمان قد انتزع منه قتيقة ومطاية .

وإلى مصرعه في يونيو (٤٧٨ هـ - ١٠٨٦ م) أثناء صراعه مع آتش حاكم دمشق (١).

لم يكن سليمان مجرد حاكم أو غازي بل أقام نظاما إداريا ممتازا خلال حكمه الذي لم يتعدى العشر سنوات ولقد رحب السكان المحليون بحكمه تخلصا من الاضطهاد الديني الذي عاينوه أثناء حكم البيزنطيين. وكان المستفيد من نتيجة هذا الصراع هو السلطان ملكشاه السلجوقي فقد استطاع أن يتوسع على حساب جميع القوى وخاصة بزنطة، وكان قد سبق لملكشاه أن استولى عام ١٠٨٣ م، على أنطاكية وبيضا القلاع المجاورة، واستولى ١٠٨٥ م على الرها من البيزنطيين وولى عليها بازان ثم استولى على حلب ١٠٨٦ م وسلبها إلى قسم الدولة افسنقر ثم تسلم انطاكية من نائب سليمان بن قندش وعين فيها ياغي سيان ولقد ترك السلطان هؤلاء القادة منذ ١٠٨٦ م أمر توجيه الحملات ضد بزنطة.

أما بقية بلاد الشام فقد ظلت اجزاء منها خاضعة للفاطميين لمصر التي كان يحكمها خلف بن ملاءب وطرابلس التي كان يليها علي بن عمار ظللا على تحالفهما مع الفاطميين، وخضعت لبدر الجمالي. عكا، وصور وصيدا وجبيل. ولسكن في ١٠٩٠ م استولى السلاجقة بعد أن تصالح آتش مع أخيه ملكشاه على شمال الشام حتى طرابلس وكاتوا يؤملون بغزو مصر. كل هذه الأوضاع دفعت بالامبراطور الكسيوس إلى الاستنجاد بالغرب الاوربي لقمع الأتراك سواء في آسيا الصغرى أو الشام، ولاقى هذا استجابة من البابوية التي كان قد اثارها استيلاء السلاجقة

(١) ابن العديم: زبدة الملب ج ٢ ص ١٨٧.

(٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ حوادث ٤٧٩ هـ.

ابن العديم زبدة الملب ج ٢ ص ٢٨٧.



على الأماكن المقدسة ، إلى جانب تدمير وصول الحجاج المسيحيين إلى الشام بسبب الاضطرابات في تلك المنطقة<sup>(١)</sup> . ولكن بعد سنوات ومع قدوم الحملات الصليبية ندم الامبراطور على استعائته بالغرب فإن سلاجقة آسيا الصغرى وكذلك سلاجقة العراق بدأت قوام في التفكك نتيجة للخلافات الداخلية<sup>(٢)</sup> .

### سلاجقة الروم بعد سليمان

بعد مقتل سليمان انهارت الوحدة السياسية التي أقامها السلاجقة وأرسل أبناءه إلى ملكشاه في الفترة بين ٥٤٧٩ - ٥٤٨٥ ، ١٠٨٥ م - ١٠٩٢ م كرهينة . سليمان عدم تدخل سلاجقة الروم في شؤون الشام ولقد تركت آسيا الصغرى بدون حاكم يسيطر على أمورها فلقد ترك سليمان طفلاً صغيراً هو قلعج أرسلان الذي ظل في أسر ملكشاه فترة وتولى أمر إدارة السلجوقية أبو القاسم الذي كان سليمان قد اتاه عنه أثناء ذهابه إلى قليقيو وانطاكية<sup>(٣)</sup> . ولقد أراد ملكشاه بعد مصرع سليمان إخضاع دولة سلاجقة الروم ، فأرسل الأمير بورسك ، ثم أرسل الأمير بوزان ، مما دفع بابي القاسم إلى التحالف مع بيزنطة ، ولكن وفاة ملكشاه ٤٨٥ هـ - ١٠٩٢ م ، انقذت نيقية من الحصار . وساعدت المنازعات التي ثارت على العرش بعد وفاته قلعج أرسلان الأول بن سليمان على العودة إلى منصبه ١٠٩٢ م حيث استقله الترك بحفاوة بالغه وبدأ عهده بتجديد بناء عاصمته وتعيين قادة جدد ، ثم دخل في صراع مع بيزنطة حيث قامت قواته بطرد القوات البيزنطية التي حاولت الاستقرار على شواطئ بحر مرمرة : ولكنه ما لبث أن عاد

Cahen ; Turkish invasion p 164 (1)

(٢) ابن العبري . تاريخ مختصر الدول ص ١٩٤

ابن الأثير الكامل حوادث سنة ٤٩٢ هـ

Cahen. Hist. of Islam vol I p 236 (3)

بالمالف معها فعاونته القوات البيزنطية في التخلص من خصمه حاكم ازمير  
جككا أوزاخاس بك . ووفقا لمأهده مع بيزنطة أصبح من حقه التوسع  
في اتجاه الشرق ، وفي ( ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م ) حاصر ملطية ولكن أهل  
المدينة عرضوا عليه تسليها صلحا تخلفا من حاكمهم جبريل ، الذي كان  
يضطهدهم لمخالفتهم له في المذهب الديني . ولكن قلعج ارسلان اضطر للعودة  
للدفاع عن عاصمته أمام الخطر الصليبي (١) .

ولم يكن سلاجقة الروم الطائفة الوحيدة التي استقرت في آسيا الصغرى  
فهنالك فرق تركية أخرى من الغز استقرت في المنطقة ، وكانت اشد خطراً  
على بيزنطة واستغلت ضعف الدولة السلجوقية بعد وفاة سليمان لإقامة  
بمالك مستقلة ، دخلت في صراع مع سلاجقة الروم وبيزنطة ، وهذه  
الممالك تعتبر أهم في تاريخ الترك من الإمبراطورية السلجوقية نفسها ، فعلى  
الرغم من أن أراضي دولة سلاجقة الروم امتدت من نيقية إلى قونية ،  
وعلى الممرات بشمال جبال طرسوس فإن الأتراك بعد انهيار حكمهم في  
الشرق لجؤا إلى تلك الممالك ونزلوا على سواحل المضيق وعلى ساحل بحر  
أيجه ، حيث وجدوا المستقرا واختلطوا بالسكان ومارس بعضهم البحرية  
والبعض القرصنة (٢) .

ويعود الفضل في انشاء هذه الامارات لعدد من القادة والأمرأه  
التركان . فأنشأ منجوشك بين ارزنجان و Divrigi أمارة ، دخلت في  
صراع مع الاغريق على البحر الأسود ، ولقد ارتبطت حكمها بصلة  
المصاهرة مع دانيشمند .

وفي سامرنا انشأ Tzachas زاخاس إمارة في ٤٧٤ هـ ١٠٧١ م ، وانضم

(١) Index : volume I page ٤٥٤

Sutton : op. cit vol I p 223

Camb. Hist of Islam vol I p ٥٥٦ (٢)

اليه الترك في المناطق المجاورة ، وقام بإعداد أسطولا قويا سيطر به على جزر البحر الايجيى ، ولقد ناصبت تلك الامارة بيزنطة العداء فتحالف زاخاس مع البجناك ضد الامبراطورية (١) ، وكانت مشكلة البجناك وثوراتهم من أهم المشاكل التي واجهت بيزنطة في القرن الثاني عشر . وفي البداية تحالف البجناك مع قبائل Bashkiers في شرق البلقان واجتاحوا اراضي البلقان ، وفي ١٠٩٠ م تجددت المشكلة وتحالف البجناك مع امير سامرانا ولقد وصلت قواتهم إلى اسوار القسطنطينية في نفس الوقت الذي هدد فيه زاخاس باسطوله المدينة ، وكان زاخاس قد عاش فترة في بلاط نقفور بوتانياتوس ، (٢) حينما اسر في أحد المعارك في آسيا الصغرى ، وكان على علم بخطط واستراتيجية البيزنطيين وتعلم أن الهجوم الحقيقي يأتي من جهة البحر . وفي شتاء ١٠٩٠ م حوصرت القسطنطينية برا وبحرا وبحث الكسيوس عن حليف يعاونه في مواجهة تلك القوة التركية فلم يجد إلا الكومان « القفجاق » وكان الكومان الذين استقروا الآن في امتيس جنوب روسيا بعد البجناك والفز مثلهم اتركا لغة واصلا واستجاب الكومان لنداء الامبراطور ، ففي ٢٩ أبريل ١٠٩١ م دارت معركة Mt Lebanon بين بيزنطة وحلفائها الكرمان وبين البجناك حاقت فيها الهزيمة بالبجناق وتمرضوا لمذبحة قاسية تركت اثرها في النفوس واوردتها اناكومنين في كتابها Alexid ، وبذلك تحطم الحصار حول القسطنطينية وتحطمت آمال زاخاس الذي سرعان ما غير معسكره ، بعد هزيمته وانضم إلى الامبراطور (٣) . وقام الكسيوس بنفس الطريقة والالوب الذي أوقع فيه بين البجناك والكومان بالإيقاع بين زاخاس وامير نيقية أبا القاسم

١. Ostrogorsky : op cit p 320 (1)

Setton : op cit vol I p 213 (2)

Ostrogorsky : op.cit p320,Camb Hist of Islam vol.I p 237 (3)

ثم بينه وبين قلع ارسلان الأول عن طريق اقناعه به بأن وجود زاخاس يعرضه للخطر وما لبث أن تخاض منه ولقد ظلت هذه الدولة إلى نهاية الحرب الصليبية الأولى .

ولكن أهم تلك الامارات أقامها أحمد غازى داذشمند فى ٤٧٤ هـ - ١٠٨٤ م ، وداذشمند هو أحد زعماء التركمان التابعين لسليمان بن قتلمش ، واشترك معه فى حروبه ضد ملطية . ولقد ضم إليه ملطية ثم سيطر على سيواس وأماسية وقيصرية وكركر ونقصار وأنقره وسنوب . وكل الطرق التى تيجتار شمال آسيا الصغرى . لكن ما لبث أن نقض عهده لسلاجقة الروم وأعلن تبعيته للملكشاه ، وعند وفاة داذشمند خلفه ابنه غازى كشتكين الذى سار على سياسة أبيه فى مناصبة سلاجقة الروم العداء .

وفى أرضروم قامت أماره تركمانية أخرى أنشأها الأمير سالتوق واعترفت بالتبعية لسلاجقة فارس<sup>(١)</sup> .

أما الولايات الارمنية التى تشمل ديار بكر وماردين وخرتبرت ودولة السقمانين بالقرب من بحيرة فان فانها لم تتكون إلا بعد عشر سنوات من هذا التاريخ ، وحكمها أمراء سلاجقة والجزء الوحيد فى آسيا الصغرى الذى لم يقع فى أيدى الترك شرق البحر الأسود فقد استعاد الاغريق طرابزون ١٠٧٥ م وأقاموا فيها دوقا بينظليا ولكن حلفاء هذا الدوق استقلوا عن بينظله وتحالفوا فى بعض الأحيان مع الترك .

ولقد نجح الامبراطور باينتخسدام وسائل الدبلوماسية البيزنطية فى الإيقاع بين أعدائه وبذر بذور الشك والتفرقة بين الترك وبذلك لم يعد

هناك خطر ملح تمثله آسيا الصغرى بالنسبة له .

وخاصة أن أحوال سلاجقة الشرق لم تكن بأفضل من أحوال أقربائهم سلاجقة الروم . ولقد حاول ملكشاه التحالف مع الكسيوس ١٠٩٢ م ضد سلاجقة الروم ، ولكن ما لبث أن توفي قبل أن يحقق هذا التحالف . وترتب على وفاته انقسام امبراطوريته بين أبنائه وكان له أربعة أبناء هم بركياروق ومحمد وسنجر ثم محمود<sup>(١)</sup> ، تنازعوا كال المعتاد فيما بينهم وانتهى الأمر بتولية بركياروق ، ولكن ما لبث أن نشب خلاف بينه وبين عمه تاش وبعد صراع وحروب طويلة انتهى الأمر بهزيمة تاش ومصرعه ١٠٩٥ م<sup>(٢)</sup> . ولكن باركياروق كان ضعيف الشخصية ولم يكن باستطاعته مواجهة الموقف الجديد المتمثل في الحروب الصليبية .

وكان بركياروق قد اكتفى بحكم فارس وبغداد أما الشام فإن ولدى تاش بوهاغفر الملوك رضوان حكم حلب ، وشمس الملوك دقاق تولى دمشق . وكانت تنقصهم المقدرة السياسية والحربية . وفي ١٠٩٦ م انقسمت دولة السلاجقة إلى خمس ممالك متنافسة<sup>(٣)</sup> سلطنة فارس وعلى رأسها السلطان بركياروق الذي كانت له السيطرة على بغداد وملكه خراسان ، وماوراء النهر ويحكمها سنجر ، وملكه حلب يليها رضوان ، ودمشق على رأسها دقاق وسلاجقة الروم ويحكمهم قلعج أرسلان<sup>(٤)</sup> إلى جانب عدد من الأتابيكات .

كل هذه العوامل فتت من قوى السلاجقة ولم تجعلهم قوة متحدة

---

(١) ابن الأثير : السكك من حوادث سنة ٤٨٥ هـ

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٠

(٣) إسماعيل عاصور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٤

(٤) ابن واصل : مفرج السكروب في أخبار بني أيوب ج ١ ص ١٦

قسططيع الوقوف في وجه أى غزو أجنبي" بل إن العلاقات بين سلاجقة الروم وبين ملكشاه كانت سيئة منذ مقتل سليمان . وازدادت فيما بعد ، بعد مقتل قلعج أرسلان ثم قطع الصليبيون الطرق بين قلاية والرها فانهطعت الصلة بين سلاجقة آسيا والشام .

كل هذه العوامل دفعت الإمبراطور الكسئوس بعد أن تخلص من الخطر المباشر على عاصمته ووطد مركزه إمبراطوريته إلى أن يوثق صلاته بالباوية وأصبح مستعدا لأن يشن هجوما يستعيد به آسيا الصغرى من أيدي الأتراك ولإدراكه صعوبة إعادة تلك الأقاليم منفردا فقد مضى لمساعدة القرب الأوربي فكانت الحروب الصليبية .

## الفصل الرابع

### سلاجقة الروم والحروب الصليبية

#### سلاجقة. والحمة الصليبية الأولى :

لم يكن الكسيوس كومنين أول من فكر في الاستعانة بالقوى الغربية مفلقد سبقه إلى ذلك ميخائيل السابع ، حين أرسل ١٠٧٤ م- يستنجد بالبابا جريجورى السابع ضد الأتراك السلاجقة، في مقابل إعلان اتحاد الكنيسين. ولقد رحب البابا بهذا العرض ، ولكن لم يستطيع أن يخرج الاتفاق إلى حيز الوجود لإنشغال البابا بخلافه مع الامبراطور هنرى الرابع (١).

وتجددت الدعوة في عهد الكسيوس ، وكان الامبراطور يأمل من وراء المساعدة من الغرب أن يتوافر له من الجند المرتزقة ما يعينه على طرد الترك من آسيا الصغرى فلم يقصد بما طلبه من الغرب من مساعدة إلا الإستيلاء على ما بأيدي المسلمين من أراضى ولم ير في الجيوش الغربية غير جند مأجورة ، وخاصة أن أحوال الامبراطورية كانت في وضع مطمئن ، بل إن الامبراطور كان يعد حملة لمواجهة الترك في آسيا الصغرى (٢).

ولقد كانت هذه نقطة الخلاف الجوهرية بين كل من البابوية والامبراطورية فالبابا لم يشأ أن تكون الحركة الصليبية في خدمة الدولة البيزنطية ، بل أرادها حملة تتولى تقديم المساعدة لمسيحي الشرق ، وخاصة لما كان يعانيه الحجاج من سوء المعاملة على أيدي الأتراك ، وبسبب

(١) عن الحروب الصليبية ارجع : Anna Comnena : The Alexiad trans :

A . S . Dawes. Gesta Francorum, Michel Le Syrien.

Foucher de Chartres : Hist des Croisades, Michaud . Hist des croisades

(٢) ذكر أوستروجورسكى أن المؤرخين اللاتين حاولوا تقي أن الكسيوس استدعى الصليبيين

Ostrogorsky op.cit p 321

الاضطراب الذي ساد في الشام بسبب الصراع بين السلاجقة وبعضهم وبعض وبين الفاطميين والعرب<sup>(١)</sup> ، إلى جانب أنه رأى أن ضعف بيزنطة يعتبر ضعفا للعالم المسيحي فسعى لحشد جيش نظامي ، لا أن يبحث بجيوش مرتزقة تعمل لصالح بيزنطة .

ولقد أرسل الكسيوس مندوبيه إلى مؤتمر بيا كنزا ١٠٩٥ م ، وكان هناك تقارب سابق بين البابا أوربان والامبراطور ، فقد رفع البابا قرار الحرمان الصادر ضد الكسيوس ١٠٨٩ وقامت مفاوضات لانتهاء الخلاف بين الكنيسة الشرقية والغربية . وفي مجمع كبير مونت ١٨ نوفمبر سنة ١٠٩٥ جرت الدعوة للحروب الصليبية وذهب رسل الامبراطور الكسيوس إلى هناك ، حيث أوضحوا خطر السلاجقة على المسيحيين بوجه عام<sup>(٢)</sup> . وخاصة لما تعرض له بيت المقدس على يد اتسيز وارث ١٠٧٦ — ١٠٧٧ م أثناء محاولتهم الاستيلاء عليه من أيدي الفاطميين ، فذكروا أن الترك احتارم الضعف ، وإن باستطاعة الامبراطور التصدي لهم ولكن انشغاله بأمور أخرى دفعه لطلب المساعدة من الغرب ، واستجاب البابا لطلبهم ودعا حملة صليبية يكون هدفها تحرير الأماكن المقدسة ، ووعد بغفران ذنوب من يشارك فيها ، وطلب البابا إلى العالم الغربي أن ينهض لمساعدة المسيحيين الشرقيين في الامبراطورية البيزنطية لأن الترك بلغوا في زحفهم ذلك الجزء من البحر المتوسط الذي أطلق عليه ذراع القديس جورج<sup>(٣)</sup> . فأكثرت ما يأمله الحجاج المسيحيون ، أن يتوجهوا إلى بيت المقدس ليؤدوا الشعائر<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ حوادث سنة ٤٨٦ هـ .

ابن واصل : تاريخ الكروب في أخبار بني أيوب ج ١ ص ١٩ — ٢٧ .

Runciman : History of the Crusaders p 106 (٢) .

Chalandon : op cit vol I p 109

Michel -le syrien : op. cit I p 326 (٣)



ولم يكن الصليبيون إلا حجاجا محاربين ، ساروا ليفتحوا الطريق إلى بيت المقدس ، بعد أن أوصده في وجوههم السلاجقة ، وليستردوا المدينة المقدسة ، ولم يتخذ الحجاج من قبل السلاح أثناء سيرهم للحج ، أما عساكر المسيح فاضحوا حجاجا قاموا بحرب هجومية .

ومنذ البداية بدأت بذور الشقاق بين الطرفين تنمو ، ولقد استقبل البيزنطيون الحملة بشعور الارتياح وعدم الثقة ، وقد أكدت تصرفات الصليبيين هذا الشعور<sup>(١)</sup> .

واون ما وصل إلى بيزنطة كانت « حملة الشعوب » التي تولى قيادتها بطرس الناسك والثر المقلس ، وتألفت من جموع غير منظمة واتخذوا الطريق الشمالى إلى بيزنطة ووصلت القسطنطينية أول أغسطس سنة ١٠٩٦م ، ولقد صدم الامبراطور بمراى هذه الجموع إذا عمدت إلى السلب والنهب خلال اجتيازها أراضى الامبراطورية ، فسارع الامبراطور بنقلهم عبر البسفور إلى آسيا الصغرى<sup>(٢)</sup> .

وكان من الطبيعى ألا تصمد تلك الأشتات أمام الترك ، فقد بلغوا أبواب نيقية عاصمة السلطان السلجوقى ، ونهبوا المناطق المجاورة وتصدت لهم فرق من الجيش التركى ولكنها هزمت مما شجعهم على التوغل فى أراضى السلاجقة حتى بلغوا قلعة Vekigoerdon فحاصرتهم القوات التركية وهزمتهم<sup>(٣)</sup> ، مما لجأ بطرس إلى العودة إلى القسطنطينية ، ولكن بقية

---

Chlondon : Hist de la Premiere Croisades P44 (١)

Ostrogorsky op cit p321

Ostrogorsky, of cit p321 (٢)

Runi Cmap op. Cit Vol 1p131 (٣)

جيشه اشترك مع الترك عند ديار كورن ولم ينج منهم إلا أعداد قليلة . ولكن حملة الأمراء حققت ما اراده الإمبراطور ، وبدأ وصول الجيوش النظامية سنة ١٠٩٦ م واستقبلت بزنطة زهرة فرسان أوروبا ، <sup>(١)</sup> فكان يقودها جرد فرى بوايون دوق اللورين ، والسكونت ريموند من تولوز ، هيجو فرماندو ، اخو ملك فرنسا وروبرت النورماندى اخو ملك انجلترا وابن وليم الفاتح وروبرت ابن روبرت فلاندر وبوهنمد النورمانى ابن روبرت جويسكارد ولقد رأى الإمبراطوران يسارع بالاستفادة من الحملة بخدمة اغراضه فطلب من الأمراء أن يقسموا له عيىن الولاة الذى ينص على الاعتراف بالإمبراطور سيدا أعلى على كل ما يفتحونه من بلاد ، وأن يسلموا الموطنى الإمبراطور كل ما يستردونه من بلاد ، كانت اصلا ملكا للإمبراطورية <sup>(٢)</sup> .

وفى المقابل وعد الإمبراطور بإمدادهم بالمئون والعتاد ، بل وعد بالانضمام اليهم متى سمحت ظروفه ليكون على رأس الجيش وقبل الصليبيون أن يقسموا للإمبراطور وإن كان جودفرى قد اقم بعد مفاوضات طويلة ، وكذلك بوهنمد الذى حاول الحصول على شروط افضل من الإمبراطور ، وعلى منحه لقب *domesticus* . دمستق الشرق ولقد وصلت جموع النورمان إلى آسيا الصغرى تحت قيادة ابن اخيه تنكرد <sup>(٣)</sup> .

غير أن تنفيذ هذا اليمين كان يتوقف على حفاظ الصليبيون على عهد الولاة ، وعلى المقعود به الأملاك السابقة للإمبراطورية . ولقد أمد الإمبراطور الجيش الصليبي بفرقة بزنطية يقودها القائد تاتكيوس <sup>(٤)</sup> .

---

Runicman : op' cit vol I p 142 (1)

Runicman : The History of the Crusades vol, P170 (2)

Camb med. Hist vol p281 (3)

Crousset : Hist des Croisades 1 p 21 (4)

إذ أن البيزنطيين كانوا أقدر على معرفة الطريق وطبيعة الأراضي في آسيا الصغرى بحكم خبرتهم واتجهت الجيوش إلى نيقية عاصمة السلاجقة ، والمدينة تقع على بحيرة اسكانيوس غير بعيد من بحر مرمرة على الطريق الحربي البيزنطي القديم الذي يحتاز آسيا الصغرى ، وكانت استحكاماتها قوية وبها حامية تركية إلى جانب موقعها الاستراتيجي وتحكمها في سائر الطرق التي تحتاز الاقليم <sup>(١)</sup> ، ولم يكن قلق ارسلان في عاصمته إذ أنه كان مشغولاً آنذاك بحصار ملطية . ولم يستطع فهم طبيعة الحملات الصليبية ولم يعطيا بعدها الحقيقي . إذ أنه ظن أنها لا تعدى أن تكون غزوة تقوم بها جموع متفرقة تفتقر للمقدرة الحربية كما حدث بجموع بطرس الناسك <sup>(٢)</sup> ، وما ارسله السلطان من قوات وامداد لم يصل إلا متأخراً بعد محاصرة الصليبيين لنيقية .

ولقد حاصر جود فرى السور الشمالي للمدينة وقام تانكرد وبيطرس الناسك بحصار السور الشرقي وريموند السور الجنوبي، وكان معهم طائفة من المهندسين البيزنطيين، <sup>(٣)</sup> ثم وصلت جيوش روبرت النورماندي وستيفن بلوا . ولقد فوجئت القوات التركية التي أرسلها السلطان بذلك الحصار المحكم للمدينة ، فأرسلوا إلى السلطان يشرحون له الأمر فاضطر لعقد هدنة مع الدانشمندين ليضمن عدم تشتت جوده ، وحاول شق طريقه إلى عاصمته ولكنه فشل فانسحب إلى الجبل <sup>(٤)</sup> ، وترك الحامية لمصيرها ولتتخذ ما تراه صالحاً . واستمر الهجوم على المدينة وأرسل الصليبيون يطلبون المساعدة من الامبراطور ، فأرسل إليهم أطول بقيادة Butumitess .

---

Runciman . Hist of thecrusades. PI79 (١)

Setton . op. cit. I p389 (٧)

Grousset . op cit vol I p27 (٣)

Runciman . op. cit p189 (٤)

ولقد حاول الامبراطور التفاوض منفردا بعيدا عن الصليبيين مع الحامية التركية . وأخيرا اضطرت الحامية للتسليم ، وفق الاتفاقية التي نصت على التسليم للامبراطور في مقابل الإبقاء على حياتهم وفي ١٩ يونيو ١٠٩٧ ، دخلت قوات الامبراطور من ألبجناك إلى فينقية ، ولقد سقطت في أيديهم زوجة قلعج أرسلان ولقائسة وأرسل كل هذا للعاصمة القسطنطينية<sup>(١)</sup> .

ولم يسمح الامبراطور للصليبيين بنهب المدينة أو الحصول على فدية مقابل زوجة السلطان وأولاده ، فانبعثت الكراهية بينهما . واسترد الامبراطور الكسيوس سامرنا ، افسيسوس ، سارديس ليديا وعدد من المدن وسيطر البيزنطيون على غرب آسيا الصغرى<sup>(٢)</sup> ، وبعد استيلائهم على نيقية استقبل الامبراطور الصليبيين في بلكانيوم وجدد يمين الولاء ثم اتجهت الجيوش الصليبية مصحوبة بالفرق البيزنطية في يونيو ١٠٩٧ إلى الطريق الذي يخترق آسيا الصغرى من الشمال الغربي ، إلى الجنوب الشرق ويمر بأقره في طرفها الجنوبي ثم يتفرع بعد اجتياز نهر هاليس إلى طريقين أحدهما يعضى إلى أرمينيا ، أما الطريق الآخر فيجتاز جبال طوروس إلى وادي الفرات ، وإلى فينقية ، واتخذ الصليبيون الطريق عبر ضربليوم قونية ، قيصرية<sup>(٣)</sup> .

وهذا النصر شجع المدن الإيطالية التي ترددت في البداية إلى الاشتراك في الحملات<sup>(٤)</sup> ، ولقد تقرر تقسيم الجيش الصليبي قسمين : تقدم أحدهما الآخر بسبب المئون وتآلف الجيش الأول من النورمان بقيادة ريموند ،

---

Camd .Hist of Islam p239 (١)

Crousset . Hist de Croisades p29 (٢)

Catrogorsky . op . cit p323 (٣)

Runicman . op. cit vol p179 (٤)

وجود فرى بوايون والمندوب البابوى أدهمار ، ووصل النورمان أولا إلى سهل ضربليوم وهناك التقوا بالأتراك . وكان سقوط نيقية دافعا لجميع العناصر التركية في آسيا الصغرى للتحالف وترك الخلاف فتصالح السلطان قلع أرسلان مع الأمير غازى داتشمند وحسن أمير قبادرقيا ، وقامت خطتهم على أساس مفاجئة الصليبيين أثناء اجتيازهم للدرب ، وكانت قوات بوهمند في سهل اسكى شهر قرب ضرروليوم ، وأحاطت قوات الأتراك بالصليبيين من كل جهة وفرضت حصارا كاملا على جيش بوهمند ولكن وصول جيش جودفرى ثم ريموند غير الموقعة<sup>(١)</sup> ، فبدأ الصليبيون يعدون للهجوم واستطاع أدهمر الذى افترق عن الجيش الصليبي الرئيسى أن يهاجمهم من التلال خلفهم ، إلى جانب ما طأوه من نقص المؤن والعتاد ، وأدى هذا إلى رجحان كفة الصليبيون ، واضطر الترك إلى الانسحاب وترك معسكرهم الذى استولى عليه الصليبيون بما يحويه من نقائس ، ومعظم القتلى كانوا من جند الأمير حسن حتى سميت الجبال باسم Hasandagh ( أى مقبرة حسن ) .

ورغم أن هذه الانتصارات قد حطمت أسطورة الجيش التركى فإن الصليبيين شعروا بالتقدير لمهارة العسكرية التركية فذكر المؤلف النورمانى لكتاب *Gesta Francorum* أنه لو كان الترك مسيحيين لاعتبرهم من أنقى العناصر وأكثرها شجاعة وأن أصل الفرنج والترك يعود إلى الطرواديين<sup>(٢)</sup> .

وفي نفس الوقت شعر الترك بقوة الصليبيين الحقيقية وصعوبة مواجهتهم فاتخذوا سياسة تقوم على اخلاء المدن وتخريبها ، حتى لا يجد الصليبيون.

(1) Setton - op - cit - 1 - p 291

(2) *Gesta Francorum* 955

Albert - d , Aix p 328 - 324

William of Tyre p 129

فيها ما يعاونهم على الاستمرار في زحفهم ومن ناحية أخرى ازدادت  
الطوة بين الصليبيين والبيزنطيين بسبب ما حدث في ضريليوم من أحداث ،  
فقد أراد الصليبيون أن يجتازوا الطريق الحربي المؤدى إلى الشرق عبر  
مدن تخضع للدانشمند وعدد من الأمراء الأتراك الذين ما زالت جيوشهم  
سليمة لم تشارك في قتال فعلي ، ولكن البيزنطيون بقيادة تاتيكوس نصحوهم  
باجتياز طريق يحاور الجبل والذي يقع جنوب الصحراء ، وكان الطريق  
قد دمرته غزوات الأتراك (١) فلم يعد صالحا فاضطر الصليبيون إلى  
العودة إلى الطريق الأول ، ولكن خلال الطريق هلك عدد كبير من  
خيولهم وعانى الجيش الكثير من المشاق بسبب قلة الزاد وعدم وجود الماء  
الكافي ووصلوا إلى قونية ١٠٩٧ م وكان السلطان قد اتخذها عاصمة بعد  
سقوط نيقية ، ولم يحاول السلطان الدفاع عن المدينة إنما انسحب  
منها بعد أن خربها حتى لا يجد الصليبيون فيها ما ينتفعون به ،  
ولكن الأرمن بالمدينة قدموا لهم يد المعونة وزودوهم بما يحتاجونه  
من مؤن ، وبعد ذلك اتجهوا إلى هرقة ، وكان بها الأمير حسن أمير قبادوقيا  
وأمر الدانشمند وانسحب الترك كالمعتاد (٢) .

وبعد أن استراح الصليبيون عدة أيام في هرقة انقسموا قسمين ، فقام  
فريق بقيادة تانكرد وبلدوين شقيق جود فرى واتجهوا إلى قليقية ثم سهل (٣)

---

Gesta Francorum p 61 (١)

Albert d, Aix. p 338 - 329 (٢)

William of Tyre op cit p 30

Gronset : op. cit vol. I p 247 (٣)

Setton; op cit vol . I p 245

Runciman : op. cit p 188

طرسوس ، أما الجيش الآخر فاتجه إلى الشمال الشرقي إلى قيصرية ثم إلى  
كومانا وكوكوكسوت وسكانها من الأرمن وقد وجد الصليبيون في  
الأرمن والمسيحيين بوجه عام الخاضعين للترك خير عون وكانوا يمدونهم  
بالمئذ والعتاد ثم عبروا جبل اللكام إلى مرعش ولقد فقدوا في هذا الطريق  
كثير من دوابهم ، ولقى عدد كبير مصرعه بسبب الأمطار والمنعطفات  
والمنحدرات ، وكان يحكم المدينة موظف أرمني تابع لبيزنطة وأقرتايكوس  
حاكما ومن هناك اتجه الصليبيون إلى الشام<sup>(١)</sup>

وبذلك حققت الحملة ما أرادته الامبراطور من تحطيم قوة الترك  
واستعادة آسيا الصغرى لبيزنطة ففي نفس الوقت الذي اتجه فيه الصليبيون  
إلى أنطاكية كان الكسيوس يطهر الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى من  
البقايا التركية بعد سقوط نيقية واشغال السلاجقة وأترك الأناضول بأمر  
وسط وشرق آسيا الصغرى ، اهتم الامبراطور باستعادة الجزء الغربي من  
الأناضول وخاصة بعد أن ضعفت قوة الأتراك واشتت جيوشهم نتيجة  
لهزائمهم أمام الصليبيين ، ويقال أن الامبراطور أراد في نفس الوقت  
المحافظة على مواصلات الصليبيين ومؤخرة جيشهم ، وصلاتهم  
بالبزنطيين<sup>(٢)</sup> .

ولقد أوفى الصليبيون بوعدهم للامبراطور فسلموه ما فتحوه من مدن في  
آسيا الصغرى بولي عليها من يشاء فأرسل الامبراطور اصهره خنادوكاس  
على رأس جيش يساعده أسطول بقيادة كاسباكس Kaspax فاستولى على  
ساحل أبونيا وفريجيا<sup>(٣)</sup> .

---

Grousset : Hist des Croisades vol 1p30 (١)

Runciman : op. cit, vol 1p194 (٢)

Grousset. Hist. des Croisades vol 1d1 (٣)

وكان الأتراك يشعرون بعدم جدوى المقاومة وخاصة أن الامبراطور أرسل مع الجيش المهاجم زوجة قلع أرسلان الأسيرة والتي كانت في نفس الوقت شقيقة زاخاس أمير أزمير الذي يسيطر على جزائر لسبوس وخبوس وساموس وسائر المدن الغربية في الساحل (١) .

وأمام التهديد البيزنطي استسلم زاخاس وانسحب إلى الشرق في مقابل تسليم أخته إليه ، فاستولى قائد الأسطول البيزنطي على لسبوس وخبوس وساموس ، أما حنا فاستولى على البلاد الداخلية مثل سرديس وفلادلفيا ولادوقية ، وانتصر على عدد من الفرق التركية عند بلوادين ، واستولى الامبراطور على يثينيا ، وكان هدف الامبراطور السيطرة على الطريق من Polybolus إلى أضايا ثم يتجه إلى الشرق عبر ساحل آسيا الصغرى ويؤمن بذلك طريق المؤن إلى الشام (٢) .

وكان على الامبراطور أن يتجه بعد ذلك إلى قليقية ثم إلى الشام حيث كان الفرنج يحاصرون أنطاكية ، وأقام فعلا معسكره في فيلو ميلون (٣) ١٠٩٨ م ولكن جاءت أنباء عن نشوب خلاف بين الصليبيين وفرقه جعلته يتراجع عن ذلك . ومع كل فإن بيزنطة تعتبر قد استردت الأناضول ثانية .

وأزال الصليبيون مالحق بيزنطة من هزيمة في مازكرت ١٠٧١ م وتحطمت أسطورة الترك ولقد احتفظت بيزنطة ببعض مناطق آسيا الصغرى للقرون الثلاث التالية (٤) .

---

Camb Hist of Islam vol p289 (١)

Rüchman , op. cit vol I p143-144 (٢)

Grousset op. cit vol p1194 (٣)

Rüchman op. cit vol I p224 (٤)



وسهولة سقوط الأناضول أمام الصليبيين يرجع إلى عوامل عدة منها : ضخامة الجيوش الصليبية بالنسبة للأتراك الذين لم يكونوا يعملون تحت قيادة موحدة بل كان العداء على أشده بين سلاجقة الروم والدانشمند إلى جانب عدم انضمام القوى في الشام والعراق إليهم لعدم تفهم بعضهم لهدف الحملة الصليبية ولا إشغالهم بقتال بعضهم البعض ، ولاننى الدور الذى قام به الأرمن والمسيحيين الخاضعين للترك من مد يد المعونة للصليبيين (١) . وأن كان استيلاء بيزنطة على الأناضول يعنى نهاية الوفاق مع الصليبيين .

#### الخلاف بين بيزنطة والصليبيين :

انتهى الوفاق البيزنطى الصليبي نتيجة لمشكلة انطاكية التى أوضحت الفارق بين وجهتى النظر البيزنطية والصليبية ، واتجه تنكرد النورمانى وجود فرى بوايون إلى قليقة فى ٢١ سبتمبر ١٠٩٧ م ، وكانت تخضع لفلارتيوس الأرمنى ثم استولى السلاجقة عليها وان احتفظ الأرمنى ببعض المدن (٢) .

أما الجيش البيزنطى الرئيسى فاتجه إلى انطاكية حيث وصل فى ٢١ أكتوبر ، وكانت انطاكية كما سبق أن ذكرنا تتبع بيزنطة بل عاصمة الأملاك البيزنطية فى الشام ثم انتزعها سليمان بن قتلىش ١٠٨٥ م ، وأثناء هذه الفترة كان بلى حكما ياغى سيان أحد قادة الترك الذى ولاه تنش (٣) ، ولم يستطع رضوان بن تنش استعادتها . ولقد استمر حصار الصليبيين للمدينة سبعة أشهر واستنجد ياغى سيان بالقوى الإسلامية ، ولكن الخلاف بين تلك القوى أضعف شأن العالم الإسلامى ولم يجعلها تتخذ خطوات إيجابية ،

(١) "Ostrogorsky", op. cit p328

(٢) Grosset , op. cit vol Ip43

(٣) ابن الفلانى : دبل تاريخ دمشق ص ١٢٤

والخلاف كان قائما في الشام بين الفاطميين والأتراك المستقلين والسلاجقة بل حاول الفاطميون التحالف مع الصليبيين ، لعدم همهم للهدف من الحروب الصليبية ، حتى الجيوش الإسلامية التي تقدمت لنصرة المدينة كانت جيوش فردية كقوات أمير شزر<sup>(١)</sup> .

ولقد حاول يوهنموند النورمندی استغلال الأوضاع أثناء الحصار للفوز بالمدينة وخاصة بعد نشوب نزاع بينه وبين ريموند تولوز فأراد التخلص من كل أثر للنفوذ البيزنطي<sup>(٢)</sup> .

وبدا بالتخلص من تانكيوس القائد البيزنطي لكي يحرم بيزنطة من أي فضل في الاستيلاء على المدينة فأساء إلى تانكيوس حتى اضطره للانسحاب بدعوى احضار مؤن ، وأوهم يوهنموند بقية الأمراء الصليبيين بأن الامبراطور الكسيوس يكيد لهم ويتحالف مع السلاجقة ، وزعم أن الامبراطور أخل بشروط يمين الولاء وتخلي عنهم بفراوتاكسيوس<sup>(٣)</sup> ، وعدل عن امدادهم بالمؤن واستطاع يوهنموند الحصول على وعد من الصليبيين ، بأنه من حقه الانفساد بالمدينة إذا كانت قواته أول من يدخل إليها ، ومالم يتقدم الامبراطور لنجدتهم ، وأخيرا سقطت المدينة في ٣ يولية ١٠٩٨ م عن طريق خيانة أحد قادة ياغي سيان وهو فيروز الأرمني<sup>(٤)</sup> ، واعترف الجميع بحق يوهنموند عدا ريموند الذي أصر على استدعاء الامبراطور ، واستجاب الصليبيون وأنفذوا سفارة لأكسيوس تسأله

Ostrogorsky, op. cit p323 (١)

Grousset . Hist. des Croisades vol I p73 (٢)

Setton . op. cit. vol 1. p313

setton . op. cit. vol I p314 (٣)

Ostrogorsky op cit p324 (٤)

القدوم ، ولكن ظروف الإمبراطور منعه من الحضور وبذلك اضاعت فرصته في استرداد أنطاكية وقام الكسيوس بالاحتجاج غير أن بوهمند لم يأبه لذلك ، ولم يسع الإمبراطور إلى اتخاذ خطوة إيجابية وخاصة أنه كان هناك تقارب وتفاهم بين كلا من الإمبراطور وريموند تورلوز (١) رغم أن الأخير في البداية قد رفض أن يقسم له يمين الولاء إلا أنه سلم إلى الإمبراطور المناقذ البحرية الطبيعية لأنطاكية وهي اللاذقية ، وجالانيا وقلبيقية ، فأرسل جيشاً لا تنزع قلبية ومهاجمة أنطاكية ، غير أنه لم يستول إلا على مرعش ، نظراً لأن الأرمن بقلبيقية كانوا يؤثرون الفرنج على البزنطيين ، ولما اتجه الصليبيون نحو جنوب فلسطين توقفت مساعدة بيزنطة الفعلية للحملة ، بل زاد الأمر سوءاً بين الكسيوس والصليبيين ، حينما حاصر الصليبيون بيت المقدس سقطت في أيديهم رسائل متبادلة بين الفاطميين والكسيوس .

ولقد قام الصليبيون في الشرق الأدنى فيما بين ١٠٩٧ م — ١٠٩٩ م بإقامة أربع إمارات هي الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس ، وجميع تلك الإمارات مستقلة لا تدين بالولاء لبيزنطة ، ولقد أدى هذا لتغير موقف بيزنطة من اخلاص الصليبية ، وبدأ هذا واضحاً من موقفها من حملة سنة ١١٠٠ م فلم تنس لبوهمند موقفه ، فرغم أنه أسر على يد الملك غازي دانشمند في يوايو سنة ١١٠٠ م عقب هزيمة الجيوش الصليبية في ملطية (٢) فإن تنكرد ابن أخيه سار على نفس سياسة خاله من العداء لليونان (٣)

(١) ابن الأثير الكامل حوادث سنة ٤٩١ هـ .

ابن العديم : روضة الملة ج ٢ ص ١٣٤ .

Camb. Hist. of Islam Vol 1, p. 239 66 Ostrogorsky op. (٢)

Cit. p. 323 .

Ruicman . op cit vol I p 300 (٣)

### السلاجقة وحملة ١١٠٠ م :

نتيجة لنجاح الحملة الصليبية الأولى فإن الغرب الأوربي وفرسانه فقد بدأت أفكارهم تتجه إلى الشرق وأراضيه ، في نفس الوقت الذي استعدت فيه أحوال الإمارات الصليبية قدوم حملة صليبية جديدة . فلقد تناقص عدد الرجال واشتدت إغارات المسلمين عليهم <sup>(١)</sup> ، وفي عام ١١٠٠ م وصلت حملة إلى القسطنطينية يقودها انسلم رئيس أساقفة ميلان وجيوبرت وهيومن الأمراء ، وانضم إليهم فيما بعد وايم التاسع كونت بواتييه وآلاف من اللومباردين والفرنسيين ، ولما وصلت الحملة إلى القسطنطينية تولى قيادتها ريموند كونت تولوز <sup>(٢)</sup> ، ولكن أصر أفراد الحملة على الاتجاه إلى أملاك الدانشمند لإطلاق سراح بوهمند الذي أسره غازي كمشنكين في قلعة نيكسار على البحر الأسود ، وأمام إصرار اللومباردين استجاب الإمبراطور رغم أنه أراد في البداية استغلال تلك الحملة في تأمين الطريق إلى سوريا . وبذلك يأمن ممتلكاته في شرق آسيا ، ولقد سرحب الكسيوس بالتخلص منهم لقيامهم بأعمال النهب والسلب في ضواحي القسطنطينية ونصحهم باتخاذ الطريق عبر نهر ضريلوم وقونية كالحملة الأولى <sup>(٣)</sup> ، ولكن اللومباردين أصرروا على مهاجمة الدانشمند وأراضيه ، وحدثت الموقعة الفاصلة في أغسطس ١١٠١ م - بين أماسيا وسيواس بين غازي دانشمند وحليفه رضوان ملك حلب وبين الصليبيين وهزم الصليبيين وفر اللومبارديون مع أول اشتباك واضطر ريموند والقرات البيزنطية إلى الانسحاب ولحقت

Runicman : op. cit vol Ip 3 1 (١)

Runicman : op. cit vol 2p. 19 (٢)

Setton- op. cit vol 2p: 343 (٣)

بهم بقية الجيوش الصليبية بعد أن طانت الأرضين وغنم منها السلاجقة الكثير (١). ويقال إن عدد القتلى تجاوز المائة وستين ألفاً ، ولقد حاقق بالحملة التي يقودها ولهم الثاني حسكرت Nevers والحملة التي يقودها دوق اكرتين هزائم مماثلة على أبدى أنراك الأناضول (٢) وترتبت على هذه الحملة نتائج أهمها استعادة السلطان السلجوقي لنفوذ في آسيا الصغرى ، واتخاذ قونية عاصمة له مرة أخرى وتهديده للطريق الرئيسى بين القسطنطينية والشام ، كما مد غازى الدانشمندى نفوذه إلى الفرات وأصبح يهدد الرها ، وأصبح الطريق إلى آسيا الصغرى موحداً مرة أخرى أمام الصليبيين والبيزنطيين .

ولقد ألقى الصليبيون مشرلية الهزيمة على عاتق بيزنطة في حين اتهمهم بيزنطة من جانبها بأنهم لم يتبعوا خطط الإمبراطور البيزنطى ، وتنتج عن إغلاق الطريق أنه تحتم على الصليبيين عند توجيه أى حملة أن يسلكوا الطريق البحرى ، واستفادت من ذلك المدن الإيطالية كجنوة والبندقية ، إذ أن الطريق المتاح كان وعراً متعرضاً لهجمات الترك (٣) .

وإن كان البيزنطيون قد استفلوا ضعف اللاتين واستطاعوا السيطرة على قلاع طرسوس وآذنه والمصيعة (٤) ، واستطاع أسطولهم السيطرة على لاذيقا والمدن الساحلية إلى طرابلس .

ولقد تلى المعركة اتخاذ الإمبراطورية موقف عدائى على من القوى الصليبية ، وقد أرسل الكسيوس إلى سلطان السلاجقة يحدد يمينته على

(١) Groosset : op. cit volIp 325

(٢) سميد ماشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥ .

(٣) Ostrogorsky : op. cit p. 325

(٤) ابن الأثير : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩ .

تلك الشريعة ، ووصلت سفارته وقت وصول أهل حلب ، فاشتد أهل  
 دمشق على السلطان على الجهاد ، أما نبي الله تعالى أن يكون ملك اليم  
 ، سفره في ذلك ثلاثين عاماً حتى لقد أرسل إليك في جهادهم ، (١) ونقضت  
 في الإمبراطور البيزنطي للسلطان والخليفة العباسي عرض التحالف  
 بين البيزنطيين والمسلمين ، كما تضمن الإشارة من طرف حتى إلى نوايا  
 الصليبيين ، وكانت هذه السفارة تهدف إلى القيام بجهد مشترك بين بغداد  
 وبين نخلة ضد الصليبيين ، وكان هدف الإمبراطور إضعاف كلا الجانبين  
 وخاصة بعد أن تأكد أن لا أمل له في استعادة أنطاكية .

### آسيا الصغرى بعد الحملة الصليبية الأولى :

إذا نظرنا إلى خريطة آسيا الصغرى بعد نهاية الحملة الصليبية الأولى ،  
 نجد أن الأوضاع لم يحدث فيها تغيرات جوهرية ، فلم يسيطر الكسيوس  
 إلا على الجزء الغربي فضلاً عن الساحلين الشمالي والجنوبي بينما سيطر الترك  
 على الداخل ، ولقد عقد الإمبراطور اتفاقية مع قلع أرسلان ضد الصليبيين ،  
 وبهذا تفرغ قلع أرسلان للاتجاه إلى الشرق وبدأ بالاستيلاء على ملطية  
 ٤٩٦ هـ - ١١٠٣ م من يد غازي كشتكين ، ثم وجه جنوده إلى شرق  
 الأناضول ، وأجبرهم على الاعتراف بسلطانه ، ثم نشب صراع بينه وبين  
 سلاجقة العراق حين اجتاحت الموصل ، واشتبك في معركة على نهر الخابور  
 ضد جيش أرسلان السلطان محمود حين لقي مصرعه كأيته في شوال ٥٠٠ هـ -  
 ١١٠٧ م ولقد ترك العرش في قونية خالياً لأن أكبر أبنائه شاهنشاه  
 لشكشاه أخذه حاكم الموصل إلى أصفهان أسيراً وظل هناك إلى  
 (٥٠٤ هـ - ١١١٠ م) (٢) واستغلت بينة هذه الفرصة للتوسع على طول

(١) ابن القلانسي : قبل تاريخ دمشق ص ١٧٩ ابن العديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ٦٥٧  
 ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٠١ - حوادث ٤٩٦ هـ .  
 (٢) Camb. Hist of Islam vol II P. 239 (٦٩)

الساحل . بل استطاعت مفاجأة جموع تركية معها نساها ولولادها كانت تتحرك في اتجاه وسط الأناضول وقضت الجيوش البيزنطية على كل من فيها .

وكان من الطبيعي أن يصطدم البيزنطيون بالدانشمندان الذين زاد نفوذهم على بقية العناصر التركية لضعف سلاجقة الروم . فسيطر غازي على وسط الأناضول واشتبك مع الفرنج والأرمن في الجنوب ومع البيزنطيين في الغرب ، وخاصة إمارة طرابزون في الشمال الشرقي ، وفي قبادوقيا دخل الأمير حسن حاكمها في ١١٠٧ في صراع مع يزنطة (١) . ولكن ملكشاه أكبر أولاد قلع أرسلان استطاع التخلص من أسر سلاجقة العراق ، واتخذ قونية عاصمة له ١١٠٦ - ١١٠٧ م فتحالف معه الإمبراطور البيزنطي ضد حسن الذي تقدم في اتجاه فيلادلفيا . وكان يسعى إلى الاستيلاء على أزمير ، وكان هدف ملكشاه من التعاون مع يزنطة استرداد أراضي أسلافه التي وقعت في يد الدانشمندان . ولقد تصدى لحسن وقواته القائد البيزنطي Eustathius Philocae قائد غرب الأناضول واستطاع هزيمته واستعاد لجزء الغربي من الأناضول واحباط محاولة حسن واستنقاذ الشاطئ الإيحييني (٢) .

ولكن ما لبث أن غير ملكشاه موقفه ووجه قواته ضد فيلاديفيا البيزنطية سنة ١١١٢ م ، والتحم مع القائد البيزنطي Gabras ثم اشتبك مرة ثانية في سنة ١١١٣ م ، فقام القائد البيزنطي بهجوم سريع على يثينا وأسوار قونية . ورد السلاجقة على ذلك بحصار القائد محمد لمدينة

Setton : op. cit I p. 342. (١)

unicman op.cit vol2 p. 139. (٢)

1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 26

وفي سنة ١١١٥ م ترددت الأنباء أن ملككشاه يستعد للحرب مرة ثانية وتخصى الكسيوس السنة في احتلال يثينيا ، وفي السنة التالية قرر الإمبراطور أن يبدأ الهجوم رغم مرضه ، فاتجه جنوبا إلى قونية واقتصر البيناطيون في Philaeum ، واضطر ملككشاه لطلب الصلح واعترف بمكانة بينظرة الثاني ابن طرابزون إلى قايقية والمناطق غرب أنقرة (١) . ولكن نال ذلك ، قتل ملككشاه على يد أخيه مسعود بمحاولة من قبل أخاه الثاني بن طرابزون في ١١٤٩ م - ١١٥٠ م - ١١٤٩ م . وفي تلك الأثناء أراضى ملككشاه سلاجقة الروم وأصبحت لا تتعدى ضواحي قونية وأصبحت تحت وصاية الدانشمنديين . (٢) كل هذه العوامل ساعدت حنا الثاني ابن الكسيوس الذي تولى سنة ١١١٨ م على التوسع على حساب الترك (٣) .

ضعف الممالك السلجوقية وتراجع الترك إلى قلب الأناضول :  
تولى حنا الثاني ( ١١١٨ م - ١١٤٣ م ) خلفاً لأبيه الكسيوس ويعتبر  
عهد حنا وما نويل هو الفترة التي بلغت فيها بين زطة أقصى توسع ووفرة وكانت  
نهايته بداية الانهيار للتوسع البيزنطي . ويعتبر حنا من أعظم أباطرة آل  
كوننينين مهارة فهو قائد يتمتع بنظر ثاقب (٤) .

Ostrogorsky op. cit p. 329 (1)

**Camb. Hist. of Islam I.p. 240 (v)**

(٣) أمجد رستم : الروم ص ١٢٣

Ostrogorsky : op. cit p. 330 (4)



وكان يعرف كيف يحقق أهدافه ، سار على سياسة أييه بإرادة حديدية ، ولكنّه كان يختلف عنه حيث كان اهتمامه منصّباً على الشرق فلم يضارع أباه في الاهتمام بالجانب الأوربي ، وبعد أن انتهى من مشاكله في الغرب التي تتمثل في الصراع مع البندقية التي احتاطت تجارة بيزنطة بحلفه محكمة وهاجمت الإمبراطور في البحر الايجيني فعمد بحالفة معها ١١٢٢ م ، وفي نفس الوقت حقق نصراً في البلقان على المجر ١١٢٢ ووضع حداً لغزواتهم وأجبر الصرب على السلم ثم اتجه إلى آسيا الصغرى ، إذ رأى أنه لا بد له من تأمين حدوده واستعادة ما فقدته الإمبراطورية من أملاك وتطهير الطرق التي تحتاز الأناضول وتدعيم قواته في المناطق التي تم الاستيلاء عليها في الأجزاء الغربية عقب الحرب الصليبية الأولى ، وأن يعد الحد الداخلي صوب الشمال الشرقي حتى لإقليم مشمطون (١) .

وكان في هذا تهديد سافر للدانشمندی وهم العدو الذي كان يمثل خطراً مباشراً على الوجود البيزنطي في آسيا الصغرى ، فإن سلاجقة الروم لم يعد لهم بعد موت ملككشاه نفس التأثير الأول والفاعلية في المنطقة ، وكان حتا الثاني عند توليه قد قام بالاستيلاء على مدن لاذيقا ، sozpolls (٢) ولكن الأمير الدانشمندی استغل فرصة انشغال الإمبراطور بأمر البجناك والصرب في البلقان وبدعم من الأراتقة هزم دوق طرابزون ، وحليفه منجوشك حاكم shiran .

وأتاح النزاع الذي نشب بين مسعود وأخيه عرب حاكم أنقرة وقسطموني الفرصة أمام الأمير الدانشمندی للاتجاه إلى قونية حيث أستولى على العرش ٥٣٠ - ١١٢٦ م ، فاضطر مسعود إلى الحرب إلى القسطنطينية

(١) Matthieu d, Edesse. p33

ostrogorsky : op cit Ip 33

Setton : op. cit vol IP. 437. Grousset : op cit vol.I p 362 (٢)

حيث استقبله الإمبراطور استقبالاً حسناً ولكن مسعود بمعاونة بزنطة استطاع استرداد عرشه ، فلجأ عرت بدوره إلى قليقية ثم إلى القسطنطينية . وبذلك أصبح الإمبراطور هو الحكم في خلافت سلاجقة الروم (١) ، ولكنه هذا من استعادة قسطنطين واعترف له بالتبعية حاكماً كنعري ، وأماسيا ، وإن كان عكر عليه صفو انتصاراته هروب أخيه اسحاق حيث حيث قضى تسع أعوام يدبر ضده المكائد مع الأمراء المسلمين والأرمن ، ولقد استغل غازي الدانشمند (٢) هذه الفرصة ليتوسّع على شاطئ البحر الأسود ، بل أن مسعود تقدم في غرب الأناضول وأصبح مسعود يسيطر على الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الأناضول من سنجار إلى طوروس (٣) . أما غازي الدانشمند فكان يحكم من هاليس إلى الفرات ، والمنطقة بينهما فيحكمها أمراء مستقلون ولقد منح الخليفة وسلطان السلاجقة في العراق غازي لقب ملك بصفته أقوى حكام الأناضول .

وفي عام ٥٢٩ هـ — ١١٣٤ م توفي الملك غازي الدانشمند وخلفه ابنه محمد ، وكان الإمبراطور قد اتجه بجهوده إلى الأرمن في قليقية ١١٣٧ م واستطاع الاستيلاء على طرسوس وأذنه ومصيصة وهرب أمير أرمينيا ولكن قبض عليه وأرسل أسيراً إلى القسطنطينية ، وبذلك أصبح الطريق لسوريا مفتوحاً ، وحاصر الإمبراطور أنطاكية ١١٣٧ م واضطر حاكمها ريموند بواتيه لقبول الصلح مع الإمبراطور (٤) ثم حاصر حلب ولكن لم يستطع الاستيلاء عليها بسبب قدوم إمداد من قبل زنكي اتابك الموصل ، واضطر الإمبراطور للانسحاب لتعرض بلاده لهجمات الدانشمندی الذي

(١) Camb. Hist. of Islam vol I p. 240

(٢) Ostrogorsky. op. cit. p. 324

(٣) Setton : op. cit p. 337

Grousset. op. cit. vol I p. 85

(٤) ابن الفلاني ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

Setton op. cit vol 2 p. 439

حاولوا مد حدودهم على حساب الأراضي البيزنطية ، فاضطر الإمبراطور للسير إلى عاصمتهم نيكسار في ٥٣٤ هـ - ١١٤٠ م وقرر الإمبراطور تطهير الأناضول منهم ، في نفس الوقت الذي عول فيه ثيودور جابراس دوق طرابزون ، ورحل إلى نيكسار بعد أن تكبد كثيراً من الخسائر في شمال الأناضول وقد استمر حصار المدينة فترة طويلة تخولها العديد من المعارك بين الجانبين ولقد تسبب طول مدة الحصار في إشاعة الفوضى والقلق في الجيش البيزنطي ، وقام أحد الأمراء البيزنطيين بالهروب إلى معسكر السلطان مسعود حيث اعتنق الإسلام وتزوج ابنة السلطان . ولقد دفع هذا بالإمبراطور لرفع الحصار والعودة عن طريق البحر الأسود إلى القسطنطينية ١١٤١ م ، ونتيجة لهذا تقدم مسعود في الأناضول . ولقد أفاد من النزاع الذي تلى وفاة محمد الدانشمندی في ٥٣٦ هـ - ١١٤٢ م والذي وقع بين ياغي بازان شقيق الملك محمد وبين ذي النون ابن محمد وسائر أفراد الأسرة ، فتقدم مسعود وحاصر ملطية وطرده الدانشمند من أراضيه ، واستعادت أغلب الأناضول من الدانشمند إلى السلاجقة ، وبينما كان السلطان يعد حدوده إلى الشرق مستفيداً من النزاع بين أتابك الموصل والاراققة<sup>(١)</sup> اندفع التركمان في غرب الأناضول عبر وادي الميندر وزحفوا على المناطق الزراعية ، وقضوا على الأمن والرخاء التجاري ، وتخربت الطرق التي تربط بين المدن .

وفي تلك الأثناء توفي حنا كومنين وخلفه رابع أبنائه ماتويل الذي نهج سياسة أبيه وجده في محاولة استعادة نفوذ بينظلة في آسيا الصغرى<sup>(٢)</sup> . وقاد الإمبراطور جيشاً كبيراً واتجه به إلى غرب الأناضول لاستئصال

Michel le syrien p : 214 (١)

Camb Hist, of Islam vol 1 p 489

Ostrogorsky ob. cit 33e (٢)

«البيكان التركي في المنطقة ، وبعط أن طهر غرب الأناضول ، وهزم قوات السلاجقة في اسكى شهر وحرق المدينة ، ولما سمع السلطان باقتراب الإمبراطور سارع بالحضور من الشرق وأعد جيوشه في Akaray ، ولقد عسكرت الجيوش البيزنطية إلى الغرب من قونية وخربوا المناطق المحيطة بها وقتلوا الآلاف من أهلها .

وإن كان الإمبراطور قد اضطر للتراجع بعد هجوم الجيش السلجوقي ، وبعد أنباء قدوم الحملة الصليبية الثانية ، واضطر الطرفان لمقابلة اتفاق .

### الزنكيون وسلاجقة الروم :

كان لسقوط الرها على يد عماد الدين الزنكي أثر كبير بالنسبة للصليبي الشام ، وبالنسبة للعالم الغربي عامة (١) ، وكانت الرها تمثل خطراً كبيراً على خطوط

---

(١) الزنكيون : كان أوسنقر والد زنكي من أعظم ممالك السلطان ملكشاه ولاء حكم حلب سنة ١٠٩٢ وألحقته في مصرعه ١١٠٤ م ثم دخل زنكي في خدمة جاولي والبرستي واشتغل زنكي بتفأله ضد الصليبيين واشترك في حملة مودود ومنعه السلطان آمد والبصرة . وواسط ، وظهر زنكي في أثناء القتال الذي وقع بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان محمود السلجوقي فزاع مديته في بغداد وانحاز زنكي إلى جانب السلطان ونصره . وازداد نفوذ زنكي حين تولى أمر الموصل سنة ١١٢٧ م ونفى السنوات إلى ١١٤٤ م في نزال مستمر ، واستولى على حلب سنة ١١٢٩ م وبذلك تهيأت له الفرصة للتدخل في شئون الشام وسمى لتوحيد القوى الإسلامية في بلاد الشام لمواجهة الصليبيين . وكانت تلك القوى تتمثل في إمارة حمص ، ثم دمشق وحماة في الشمال ، وحموان في الجنوب ، واستطاع مزينة الصليبيين سنة ١١٣٨ م وفي ديسمبر سنة ١١٤٤ م انه ولى على الرها أول الإمارات الصليبية .

لغزاد من الفاضل ابن الأثير الكامل حوادث ٥٢٣ هـ إلى ٥٣٩ هـ

سعيد عاشر الحركة الصليبية ج ٢ ص ٥٩٧ .

المواضلات الإسلامية بين الموصل وحلب وبين بغداد وسلاجقة الروم في آسيا الصغرى وسارع البسبا يوجين الثالث إلى الدعوة لحرب صليبية جديدة .

واستجاب لدعوته كل من كثراد الثاني امبراطور المانيا ولويس السابع ملك فرنسا ، وعلى الرغم من أن الحملة الصليبية توافر لها كل أسباب النجاح فإنها تعتبر من الحملات الفاشلة في تاريخ الحروب الصليبية ، ولقد افتقرت تلك الحملة لما تمتعت به الحملة الأولى من قوة روسية ودوافع .

ولقد اختلف موقف بينظمة من هذه الحملة عن الحملة الصليبية الأولى التي كان سببها استنجداد بينظمة بالغرب ، فإن بينظمة في عهد مانويل كانت قد استعادت آسيا الصغرى وأصبحت الإمارات اللاتينية حاضرة بينها وبين المسلمين (١) ، ثم حالة الضعف التي تمر بها دولة سلاجقة الروم والخلاف بين الأتراك في آسيا الصغرى بحيث لم يعودوا خطراً إلى جانب اعتراف ريموند أمير أنطاكية بالتبعية ، فرأى مانويل أن كل ما فعله الحملة بالنسبة لبيزنطية جلب المتاعب والاعتداء على أراضيها والمعاناة من تصرفات الصليبيين .

في نفس الوقت الذي تعنى فيه الحملة تدعيم اللاتين في الشرق وإمارة أنطاكية خاصة التي هي العدو اللدود لبيزنطة . وكانت علاقة بينظمة بالغرب متوترة ولم يكن هناك تعاطف بين مانويل وكثراد ، وازدادت العلاقات سوءاً نتيجة ما صاحب وصول الصليبيين ومرورهم بأراضي الإمبراطورية

(١) ابن الفلاني ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٢ / ٢٢٤ .

سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٠٤

من مشاكل (١) حتى أن مشروع الاستيلاء على القسطنطينية نوقش بين قادة الحملة ، وبذل الإمبراطور غاية جهده لسرعة نقل الصليبين من العاصمة إلى آسيا الصغرى وأصر على طلب قسم الولاء وتسليم بزنطة البلاد التي ستقوم الحملة بنتمها ، ووعد الإمبراطور بتوفير المدون ، ولكن لم يقدم البيزنطيون المساعدات الكافية ، ولم يشتركوا معهم في مهاجمة السلاجقة ، وبذلك حال البيزنطيون دون القضاء على العائق الذي يهدد الطريق البري للجيش الصليبي الراقد من الغرب . وفي نفس الوقت تطهير آسيا الصغرى من عدوهم اللدود وهم الترك (٢) .

غير أن الثالث البسفور إلى آسيا الصغرى ، ولم يتخذ الطريق الذي نصحه البيزنطيون باخذه وهو طريق الساحل الغربي إلى إيطاليا ، والذي يخضع لسلطان بزنطة (٣) واختار كزاد أن يشق طريقه في جوف الأناضول مخترقاً أراضي السلاجقة ، ودب النزاع بين السلطان ودليلهم البيزنطي فتركهم الدليل وتخلف عنهم بما عرض الصليبين لأسوأ النتائج ودارت في أسكى شهر بالقرب من ضريوم معركة في ٢٨ رمضان ٤٥٢ هـ - ١١٤٧ م (٤) . هلك فيها معظم الجيش الصليبي وغنم السلاجقة الكثير ، ولما وصلت لويس السابع تلك الأنباء كان قد وصل أمام أسوار القسطنطينية سنة ١١٤٧ ، وصدم بأنباء الصلح المنفرد الذي عقده الإمبراطور مع سلاجقة قونية ، في نفس الوقت الذي طلب فيه الإمبراطور أن يقسم له يمين التبعية ويعيد له ما يفتحونه من أراضي وإلا قطع عنهم الإمداد . واتخذ الملك الفرنسي الطريق الجنوبي المحاذي لساحل بحر ليجهت بعيداً عن السلاجقة (٥) .

(١) Ostrogorsky , op. Cit p 339

(٢) Ostrogorsky ; op. cltp. 329

(٣) Runicmar ' op. cit Voi 2 p 269

(٤) Grousset : op. cit Vol. 2p 242

والتقى بفلول جيش كزار الثالث وانتهوا إلى أزمير وأفسسوس . وكان  
المرور خلال أواضي وحرة وطريق . بظلمة ، إلى جانب الصرايح بين  
الفرنسيين والألمان واختلافات الكثيرين والإسرى .

من أفسسوس عاد كزار إلى القسطنطينية لمرضه (١) ، واستقبله الإمبراطور  
استقبالا حسنا ، وأرسل ما نويل رسالة إلى لويس يطلب منه تجنب الاشتباك  
مع الأتراك ، فقد كان الإمبراطور ملتزماً بمعاهدة مع المسلمين ، ولم يستجب  
لويس لنصيحة الإمبراطور فلقى هزيمة من قبل السلاجقة سنة ١١٤٨ م .  
ثم اتجه بعد ذلك إلى إيطاليا واتخذ طريق البحر إلى السويدية وأنطاكية ،  
ولما لم يتوافر العدد اللازم من السفن سلك بقية الجيش طريق طرسوس  
إلى أنطاكية وتعرض غالييته إلى الهلاك (٢) ، ورفضت بزنطة تقديم  
المساعدة بل عاقبت مدينة إيطاليا التي عاوتهم ، وعانت الحملة الأمرين من  
سوء معاملة البيزنطيين وهجمات السلاجقة ، إلى أن تم نقلهم على دفعات إلى  
الشام . ويقال إن الحملة خلفت في آسيا الصغرى أعداداً كبيرة تعاني  
من الجوع والمرض حتى أن الترك مدوا لهم يد العون وأمدوا جراحهم  
بالطعام (٣) .

ولم تحقق الحملة ما هو مرجو منها فبدلاً من تخطيط قوة نور الدين الذي  
خلف أباه عماد الدين زنكي في تزعم حركة الجهاد إذ بها تنجبه إلى دمشق  
ولسكنها لم تنجح في الاستيلاء عليها ، كل ما أفادته زيادة البغضاء ضد بزنطية  
حتى أن لويس السابع تحالف مع النورمان ، وحمل كل الطرفين الآخر  
أسباب الهزيمة .

Setton : op. cit. Vol. Ip. 399 (١)

Quelchan , op. cit. Vol. 2. p. 273. (٢)

Greusset : op. cit. Vol. 2 p. 248 (٣)

أما بالنسبة للسلاجقة فقد ثبت للعالم الإسلامى أنه من الممكن مواجهة الصليبيين وهم يمتهم ، ودعيت مركز مسعود السلجوقى حتى أن الخليفة العباسى أرسل إليه التشاريف والهدايا (١) .

وأثبتت تلك الحركة أنه ليس من العسير على القوى الإسلامية إذا اتحدت أن تهزم القوات الصليبية ، وخاصة أن نور الدين زنگى سار على سياسة أليه فى تكوين جبهة موحدة (٢) وبسط سلطانه على الأمراء المسلمين فى الشام وآسيا الصغرى بالوسائل السلمية ، من ذلك ما حدث من معاهدة بين نور الدين وأمرام السلاجقة فى آسيا الصغرى وترتب على ذلك اقتسام نور الدين والسلاجقة ما تبقى من أملاك الزها ، وقد استولى مسعود على مرعش وكيسوم وعيتتاب ودلوك فى حين استولى نور الدين على عزاز (٣) وكان مانويل قد اشترى بقايا المملكة من وريثها ولكنهم لم يلقوا بالآلى اتفاقه ، وتقدم حاكم سيواس ياغى بازان فد حدوده إلى البحر الأسود واستولى عليه ولكن فى سنة ١١٥٤ م تحالف مانويل مع مسعود سلطان قونية ضد الأرمن الذين سيطروا على عين زربة وآذنه وطرسوس ، وكان أرناط أمير أنطاكية قد حالف ثورس أمير قليقية الأرمنى ضد سلاجقة الروم والبيزنطيين جميعاً ، (٤) فى الوقت الذى اتخذ فيه مانويل من سلاجقة الروم حاجزاً وعن هذا الطريق استطاع السلاجقة الاستيلاء على عدد من المدن الأرمنية ، ولقد حاول السلطان الاستيلاء على بقية قليقية ولكن انتشار الطاعون فى بلاده منعه من ذلك وما لبث أن توفى سنة ٥٥٧ هـ - ١١٥٥ م . (٥)

Camb. Hist. of Islam Ip-241 (١)

Grousset. op. cit II p 288 (٢)

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٥

(٤) ابن التلانى ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٠ ، أبو شامة الرواسين ص ٧١

Runieman ; op. cit. Vol . 2p 327 (٥)



على كل فانه ترك سلطته كأقوى إدارة في الأناضول .

خلف مسعود ابنه قلع أرسلان الثاني (٥٥٦ هـ - ٥٨٨ هـ) ، (١١٥٥ م ١١٩٣) ولقد واجه في أول عهده مشاكل عديدة فلقد ثار عليه أخيه ملكشاه ملك قسطنطين وأنقرة ، والأمير الدانشمندى ياغى بازان صاحب سيواس الذى استنجد بنور الدين فاستجاب له <sup>(١)</sup> وهاجم نور الدين البلاد التى أخذها السلاجقة من قبل من إمارة الرها وهى عنتاب دلوك سمساط ولم يسع قلع أرسلان إلا أن يتحالف مع نورس صاحب قليقية وريجنالد أمير أنطاكية غير أنه لم يلبث أن قبل الأمر الواقع وحدث وفاق بينه وبين نور الدين . <sup>(٢)</sup>

ولما رأى الإمبراطور ازدياد قوة نور الدين سعى إلى التحالف معه ، وكما أن الإمبراطور قد خرج سنة ١١٥٩ م على رأس حملة لتأديب الأرمن وحاكم أنطاكية ريجنالد الذى طلب العفو من الإمبراطور وانضم إليه هو وحاكم بيت المقدس بلدوين للقيام بمهاجمة المعقل الإسلامية <sup>(٣)</sup> . ولكن مانويل أرسل لنور الدين يدعوه للتحالف وكان دافعه لهذا التحالف ضد سلاجقة آسيا ، إلى جانب احتفاظه بميزان القوى في الشرق حتى يضمن خضوع الصليبيين طالما شعروا بقوة نور الدين <sup>(٤)</sup> .

وكان دافع نور الدين وقوعه بين عدوين الصليبيين والبيزنطيين فسعى للتفرقة بينهما . وعقد معاهدة لتبادل الأسرى سنة ١١٥٩ م فسلم نور الدين من لديه من أسرى الصليبيين واستولى في المقابل على دعبان ، وكيسوم

Gamb. Hist. of Islam vol. I p242 (١)

Cibb; The career of Nureldin p 216 (٢)

(٣) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٥٧ ، أبو شامة الروشدين ص ١٢٣

Grousset; op. cit. Vol. 2. p. 407 (٤)

وبهنا وعرش في يناير سنة ١١٦٠ م<sup>(١)</sup>. وهذا الاتفاق مكن مانويل كومنين من العودة إلى القسطنطينية ، ليقوم مباشرة بحملة لقتال سلاجقة الروم سنة ١١٦٠ - ١١٦١ م واستطاع ازالة الهزيمة بقلج ارسلان الثاني، مما يوحى بأن الاتفاقية السابقة بين نورالدين وبين الإمبراطور البيزنطي تضمنت نصاً سرياً يقضى بتحالف الطرفين ضد السلاجقة في آسيا الصغرى، وإن كانت راجع العربية لم تشر مطلقاً إلى مثل هذا النص ، ولم يلبث قلع ارسلان أن زار بنفسه القسطنطينية سنة ١١٦٢ م حيث قدم ولاءه للإمبراطور البيزنطي وأعلن نبعيته له وعقد اتفاقية كانت تنص على حماية الحدود البيزنطية ووعد بأن يرسل كتائب من عنده لقتال أعداء الإمبراطور في أوروبا<sup>(٢)</sup>؛ وإعادة بعض المدن البيزنطية التي استولى عليها مؤخراً ، ونتيجة لهذه الهدنة أعيد فتح طريق آسيا الصغرى للحجاج<sup>(٣)</sup> وبذلك قبل أن ينقضى قرن على موقعة مانزكرت اعتبر رجال اللاط البيزنطي أن قوته أصبحت محمية تابعة لبيزنطة<sup>(٤)</sup>. ورغم ذلك فإن ماتعززت له دولة السلاجقة على يد البيزنطيين، عوضاً عنه مائياً لها من فرصة للتدخل في منازعات الدانشمند ، فاعترف الدانشمند ذنون بسلطانهم إلى جانب أن وفاة ياغي بازان سنة ١١٦٤ م كانت في صالح قلع ارسلان فتوسع على حسابهم ، كذلك تدخل فيما يجرى على الحدود السورية الغربية لمملكته، ولقد أفاد قلع ارسلان مثلما أفاد مسعود من الانتصارات التي حققها نورالدين على الفرنج بأن طالب بشريط من الأراضي الواقعة على سهل سوريا الشمالية

---

Chalandon: *log. Comnènes* p480 (١)

Grousset *op. cit.* p. 420 (٢)

Setton, *op. cit.* Vol. 2. 540 (٣)

Setton, *op. cit.* Vol. 2, 546 — 7 (٤)

Runicman : *op. cit.* Vol. 2, 555 (٥)

المجاور لجبال الأناضول بالإضافة إلى المواضع الشمالية التي كانت من أملاك  
كرتية الرها<sup>(١)</sup> .

ومن الواضح أن نور الدين لن يسمح لهذه الدول أن تنافسه فيما له من  
تهوذ و سلطان في البلاد التي يعتبرها ملكا له ومن هنا فترت العلاقة بينهما  
في نفس الوقت الذي حرص نور الدين على إذكاء روح الجهاد عند أمراء  
آسيا الصغرى وخاصة لأنه تحقق لبيزنطة والصليبيين أن ما يهددهم هو نور الدين،  
وكان ما نوبل قد عقد اتفاقية مع الصليبيين للقيام بحملة ضد مصر لاحتلالها  
وطرد صلاح الدين الأيوبي نائب نور الدين فيها<sup>(٢)</sup> . فأرسل نور الدين  
لقليج أرسلان يحثه على الانضمام إليه و قتال بيزنطية ، كما أمره بإمداده بما  
يحتاج إليه من قوات لقتال الفرنج نظرا لأن السلطان السلجوقي يملك طرقا  
كبيرا من بلاد الإسلام وأنباء أن ترك الروم وجهادهم فكتب إليه وإما أن  
تتجدي بعسكر لأقاتل معي وإما أن تجاهد من يحاورك من الفرنج<sup>(٣)</sup>، ولكن  
قلج أرسلان كان حريصاً على علاقته ببيزنطة إلى جانب تخوفه من نور الدين  
وبذلك بدا في نظر العالم الإسلامي كحليف لبيزنطة . وبدلاً من التعاون  
مع نور الدين وجه جيوشه إلى الدانشمند وتدخل في خلافاتهم ابتداء من  
سنة ١١٦٤ م وانتزع قلج أرسلان أنقرة من أخيه ، واستولى على  
أملاك ذو النون في قبادوفيا<sup>(٤)</sup> ، وكان من الطبيعي أن يستنجد ذو النون  
بنور الدين باعتباره القوة الفعالة في العالم الإسلامي التي يستطيع اللجوء

Baldwin ; op. cit vol. ٤, p.355 (١)

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر من ١١٦٠ - ١١٦١

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر من ١١٦٠ - ١١٦١

(٤) Camb : Hist, of Islam vol-I p.245 (١)

إليها<sup>(١)</sup>، ورغم أن نور الدين بعد استيلائه على مصر لم يعد يحفل بالحدود  
الشمالية، فإنه حاز امتيازات إقليمية ضخمة في هذه الجهة بمقتضى تقليد من  
الخليفة، وبفضل ما حصل عليه من إمداد من قبل أتباعه وحلفائه في الجزيرة،  
وتعرضت أملاك سلاجقة الروم للغزو ثلاث مرات من ١١٧١ - ١١٧٣ م<sup>(٢)</sup>  
من قبل جيوشه بل قام نور الدين بنفسه بغزو تلك الجهات، واضطر قلج  
أرسلان للاعتراف بحكم ذوالنون في أمانيا إلى جانب قيام نائب يمثل نور الدين  
هناك<sup>(٣)</sup>. وكذلك استولى نور الدين على مرعش، واضطر قلج أرسلان  
لدفع هذا إلى التماس الوفاق مع جيرانه المسلمين، وعقد معاهدة سنة ١١٧٣ م  
ولكن ابتسم الحظ لقلج أرسلان في سنة ١١٧٤ م بموت نور الدين فأضحى  
من اليسير إعادة وحدة الأناضول باستثناء أرمينية لصالح السلاجقة دون  
خوف من المقاومة، فأضحت يد قلج أرسلان مبسوطة فإن الخوف  
من نور الدين منعه من التدخل في شؤون الدانشمند، ومن مهاجمة  
أراضي بزنطة.

---

(٢٤) ابن واصل: مفرج الكروب ج ١ ص ٢٢٢

(٣) Camb. Med. Hist, vol. 4p377

## الفصل الخامس

عصر الفضة في التاريخ السلجوقي

معركة ميركيفاليون :

اتجه قلع أرسلان الثاني للتوسع في أراضي بينظلة وشيخه علي ذلك  
أقرو منها انصرافه الامبراطور البيزنطي مانويل الى الاهتمام بالأمور  
السياسية في أوروبا ، منها النزاع مع الامبراطور فرديريك بربروسه ،  
فعمد فرديريك الى إثارة التعصب بممنهج قلع أو للاق على البيزنطية على  
بينظلة والتدخل في أراضي آسيا الصغرى سنة ١١٧٥ م ، فقام مانويل  
بتدعيم خط الاستحكامات التي في ارضها بنهر ايليارد وهوروس ، وأرسل  
إلى البابا يستعين به ويدعو حملة صليبية لتأمين آسيا الصغرى (١) .

وكان مانويل يعتمد على المركز الطيب الذي استطاع إقامته لبينظلية  
في الشرق مع اللاتين . ولقد استغل قلع أرسلان فرصة انشغال  
الامبراطور بأمور الغرب لتدعيم مركزه في آسيا الصغرى فأدى هذا إلى  
تسجل الصراع ، فقرر الامبراطور الخروج لملاقاته فاعد حملتين سنة ١١٧٦ م  
إحداهما قادها بنفسه ، والأخرى عهد بقيادتها إلى أحد أقربائه وهو  
Andronikos Vatatzes ، وكان الهدف من جيش أندرونيكوس هو إعادة  
ذو القرن السابق إلى عهد قاضيه ، ولما سمع قلع أو لاحق للآخر بذلك  
لما كان في طريقه إلى هناك ، أرسل إلى قلع أو لطلب المساعدة ، فوافقه  
أندرونيكوس على ذلك ، فالتقى الجيشان في معركة كبرى قرب قلع أو ،

السلطان ، أما الامبراطور فعاد بجيوشه عبر ممرات فريجيا الجبلية ونصححه بعض القادة الخبراء في الأمور العسكرية بالألا يتخذ طريق الممرات ، ولكن حماس القادة الشبان حله على اتباع رأيهم بعد أن اقنعوه بالهجوم<sup>(١)</sup> ، وحشد قلعج أرسلان الثاني جيشا لا يقل عن جيش مانويل من حيث العدد فضلا عن مهارة الجنود وحماسهم وفي ١٧ سبتمبر سنة ١١٧٦ م سار الجيش البيزنطي خلال الممر فأحاط بهم الترك من جميع الجهات عند Myriocopholen وسدوا جميع المنافذ وأبادوا مقدمة الجيش وقتلوا أمير أنطاكية بلدوين ، وحاصرت الهزيمة ببقية الجيش وألقى السلاجقة برأس القائد Vatates أمام الجنود البيزنطيين وفر الإمبراطور بعد أن غائته شجاعته وحاول من تبقى من الجيش أن يتبعه ولكن لم يحظ بذلك إلا عدد قليل نظرا لأن الترك سدوا جميع المنافذ ولم يسمحوا لهم بالفرار<sup>(٢)</sup> ، وحدثت مذبحة هائلة للبيزنطيين ، ثم أنفذ قلعج أرسلان رسولا يمرض الصلح على الامبراطور الذي كان يجمع فلول جيشه في السهل في مقابل أن يعيد إليه قلعتي ضريليوم وسبليوم Doryloem , Sublaem بعد نزاع سلاحيهما<sup>(٣)</sup> ، فبادر الامبراطور بقبول العرض ، وأرسل بصحبة الامبراطور ثلاثة من الأمراء الترك وحامية لحمايته من التركان أثناء تراجعه للقسطنطينية .<sup>(٤)</sup>

ولم يدرك قلعج أرسلان الثاني أهمية انتصاره كما حدث مع الب أرسلان من قبل ، ولعل ذلك إلا أنه ركز كل اهتمامه في الجهة الشرقية . إذا كان

Camb. Med. Hist. vol. Iv. p. 378 (1)

Chalardon op. cit, vol. 2, p. 612

Diehl : Hist. of the Byzantine Empire, 114 (2)

Camb Hist. of Islam : vol, 12p. 233 (3)

Runicman op. cit, vol. 2 p 378 (4)

ما يريد هو تأمين حدوده فقط فقد استولى على ملطية سنة ١١٧٧ م  
Uluboln ، كوثيا ، واسكى شهر ١١٧٢ م وحاصر [Denizli] انطاليا .  
واصبحت الاناضول فعلا ارض الترك . وفي أواخر القرن الثانى عشر  
اصبحت تطلق عليها المصادر الغربية ارض الاتراك <sup>(١)</sup> . أما مانويل فإن  
ما حاق به من هزيمة تضارع من الأهمية ما حل بالبيزنطيين فى معركة  
مانزكرت بل أن مانويل نفسه قد قارنها بمانزكرت . <sup>(٢)</sup> . ولقد أدت إلى  
ضياع هيئة بيزنطة أمام العالم الغربى ، حتى أن الامبراطور قسطنطين  
فردريك بربروسا يطلب منه فيها الدخول فى طاعته ، وأدى هذا أيضا إلى  
انهيار سياسة مانويل فى مختلف القطاعات . وأصبح من غير المجدى أن يؤكد  
انتصاراته على الولايات اللاتينية فى الشرق <sup>(٣)</sup> ، أو يحقق انتصارا على  
المجر ، أو يحصل على أراضى فى إيطاليا . أو يتخذ سياسة هجومية فى أوروبا  
أو الشرق الأدنى ، وجاءت هزيمة ميروكفاليون ليثبت فشل سياسته  
ودبلوماسيته . وفشلت كل مشروعاته الشرقية ، بل وانهار وضع بيزنطة  
فى العالم . فطردت بيزنطة من إيطاليا ، وأصبحت تواجه القوى الغربية  
ضعيفة منهكة . حتى مشروع التعاون مع روما انتهى وصور المؤرخ  
البيزنطى Nicetas Ghoniates الموقف بقوله : أن اللاتين يطمعون فى  
ممتلكاتنا ويرغبون فى تدمير سلاطنتنا ، بينما وبينهم فجوة واسعة مع  
المكراهية ووجهات نظرنا تختلف اختلافا تاما وطريقنا يسير فى  
اتجاه معاكس . <sup>(٤)</sup>

وترجع أهمية هزيمة ميروكفاليون إلى النتائج التى ترتبت عليها سواء

---

Cnmb. H : ist' of Islam p. 244 (1)

Ostrogorsky : op. cit. 347 (5)

Runciman , op. cit. vol, 2, p. 414 (3)

Ostrogorsky . op. cit. p 346 (4)

Runciman, op. cit: vol. 2. p. 418

من الجانب الإسلامي أو البيزنطي وارتباطهما بما حدث من تغير الأوضاع بعد وفاة نور الدين ، فقد قضى على الجيش البيزنطي الذي أعده كل من النكسيوس وحنا وتعذر عليه المضي إلى سوريا فهزيمة سنة ١١٧٦ م كانت باللغة الأهمية بالنسبة لللاتين في الشرق ، فقد أدركوا أهمية بيزنطة بالنسبة لهم وشعروا بأن وجود بيزنطة مهم لمواجهة القوى الإسلامية النامية في حين أن الزنكيين في الشام الذي تنازعوا الوصاية على الصلح مع إسماعيل بعد وفاة نور الدين لم يشعروا بأهمية تلك المعركة بالنسبة لمستقبل اللاتين في الشرق .<sup>(١)</sup>

وتعتبر تلك المعركة بداية الانهيار التام لدعوى بيزنطة في السيطرة على الأناضول وإيذاًنا بعودة سياسة دولة سلاجقة الروم ، واتجه السلاجقة إلى أقاليم القررات وخاصة بعد وفاة مانويل كومنين ١١٨٢ م ، وماتلى وفاته من اضطرابات أضعفت بيزنطة فلم يعد بوسعها مواجهة ضغط العناصر التركية النازلة على حدودها ، وما لدينا من وثائق قليلة فإنها تكفي لأن تدل على أن ميروكفاليون ليست فحسب مظاهرة واضحة لقوة السلاجقة الحربية ، بل أن الدولة السلجوقية شرعت في إعداد نظم إدارية ، وفي تنمية مظاهر الحضارة الإسلامية وفي إثارة النشاط الاقتصادي<sup>(٢)</sup> وإيجاد قانون منظم فكان هذا نواة الوحدة السياسية التي اكتملت في القرن التالي على أن هذه الحقبة في التوسع كانت فترة لازمة ، وهذا الازدواج استمر طوال تاريخ سلاجقة الروم .

---

(١) حاول الامبراطور في سبتمبر عام ١١٧٦ م التحالف مع بلدوين ملك بيت المقدس لمهاجمة صلاح الدين في مصر ولإزالة آثار هزيمة ميروكفاليون وأرسل أسطولاً لمسكا ولم يلق البيزنطيون استجابة وكانت هذه آخر محاولة من جانب مانويل .

Hearsey, op. cit. p. 184 (2)



وكان اهتمام السلاجقة بفرض سيطرتهم على الغزاة والتركمان وخاصة الدانشمندان أكثر من اهتمامهم بعلاقتهم مع بينظرة واهتمامهم في هذه الفترة موجه للشرق .

وبدأت منذ سنة ١١٨٥ م ولسنوات عديدة حركة تركانية واسعة بدأت من أعالى الجزيرة ، وانتشرت إلى أرمينية ثم إلى حدود جورجيا ، ومنها إلى قبادوقيا السلجوقية ثم امتدت إلى قليقية وشمال الشام ، وكان زعيم تلك الحركة شخص يدعى رستم لا توجد عنه تفاصيل واضحة بالإضافة إلى أن التركمان في شرق الأناضول تأثروا ببن عمومتهم في إيران حضاريا وثقافيا . (١) .

وكان قلعج أرسلان قد تقدمت به العمر وأراد أرضاء ابنائه وخشى من تضارب الأطماع وقيام صراع عند وفاته أو استغلال البعض لتلك الظروف فبدأ بتوزيع مملكته بينهم فقسم المملكة إحدى عشر قطاعا وزعها على أبنائه التسعة وشقيقه وابن أخيه وذلك في عام ١١٨٦ م ، غير أن الحقد لم يلبث أن دب بين الأخوة ، وترتب على ذلك أن جرى الاستعانة بالتركمان بقيادة رستم ، فاستعان بهم قطب ملك شاة أمير سيوانس أكبر أبناء قلعج أرسلان ، فقد أراد أن يلبى أمر السلاجقة بعد أبيه والاستئثار بالامر دون أخوته ، فارغم أباه على أن يجعله قسما في الحكم .

وفي أثناء ذلك وصلت طلائع الحملة الصليبية الثالثة التي كان من قادتها فردريك بربروسيا حليف قلعج أرسلان (٢) ، وكان أبناء قلعج أرسلان الباقين مشغولون في التوسع على حساب بينظرة ، فلك توقات سليمان وإنجه إلى البحر الأسود وفتح سمسون ، وحاكم أنقره مسعود فتح Bola وكنخسرو

Camb Hist, of Islam vol. Ip. 244 (1)

Setton op. cit, vol, I, p.48 (2)

اتجه إلى واد المنيدر كل هذه العواصم جعلت بيزنطة تبحث عن حليف ولم تجد غير الالتجاء إلى صلاح الدين . (١) .

### السلاجقة والحلة الصليبية الثالثة :

كان الوضع في الحلة الصليبية الثالثة يختلف عما عهدنا مع الحملات الصليبية السابقة فإن العلاقات بين الأطراف في المنطقة تغيرت تغيرا جذريا ، فبعد وفاة نور الدين استقل صلاح الدين بمصر ، وتزعم حركة الجهاد ومضى بها خطوات بعدة وأخذ تفويضاً من الخليفة العباسي بحكم البلاد من الفرات إلى النيل وتفرغ ابتداء من سنة ١١٨٦ م لقتال الصليبيين واستولى على أهم المعاقل الصليبية . وفي معركة حطين في رمضان ٥٨٣ هـ - يوليو ١١٨٧ م هزم الجيش الصليبي وقبض على ملك بيت المقدس وقادته (٢) ، وكان من الطبيعي أن يثير سقوط بيت المقدس على يد المسلمين العالم الغربي بأجمعه والبابوية خاصة ، فطالبت البابوية ملوك الغرب بالإسراع لنجدة المسيحيين في الشرق واستجاب لهذه الدعوة ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا وفردريك بربروسا إمبراطور ألمانيا (٣) .

وكان الموقف البيزنطي قد تغير تجاه الحملات الصليبية فإذا كانت الحملات السابقة قد وجدت أباطرة بيزنطيين على استعداد للتعاون مع الصليبيين رغم شعورهم بعدم الرضا على الحملات الصليبية أولاً لأنها اعتادت نهب الأراضي البيزنطية وتخريب المدن ، وثانياً لأن قادتها لم ينفذوا شروط يمين

(١) Camb, Hist, of Islam, vol, p,299

(٢) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٢ هـ ، أبو شامة : الروضتين ج٢ ص ٧٤ ، ٧٥  
ابن واصل : مفرج السكروب ج٢ ص ١٩٤

(٣) Runciman : Op. cit, vol, 2p.9

الولاء الذى اعتاد الأباطرة البيزنطيون أخذه عليهم باستعادة كل المدن التى كانت خاضعة من قبل لبيزنطة فالوضع بعد وفاة مانويل تحول إلى عدااء سافر صريح بين الجانب البيزنطى حكومة وشعباً وبين اللاتين الغربيين حتى انتهى الأمر بتحالف بيزنطة مع صلاح الدين ضد الحملات الصليبية (١) .

وفى المقابل قام الغرب بمثلا فى الامبراطور فردريك الثانى بالتحالف مع سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى ، وبعد أن كان غرض الحملة الصليبية الأولى تطهير طريق آسيا الصغرى من سلاجقة الروم وإعادة بيزنطة ، إذ بسلاجقة الروم يتحالفون مع فردريك ويمهدون له الطريق إلى بلاد الشام لحرب صلاح الدين الذى كان على عدااء معه واشتبك معه فى قتال سنة ١١٨٠م (٢) .

ونجد أن ما مر ببيزنطة من تطورات بعد وفاة مانويل أدى إلى التقارب بينها وبين الأيوبيين وأدى إلى اتخاذ موقف سلبى مما حدث لللاتين على يد صلاح الدين . فبعد وفاة مانويل خلفه سنة ١١٧٢م على العرش ابنه الكسيوس الثانى وقامت بالوصاية عليه أمه اللاتينية التى كانت بكرها الشعب والارستقراطية (٣) ، وإلى جانب أن مركز بيزنطة كان منهكاً سواء فى الداخل أو الخارج وجرت عدة محاولات لاغتيال الامبراطور . فبدأ التغيير واضحا فى مخطط السياسة البيزنطية حين أرسل الامبراطور الكسيوس كومنين الثانى سنة ١١٨١م مبعوثاً إلى القاهرة لعقد صلح مع صلاح الدين ولكن قامت ثورة تزعمها أندرونيكوس كومنين ونجح فى الاستيلاء على العرش

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١٥١ . ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢٠٩

Ostrogorsky : op. cit p.851 (٢).

Ostrogorsky' op cit. 352 (٣)

والسيطرة على الملك الطفل وتبع ذلك قيامه بمذبحة للاتين . وما ارتكبه من جرائم دفعه إلى أن يلتمس حقيقا في الشرق وخاصة أن التقت أهدافهما وهي استئصال الدول اللاتينية في الشرق إلى جانب تعرض أندرونيكوس إلى الهجوم من القوى الغربية ولذلك أرسل أندرونيكوس في سنة ١١٨٥ م سفارة لصالح الدين يستعيد ما بينهما من صداقة<sup>(١)</sup> ويعرض قيام تحالف . وكان من شروطها أنه إذا جرى فتح فلسطين يجرى اقتسامها على أن يتنازل البيزنطيون بيت المقدس والمدن الساحلية ما عدا عسقلان ، وإذا جرى الاستيلاء على آسيا الصغرى فلا بد من إضافتها حتى أنطاكية وأرمينيا إلى الامبراطورية الشرقية . ولا شك أن أندرونيكوس مقابل هذه المساعدة وعد بأن يساعد المسلمين في نضالهم ضد اللاتين في سوريا<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن هذا المعاهدة حازت القبول لدى الجانب الإسلامي ولكن أندرونيكوس طرد من العرش في ١٢ سبتمبر ١١٨٥ م قبل أن يصله رد صلاح الدين ، ولقد رحب الامبراطور الجديد إسحاق أنجيليوس بمخالفة صلاح الدين لتعرض عاصمته لهجوم النورمان ، فأقر المعاهدة بعد أن راجعها وعدلها صلاح الدين فيما بعد، وبعد فتح بيت المقدس أرسل صلاح الدين سفارة إلى إسحاق تعلنه بما حققه وأرسل إسحاق سفارة جددت المخالفة مع صلاح الدين وأخبرته بما حدث في الغرب من الدعوة للحروب الصليبية<sup>(٣)</sup>

(١) لم يكن التقارب على المستوى السياسي فقط ، بل على المستوى الشخصي إذ أن أندرونيكوس سبق أن نفي إلى بغداد ودمشق وتوثقت صلته بصلاح الدين ونور الدين ، وكذلك جاء إلى بلاط صلاح الدين كل من الكسيوس أنجلوس وأخاه إسحاق .

(٢) Diehl, Op. cit, p.134

Ostrogorsky op, cit, p.135.

(٣) أبو شامة الروضتين ج ٢ ص ١٥١

Crousset, op, cit, vol, 3p.125

Crousset op, cit, vol, 3,p.135

فحاول صلاح الدين توثيق علاقته بإسحاق كيما يضمن مساعده وأراد أن يثير المتاعب لمن يمر بأراضيه من رجال الحملة وانفذ سفارة من عنده لعرض معاهدة من نصوصها سجن من في القسطنطينية من اللاتين الذين وعدوا بالاشتراك في الحملة الثالثة ، بل أنه وافق أيضا على مقاومة كل جيش يحاول اجتياز مملكته . وفي ١١ مايو ١١٨٩ م أرسل فردريك أسقف مونستير وبصحبه عدد من القادة الألمان ليخبروا إسحاق بقرب وصول بربروسة إلى القسطنطينية والسماح له باجتياز الأراضي البيزنطية عبر البسفور إلى القسطنطينية .<sup>(١)</sup> قبض على السفارة والراجح أنه تم بناء على إلحاح من صلاح الدين ، وأرسل مبعوثين من قبله إلى صلاح الدين للتصديق على المعاهدة في سبتمبر ١١٨٩ م وهو على مرج عيون بالشام وجرت مناقشة بأسوف تلجأ إليه بيزنطة مستقبلا في إخضاع سلطنة الروم في قونية المتحالفة مع روسيا<sup>(٢)</sup> ولعل بيزنطة كانت تزعم الاستيلاء على أرمينيا الصغرى وإنطاكية ، وإذا خشي صلاح الدين بربروسة لم يتردد في أن يبذل لإسحاق من الأراضي ما ليس بجوزته مقابل تدمير الجيش الألماني .<sup>(٣)</sup>

ولقد سعى إسحاق لعرقلة الحملة بكل الوسائل ، وفي المقابل لم يتردد فردريك في مهاجمة أراضي بيزنطة في نيش وصوفيا ، وفليوبوليس واضطر إسحاق لإطلاق سراح السفارة في ٢٠ أكتوبر ١١٨٩ م ، وتقدم فردريك في أراضي بيزنطة واستولى على إدرة بل أنه أعد خطة لحصار القسطنطينية ، ولم يأس إسحاق من الحصول على مساعدة المسلمين حتى فبراير ١١٩٠ م

(١) Ostrogorsky. op cit, p. 360

(٢) Ostrogorsky. op. cit P. 360

(٣) ابن واصل : مرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٧

أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١٥٩

حين حلت به الهزيمة . ووافق على معاهدة إدرة التي تقضى بالسماح  
للإمبراطور الألماني بشراء المؤن من الأسواق والعبور إلى آسيا الصغرى  
وأن يقدم من الرهائن ما يكفل السلوك الطيب من قبل البيزنطيين<sup>(١)</sup>، ولقد  
أرسل إسحاق رسالة لصلاح الدين يستنجد به في محاولة أخيرة ١١٩٠ م  
ويذكره باتفاقهم السابق ، وتنفيذه للاتفاق بآثاره المتاعب في وجه  
فردريك . (٢)

وغادر فردريك بربروسة أراضي بيزنطة واجتاز آسيا الصغرى حيث  
حليفه قلعج أرسلان الثاني الذي أبدى استعدادا لمساعدة الإمبراطور وفق  
تعهداتهم السابقة عن طريق مده بالادلاء وبالمؤن ، وحماية حملته أثناء  
سيرها . ولكن لم يرضى التركمان بهذا وحرصوا على مهاجمة الجيش المسيحي  
فاضطدم الجيش مع فرع من التركمان هم تركمان أوج<sup>(٣)</sup> . ثم مع جيش  
قطب الدين وملكشاة أولاد قلعج أرسلان بالقرب من أسكى شهر وانضم  
إليهم رستم بعساكره التركمان . ولكن لحقت بهم الهزيمة ، وكان فردريك  
يريد الوصول إلى سوريا عبر قليقية وأمام هذا التهديد اضطر إلى أن يتجه  
لقونية وأبدى قلعج أرسلان استعدادا للتفاوض<sup>(٤)</sup> . ولكن أولاده رفضوا  
التعاون مع الصليبيين فاشتبك معهم قطب الدين فحلت به الهزيمة هو والتركمان  
واضطر للتراجع واستولى فردريك على المناطق المحيطة بقونية وعلى  
أسواقها وأخريها ، وأرسل قلعج أرسلان يعرض الصلح على الإمبراطور  
بمفتاح أبواب المدينة ، فوافق<sup>(٥)</sup> وعقد اتفاقية نصت على التعاون بين

(١) Punicman op. cit, vol. 2 186

Ostrogorsky, op. cit, p. 361

(٢) أسدرستم الروم ص ١٧٢

(٣) Setton, op. cit, p. 114

(٤) أبو شامة الروضتين ج ٢ ص ١٥٤ ابن شداد النوادر السلطانية ص ١٩٢

(٥) المقرئى : السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٤

كلا الطرفين ضد الأيوبيين واقتسام أملاكهم ، وأمنه فردريك على أراضيه وأوضح له أن هدفه هو بيت المقدس وصلاح الدين ، وأمدهم قلعج أرسلان في الفترة التي أقاموها بالمقون والمتاد ، بل أرسل معهم عدد من الأمراء كرهائن ليرشدوهم إلى الحدود بينهم وبين أرمينية .

وفي نفس الوقت الذي أرسل إسحاق لصلاح الدين رسالة تحدث فيها عن جهوده تجاه الصليبيين استقبلها أخوه العادل ووفقا للقاضي الفاضل رفض صلاح الدين آخر الأمر كل طلبات البيزنطيين وفي مايو ١١٩٢ م أرسل إسحاق سفارة أخرى ردد فيها طلباته إلى جانب طلب إعادة قطعة من الصليب المقدس فرفض الطلبات وأرسل الصليب (١) وانتهت العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية وصلاح الدين عند هذا الحد ، وبذلك فشل تحالف البيزنطيين والمسلمين ضد اللاتين كما فشل تحالف السلاجقة مع الألمان . (٢) وقد ضمن إسحق رأيه في نتيجة هذا التحالف في رسالته لصلاح الدين ، أن النتيجة الوحيدة التي نجمت عن صداقتي لك ، إنما جرت على كراهية الفرنج وجميع أجناسهم (٣) . وكان للتحالف البيزنطي الإسلامي أثر كبير في مجرى الأحداث بالنسبة لبيزنطة فلم تغير المحالفة مع ما كان لها من أثر من وضع الإمبراطورية المنهار . أما النتائج السيئة للتحالف مع المسلمين على سمعة بيزنطة فقد تعددت ، واستغلها اللاتين للشهبر ببيزنطة في سائر أنحاء أوروبا ، فقد بعث فردريك ببروسية أثناء اجتيازه تراقيا إلى ابنه هنري يطلب إليه أن يبحث البابا على أن يدعو لحرب صليبية ضد البيزنطيين ، وما حدث من حرص ريتشارد قلب الأسد

---

Runciman : op. cit vol . 3. p 29 (1)

Grousset : op. cit. vol. 3. p. 625 (2)

(٣) أبو شامة : الروضين ج ٢ ص ١٧٨





وفي البداية نشب صراع على العرش بين قطب الدين وغياث الدين كيخسرو وانتصر فيه كيخسرو ، ولكن أخام الثالث استطاع طرد كيخسرو من قونية سنة ١١٩٦ م ، ودفعه هذا إلى أن يلتبس الملاذ في الأراضي البيزنطية<sup>(١)</sup> ، وأعاد سليمان الثاني الوحدة إلى البلاد السلجوقية على حساب أخوته ، ولقد استغل البيزنطيون فترة النزاع الداخلي في دولة السلاجقة لمهاجمة التجار الأتراك على البحر الأسود ولكن سليمان استطاع إلحاق الهزيمة بالقوات للمبيزنطية وفرض الجزية على الكسيوس الثالث .

وفي سنة ١٢٠١ م قام ملك أرمينيا ليو الثاني باجتياح الحدود التركية فتصدى له السلطان الذي قام بدوره بغزو أراضي أرمينيا ، واستولى على إمارة أرزورم التي كانت في حوزة أسرة Saltukids ومنها هدد المسيحيون في طرابزون وجورجيا فقد قام أهل جورجيا بتهديد الطرق إلى فارس وتقدموا إلى أرزورم وفي سنة ١٢٠١ م أعانه مسجوشك والأرانتقة ، ولم يجد من الحكمة إضافة أرزورم مباشرة إلى أملاكه فجعل حكمها لأخيه مغيث الدين طغرل شاه في مقابل حصوله على إقطاع مغيث الدين وظلت أسرة منجوشك في أرزنجان ، غير أنه تضاعف شأنها منذئذ حتى أصبحت من توابع ركن الدين سليمان ، ولقد اتجه السلطان بعد ذلك إلى جورجيا ولكنه فوجئ بجيوش القبيجاq وأهل جورجيا قرب Surikamish وتراجع السلطان بعد أن حلت به الهزيمة وفقد عدد كبير من جنوده كآسرى وأعد حملة ثانية لمهاجمة جورجيا بعد استيلائه على أنقرة من مسعود ولكنه توفي سنة ٦٠٠ هـ - ١٢٠٤ م قبل إتمام مشروعه .<sup>(٢)</sup>

(١) Setton : op. cit. vol. 2. p.114

(٢) Camb. Hist. of. Islam vol. I. p. 248

أبو الفدا المختصر ج ٣ ص ٨٤

وتولى بعده أخوه كيخسرو الثاني ، وكان قد تولى عرش قونية فترة قبل سليمان ولكن استطاع سليمان عزله والاستيلاء على العرش فلجأ إلى بيزنطة ولما عاد من منفاه أصبح بفضل مساعدة قبيلة أوج التركمانية ومساعدة الدانشمند الوارث الوحيد لكل المملكة التي ظلت متماسكة في قبضة يده ويد ابنه من بعده ، ومع أن الصراع عيـدل على ضعف نظام الملكية السلجوقية فإن توسع السلاجقة والتركمان لم يتوقف بل ازداد واستغل ضعف أحوال بيزنطة فيها بعد سنة ١٢٠٤ م للتوسع على حسابها في آسيا الصغرى ، ولقد خطط عملياته الحربية على أساس الاحتياجات الاقتصادية والتجارية ولقد استقرت الإدارة السلجوقية في عهده نتيجة لتوسع التركمان في المعازل اليونانية فأصبحت Sozenolis التي كانت إقطاعاً لكيخسرو نواة لإقليم جرى تنظيمه (١) .

وفي تلك الأثناء وصل التركمان إلى الساحل الممتد شرقاً من الشاطئء المواجه لجزيرة رودس ، حتى أطراف إيطاليا وحينما نشبت الاضطرابات في الدولة البيزنطية في عهد إسحق أنجايوس أعلن أمراء الحدود Akrtia التمرد ، بل إنهم انتقلوا إلى المعسكر المعادى فأعلنوا الولاء للترك كيحصلوا على إمدادات عسكرية ومادية ، وقد حصل كيخسرو على لازيقا بهذه الوسيلة (٢) . وقد حصل مكانها بلدة Denazle أصبحت منطقة تهدد كل

---

== وذكر المقرئى أن ابن سليمان تلج أرسلان حكم فترة بعد والده إلى أن عاد غياث الدين واستولى على العرش ، ومات ركن الدين سنة ستائة وقام بعده في قونية تلج أرسلان ابن ركن الدين ، وعند ذلك عاد كيخسرو إلى بلاده « المقرئى » السلوك ج ١ ص ١٧٣

(١) Camb. Hist. of. Islam vol. I, p. 248

Setton, op. cit, vol. 2, p. 147

(٢) المقرئى السلوك ج ١ ص ١٨١

سار عز الدين إلى بلاد الأرمن وحاصر جابان وهزم عندها جيوش الأرمن ، ورجع ==

المانيد في الشمال ولم تعد ضورييلوم يونانية ، ولم يعد البيزنطيون يبسطون سلطانهم إلا على ساحل البحر الأسود دون أن يسيطروا على شيء من الأراضي الداخلة ، بل أن الترك استطاعوا في منتصف هذا الساحل أن يصلوا إلى البحر ، والواضح أنهم احتلوا سمسون لفترة وجيزة وقطعوا طريق الاتصال بين طرابزون والقسطنطينية .

### العلاقات البيزنطية السلجوقية بعد سقوط القسطنطينية:

كان هذا الحدث الهام في تاريخ عالم العصور الوسطى له دوافعه ومبرراته ولم يكن مفاجئة للعالم الغربي ، فقد ساءت علاقة بيزنطة بالغرب منذ الحملة الصليبية الأولى وحكم الكسيوس كومنين وازدادت في عهد خلفائه وتحولت إلى عدااء سافر في عهد أسرة إنجليوس ، إذ أضعف بيزنطة ما نشب بداخلها من حروب داخلية ثم حملاتها الفاشلة على البلقان<sup>(١)</sup> ، وبازدياد تدهور وضع الصليبيين في سوريا وفلسطين ، والفشل النسبي الذي حققه بالحملة الصليبية الثالثة اشتد الاهتمام بالامبراطورية البيزنطية ، فما جرى من مناصمات سياسية ، وما وقع من منازعات تجارية ، وما حدث من الاتفاقيات بين الكنيستين الشرقية والغربية<sup>(٢)</sup> كل ذلك خلق وضعاً جعل اشتراك الغرب في القيام بهجوم على الامبراطورية البيزنطية أمراً وشيك الوقوع ، على أن

== إلى قيصريّة قبل أن يستولى على قلعة جابان ، ثم طلب لأرمي الصلح وأجابه رسل عز الدين .

(١) لم تكن الحرب الصليبية الثالثة بالنسبة لفرديريك إلا ستاراً لأطماعه وخطب لابتغوريق مملكة صقلية ثم يبدأ لاتحاد ألمانيا وصقلية تحت حكم أسرة واحدة . وأعد هنري السادس ابن فرديريك حملة صليبية جديدة لفتح القسطنطينية والاستيلاء على الامبراطورية البيزنطية قبل المضي إلى سوريا وفلسطين ولم يسع الامبراطور البيزنطي الكسيوس الثالث أنجاليوس ١١٩٥ - ١٢٠٣ إلا المبادرة بالتسليم بمطالب هنري واتمس إليه ، ملكاً قبرص وزيقية الصغرى .

(٢) Nic. Chonlates : History p 631 & Bonn 1835

القوات الصليبية لم يرجعها للاستفادة من منافع بيزنطة سوى البندقية ويطامعها . فإكان من تمزق الإمبراطورية وضعفها هيا الفرصة لتفوق البندقية البحري في القرن الثالث عشر الميلادي ، فلم تكن الحملة الرابعة مفاجئة للدوائر الدبلوماسية في الغرب ، وكانت أحوال بيزنطة الداخلية شديدة الملامة لهذا الهجوم ، ففي عهد إسحاق أنجيليوس انهارت الإدارة البيزنطية ، وفقدت القسطنطينية توازنها الاقتصادي ، ودب الفساد في جهازها الحكومي . وشبت الثورة في بعض أراضى الإمبراطورية ولا سيما بلغاريا . واستغل الكسيوس أنجيليوس شقيق الإمبراطور الفرصة فاستولى على العرش بعد أن عزل إسحق واعتقل ابنه الذي استطاع الفرار إلى زوج شقيقته فيليب في ألمانيا (١) .

أما الأسباب المباشرة للحملة الصليبية الرابعة فقد تعددت ولكنها ترجع أساسا إلى مطامع البندقية . وتغلب المصالح الاقتصادية على ما عداها من الدوافع الدينية فقد كانت الحملة موجهة إلى بيت المقدس ومصر حيث يحكم الأيوبيون وكانت للبندقية علاقات تجارية مع العادل الأيوبي من مصلحتها المحافظة عليها (٢) . فضلا عما تعرضت له مصالح البندقية التجارية في القسطنطينية من مناهضة ، أثار مخاوف البندوية ، وأدركت أنه لا سبيل للمحافظة على امتيازاتها إلا بالقضاء على حكومة القسطنطينية فحرصت على تحويل اتجاه الحملة عن مصر إلى بيزنطة (٣) .

وكانت البندقيه قد تعهدت بنقل الحملة ومداها بالمؤن في مقابل ١٨٥ ألف

---

Villehardouin : La Conquête de Constantinople p 52. (١)

Rusienan. op. cit. vol. 3. p 111

Setton op. cit. vol. 2. p. 158

Vasiliev. op. cit p. 463 (٢)

Grousset : op cit, vol. 3, p 171 (٣)

مارك ، ونصف مايجرى فتحه من البلاد ، ولكن عجز الصليبيون عن دفع القسط الأول فحولت البندقية الحملة إلى مدينة زارا البزنطية ، رغم إصدار البابا قرار حرمان على كل من يعتدى على أرض مسيحية ، واستدعى الكسيوس كومنين ابن إسحاق ليضفي على الهجوم صفة الشرعية واغتنم رجال الحملة فرصة قلة الأوقات وحلبوا أن تكون وجهة الحملة القسطنطينية ولقى هذا الطلب استجابة من مونتفرات قائد الحملة ، ولم تلبث أن سقطت القسطنطينية في أيديهم ، فلم يكن الجيش الامبراطوري قد استعاد قوته بعد هزيمة ميروكيفالون وكانت غالبية من المرتزقة ، وولى الكسيوس الرابع وأباه اسحق ، وما لبث أن قتل الكسيوس على يد البرنان الذين اعتبروه خائناً<sup>(١)</sup> ، وعاد الصليبيون لمحاورة القسطنطينية ولقب استنجد البيزنطيون بأعدائهم القدامى السلاجقة ، ولكن السلاجقة لم يمدوا للبيزنطيين يد العون بل وجدوها فرصة سانحة لإزلالهم<sup>(٢)</sup> . فإن تدمير بيزنطة يعنى ترك أيديهم مطلوقة في آسيا الصغرى بلا منافس بل قد يستطيعون استغلال هذا الوضع لمصالحهم بالتوسع في بقايا الممتلكات البيزنطية .

ولا شك أن للحملة الصليبية الرابعة نتائج بالغة الأهمية سواء بالنسبة للعام الإسلامى أو بيزنطة . فالدولة البيزنطية كانت تعتبر معقل الحضارة المسيحية في الشرق لبضع قرون ، ودل سقوطها في أيدي اللاتين على زوال الروح الصليبية وتغلب المصالح الاقتصادية والشخصية والسياسية عند الصليبيين<sup>(٣)</sup> . فضلا عن حرمان الصليبيين بالشام من قوة كانت تساندهم ،

(١) Runciman : op. cit. vol. 3 p 125

(٢) س. الأثير . السكمان : ج ١٢ حوادث ص ٦٠ ، ٨٠

(٣) Runciman, op. cit. vol. 3 p 139-140

Grousset , op. cit. vol 3 p 175

على أن اللاتين في الشرق قد أبدوا سرورهم حينما أصبحت القسطنطينية بأيدي الغرب ، وبذا لاتخضع الحملات الصليبية لتحكم الأباطرة البيزنطيين<sup>(١)</sup> ، ولقد كانت هذه بداية النهاية بالنسبة لبيزنطة لم تعد الامبراطورية بعد بمشأ إلى ما كانت عليه . فلما حدث سنة ١٢٠٤ م من تفكك بيزنطة وانقسامها إلى إمارات عديدة ، كان في الواقع بداية لتدعيم وتدهورها ثم زوالها آخر الأمر على يد العثمانيين ، ولقد أدرك البيزنطيون بعد فوات الوقت أن ما تعرضوا له من الضرر من قبل اللاتين المسيحيين يفوق ما تعرضوا له على يد السلاجقة .

ولقد ترتب على سقوط القسطنطينية وقيام ملكة اللاتين ١٢٠٤ - ١٢٦١ م تقسيم الامبراطورية فلم تعد بيزنطة إمبراطورية بمعناها ، وحدودها السابقة . بل أصبحت مجموعة من الدويلات اتخذت أسماء مختلفة وتعددت وتضاربت القوى المسيطرة عليها بين لاتينية ويونانية .

فشملت إمبراطورية اللاتين بالقسطنطينية التي تولى حكمها بلديون كونستانتين الذي أصبح إمبراطوراً ، وإمارة أخيا في شبه جزيرة المورة ، ودوقية أثينا وطيبة في وسط بلاد اليونان .

وامتد سلطان البنادقة إلى الجزائر البيزنطية في بحاريجة وأيونيان وجزيرة كريت وبعض المواضع الساحلية الداخلية ، إلى جانب ثلاثة أقاليم القسطنطينية وسيطرت على الطرق التجارية ولا سيما تلك التي تربطها بمصر .

أما البقايا اليونانية البيزنطية فقد اتجهت إلى آسيا الصغرى فتولى نيودور لاسكارس في نيقية ، والكسيوس كومنينوس في طرابزون ، ومينخائيل

الأول أنجليوس دوكاس كومنينوس أبيروس وبذلك تجاوزت السلاجقة مع اليونان<sup>(١)</sup>، إذ كانت نيقية هي العاصمة السلجوقية قبل الحملة الصليبية الأولى وأصبحت الآن نواة لإحياء الامبراطورية البيزنطية وكان من الطبيعي أن تتداخل العلاقات بين هذه الدويلات في القرن الثالث عشر.

ولكن تلاحظ أمراً هاماً هو أن العلاقة في هذه الفترة كانت ذات طابع مميز فلم تعد بيزنطة دولة ذات سلطة إدارية موحدة بل دويلات مختلفة لكل منها حاكم مستقل فعلاقة السلاجقة بكل إمارة منها مختلفة عن الأخرى وتراوحت تلك العلاقات بين التحالف والعداء السافر طبقاً للظروف والاحتياجات.

ولابد للتعرض لكل منها على حدة لتكتمل الصورة

#### السلاجقة والإمبراطورية نيقية :

مؤسس هذه الدولة هو ثيودور لاسكارس الذي يمت بصلة القرابة لكل من أنجليوس وكومنين ولقد رشع لتولى العرش البيزنطي بعد مصرع الكسيوس الثالث ولكنه رفض وهرب إلى آسيا الصغرى حيث لحق به عدد من نبلاء بيزنطة العسكريين والمدنيين، وبعض رجال الكنيسة وحكم ثيودور في ١٢٠٤ م - ١٢٢٢<sup>(٢)</sup>، وإن كان وضع الدولة الجديدة بالغ الخطورة، فمن الغرب تعرضت للضغط من قبل الامبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية التي حاول حكامها الهجوم على نيقية مرتين، وفي ١٢٠٧ م

(1) Setton : op cit . vol. 2. p. 161

Runciman : op. cit . vol . 3. p 123 - 125

Grousset : op cit . vol 3. 175

Setton op cit vol 2 p 205 (2)

اضطروا لعقد معاهدة لمدة عامين لانشغالهم بمشاكل Kalotian البلغارى<sup>(١)</sup> ولكن اللاتين لم يذكروا الخطر الوحيد الذى يهدف ثيودور بل كان هناك خطراً أشد فى الشرق وهم السلاجقة<sup>(٢)</sup> وفى البداية تحالف غياث الدين كيخسرو مع ثيودور لاسكارس ضد كومننين فى طرابزون فقد هردوا الطرق إلى البحر الأسود والمتوسط ، وأغلقتوا مخرج مينائى ، سنوب وسمسون ، كما طهر الأتراك مخرج البحر الأسود عن طريق هزيمة دافيد كومننين سنة ١٢٠٦ م . ولكن وجود لاسكارس حال دون توسع الأتراك نحو بحر ليجة ، وعن طريق وساطة البندقية وقع السلطان غياث الدين كيخسرو الأول<sup>(٣)</sup> معاهدة سرية مع إمبراطورية اللاتين سنة ١٢٠٩ رداً على التحالف الذى عقده الامبراطور ثيودور لاسكارس مع ايزر الثانى حاكم ارمينيا الصغرى الذى كان حطراً للسلاجقة يهدده هو الآخر . ولقد وجد السلاجقة دافعا أساسيا للصراع مع إمبراطورية الناشئة ، حين لجأ إلى قونية الكسيوس الخامس<sup>(٤)</sup> امبراطور بيزنطة السابق بعد مكوثه فترة طويلة فى أوروبا ، فطلب غياث الدين ثيودور بالتنازل عن العرش لالكسيوس بصفته الوارث الشرعى ،<sup>(٥)</sup> وكان من الطبيعى أن يرفض ثيودور ، ودارت معركة عنيفة حول إنطاكية على نهر المينادر ، وكانت قوة الامبراطور البيزنطى متواضعة ومكرثة من ثمانمائة من الفرنجة المأجورة ، ولكن استطاعت تلك القوات إلحاق الهزيمة بالسلاجقة

(1) Ostrogorsky : op. cit. p 311

(2) Canb. hist. of Islam. vol. 1. p. 245

(3) Ostrogorsky. op. cit. p. 380

Vasiliev : op. cit. vol. 2p 507

(4) كان الكسيوس أنجلوس قد مات وتولى خلفاه الكسيوس الخامس أثناء أخيه سليية ١٢٠٤ ولكن عزله اللاتين .

(5) Setton : op. cit. vol. 2 p. 208

Vasiliev : op. cit. vol 2 p 507



سنة ١٢١١ م وسقط السلطان قتيلا (١) وقبض على الامبراطور الكسيوس الذي قضى بقية حياته في دير في نيقية ، ومع أن المعركة لم يترتب عليها تغيرات إقليمية هامة في جانب ثيودور لاسكارس فإنها أحييت الأمل في نفوس اليونان في آسيا وأوربا واعتبرا نيقية نواة وحدثهم المقبلة لاستعادة القسطنطينية وهذا النصر أثار مخاوف هنري فعاد إلى مهاجمة الامبراطورية من جديد في آسيا الصغرى واستطاع الانتصار في معركة في نهر Rbendo:us سنة ١٢١١ ، ولكن كلا الطرفين كان منهكا فعقدوا معاهدة ١٢١٤ م في نيفيوم ، وضعت خريطة حدود بينهما فأخذ اللاتين الشمال الغربي من آسيا الصغرى إلى أدومانيوم في الجنوب ، أما المنطقة الباقية وتمتد إلى حدود السلاجقة تركت لامبراطورية نيقية التي دعمت نفسها ، في حين أن الامبراطورية اللاتينية منذ ١٢١٦ م قد سارت إلى الضعف (٢) .

أما بالنسبة للسلاجقة فإن الهزيمة دفعتهم إلى توطيد سلطانهم على السواحل في الشمال والجنوب وتجديد سياسة الفتح والتوسع على حساب البلاد الإسلامية الواقعة إلى الجنوب الشرقي .

فقد أضاف ابن كيخسرو عز الدين كيكافوس الأول ( ١٢٦١ - ١١٢٣ ) الذي سار على سياسة أبيه التوسعية سينوت على البحر الأسود وهي معقل يصلح أن يرتكن إليه السلاجقة حربياً وتجارياً ، ولقد دعى التجار الأتراك إلى الإقامة في المنطقة والنهوض بتجاريتهم وحرد من إبطالها

---

(١) يذكر المقرئ أن تلك المعركة مع الأرمن خلفاء برصعة عند بلدة خونا وفيها قتل غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان سلطان سلجوق صاحب قونية ، وقد حدث ذلك في أوائل السنة ودرى واقع الأرمن خلفاء الروم عند بلدة خونا من أعمال أنريجان : المقرئ السلوك ج ١ ص ١٧٣ .

(2) Vanllev : op. cit. vol 2 p. 513

حاكم قبرص الذي انتهز فرصة خلافه مع أخيه كيقباز على العرش واقتحم المدينة (١).

أما أخوه علاء الدين كيقباز الأول (١٢٢٠ - ١٢٣٧ م) الذي كان عصره أزهى عصور أمرته فقد مدد ممتلكاته على الشاطئ الجنوبي للأناضول حتى الساحل المواجه لجزيرة قبرص إلى دروب قليقية وأقام مقره الرئيسي في موضع أسماء العلایا (الغلاية) ، واستولى على مدن ساحل شبه جزيرة انقرم التي انحازت إلى طرابزون بعد سقوط القسطنطينية في أيدي اللاتين سنة ١٢٠٤ (٢) ولقد اهتم علاء الدين بأمر البحرية ، وأعد أسطولاً قوياً هاجم كريتيا في ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م في نفس الوقت الذي أرسل فيه جيشاً لأرمينيا في الشرق وشمال إيطاليا وإلى هيثوم التابعة للسلاجقة . والتركمان الذين احتلوا أخيل أوجدوا أساس إمارة كرمان التي عرفت فيما بعد .

ولقد كانت سياسة السلاجقة تقوم على التحالف مع العناصر المختلفة في آسيا الصغرى ثم ضربها بعضها ببعض ليحوز السلاجقة في النهاية السكسب على حساب جميع القوى الموجودة . فانصرف كيخسرو الأول وكيكاوس الأول وكيقباز الأول إلى تأمين حدودهم ، فانحازوا إلى الفرنج بأنطاكية لمناوأة قليقية وإلى اللاتين والبنادقة بالقسطنطينية لمناهضة اليونان في نيقية وتراسلوا مع البابوية ، ورحبوا بالبعثات التبشيرية اللاتينية ، وذلك لمحاولة

---

(١) Camb Hist. of Islam P. 247

Ostrogorsky : op. cit , p. 378

(٢) ذكر كل من القريري الملوك ج ١ ص ١٣٩ وأبو الفدا المختصر ج ٣ ص ٨٤ أن عز الدين كيكاوس « طغر السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن أرسلان صاحب بلاد الروم بالاشكرى ملك الروم . ولكن الذي سقط ليس يهودور إنما هو دافيد كومنين حاكم طرابزون .

انتزاع رعاياهم اليونان بكل ما يربطهم ببيزنطة من صلات .

### إمارة طرابزون :

لم تنشأ تلك الإمارة نتيجة لسقوط القسطنطينية فقد قامت في إبريل سنة ١٢٠٤ على الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود والفضل في إرشادها يعود لالكسيوس ودافيد كومنين أحفاد أندرونيكوس<sup>(١)</sup> . فبعد عزل أندرونيكوس الأول أرسل الكسيوس ودافيد وهم أطفال صفار إلى بلاد جورجيا حيث تولت رعايتهم الإمبراطورة تامارا Tamara سنة ١١٨٤ - ١٢١٢ م وساعدتهم على الاستيلاء على طرابزون في إبريل ١٢٠٤ م ومن هناك استطاع دافيد الأخ الأصغر المغامر التقدم في اتجاه الغرب على طول الشاطئ واحتلوا سنوب واستطاع أن يضم بافلجونيا وبانونيا وهرقليا ، ولكن اصطدم مع مملكة نيقية ومع ثيودور لاسكارس في آسيا الصغرى وخاصة أن دافيد بعد سقوط القسطنطينية اعترف بتبعية لحاكم القسطنطينية اللاتيني فاشتبك مع ثيودور بدعم من حلفائه اللاتين ولكن لما ترك لمصادره الخاصة لم يستطع المضي طويلا في الصراع<sup>(٢)</sup> .

في نفس الوقت اشتبك دافيد مع السلطان غياث الدين كيخسرو في سنة ١٢٠٦ م نتيجة لتوسعه في البحر الأسود وإغلاق مداخله ، ولقد تحالف السلطان مع ثيودور لاسكارس وانتهى الأمر بهزيمة دافيد واستيلائهم على سنوب ، وسقط دافيد أسيرا في يد عز الدين كيكاوس

---

(1) Ostrogorsky : op' cit. p. 871  
Miller : Trebizond p. 28,  
Vasiliev, The Foundation of Empire of  
Trebizond, p. 28, «speculum 1933»

(2) Ostrogorsky : op' cit. p. 263

ابن غياث الدين الذي قتله وقبض على السكسيوس كومنين<sup>(١)</sup> وثبته على العرش كتابع لسلطنة السلاجقة ، وتعمد بدفع الجزية ، ولقد ترتب على استيلاء السلاجقة على سنوب نتائج بعيدة المدى فقد تضاءلت المملكة إلى شريط ضيق من الأرض واقتطعت من آسيا الصغرى ، وقد أدى هذا لمنع اتصالها المباشر بإمبراطورية نيقية ، ورغم أن هذه الإمارة لها أهمية تجارية كبيرة فإنها لم يكن لها تأثير كبير على تطور الأحداث في مستقبل بينظرة ولم تشارك تلك مشاركة فعلية في أحياء الإمبراطورية وعلى كل فقد تجدد التحالف بين طرايزون والسلاجقة في عهد ثاني أباطرتها وهو أندرونيكوس الأول ، ولكن ما لبث أن نشب خلاف بينهما نتيجة للجوء إلى إحدى سفن طرايزون المحملة بالجزية من إحدى الولايات وهي ولاية كرميان ، وعلى ظهرها أحد الأروخونات وعدد من النبلاء ، وتعرض لعاصفة شديدة ألجأتها إلى ميناء سينوب ووفقا للعاهدة التي عقدها أندرونيكوس مع علاء الدين كيخباد ، قام هيثوم حاكمها الذي يدين بالتبعية للسلاجقة بالاستيلاء على السفينة وشحنها وبجارتها ، كما أرسل السفن لنهب خيرسون وكريميا ، وحين وصلت الأنباء طرايزون ، حشد أندرونيكوس أسطولا وجهه إلى سينوب حيث استولى على جميع السفن الراسية في الميناء .

وكان من الطبيعي ألا يتقبل علاء الدين<sup>(٢)</sup> هذا الوضع فأعد أسطوله واتجه إلى طرايزون وسارع أندرونيكوس بتحسين المدينة والطرق

(١) Miller; The Trebizond p'19 - 20

Vasilev; The Foundation p. 29 .

المغريزي : السلوك ج ١ قم ١ ص ١٧٩ - أبو القدا - المختصر ج ٣ ص ٨٤

(٢) علاء الدين كيخباد بن غياث الدين كيخسرو كيخباد

زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ترجمة د . زكي محمد حسن

حسن أحمد محمد ج ٢ ص ١٦٣

المؤدية لها . وحاصر غياث المدينة من جهة البحر وحاول الإمبراطور أندرونيكوس التفاوض وعقد معاهدة سلام<sup>(١)</sup>

ودعى ، فد سلجوقي لرؤية المدينة وتحسينها ، ولكن هبت عواصف دمرت معسكر السلاجقة ووقع السلطان في الأسر ، فاستقبله أندرونيكوس بحفاوة بالغة وأجلسه بجانبه ، وبعد أن استشار أندرونيكوس مجلسه ، تقرر إرسال السلطان إلى بلاده ، وتحدد الاتفاق السابق بين طرايزون وقونية مع رفع الشروط الخاصة بالتبعية والجزية والخدمات الحربية ، ولكن فترة الاستقلال هذه كانت قصيرة المدى فقد تنازع جلال الدين خوارزم شاه السيطرة مع السلطان السلجوقي على غرب آسيا وعقد اندرونيكوس اتفاقا مع جلال الدين الذي أصبح جاراً لطرايزون ولكن عند هزيمته في خلاط سنة ١١٢٣ م كلفت هذه الغلطة أندرونيكوس جميع الامتيازات التي حصل عليها في اتفاقه مع علاء الدين ، وعادت طرايزون تابعة لسلطان قونية في سنة ١٢٤٠ م<sup>(٢)</sup> .

أما الدولة البيزنطية الثالثة في آسيا الصغرى فكانت أيرروس التي أنشأها ميخائيل أنجليوس . وفي البداية اعترفت بالتبعية لنيقية وتحالفوا ضد اللاتين واستطاعت صد قوات سالونيك ، وامتد نفوذ حاكمها من الأدريناتيكا إلى البحر الأيوني واتخذ لقب باسليكوس . ولم تكن لتلك الدولة علاقات مباشرة بالسلاجقة . وبذلك قامت على أنقاض القسطنطينية ثلاث

---

(1) Miller ; Trebizond. 19,  
Vasiliev; The Foundation' p 26  
Camb. Med. Hist. Vol 4, p, 514

(2) Miller op. cit' p. 20 - 25  
Camb. Hist. of Islam vol . I , p. 247

نذكر أن الحرب في عام ١٢٢٨ كانت نتيجة لصحابة أندرونيكوس مع جلال الدين خوارزم شاه .

إمبراطور يان اثنتان أغريقيتان وواحدة لاتينية مستضعفة واقعة في وسط يوناني يكن لها الكراهية تحيط بها المتاعب الاقتصادية والدينية والسياسية تقلص حجمها فلم يتعد العاصمة وما يحيط بها من أراض ، في حين تولى نيقية قائد ماهر هو حنا الثالث Vatatzes ١٢٢٢ - ١٢٥٤ م الذي نهض بها من ولاية صغيرة إلى دولة قوية واستغل ضعف اللاتين وأخطاء أعوانه من البلغار واليونان وقام خليفته ميخائيل باليولوجس بإحياء الإمبراطورية البيزنطية والقضاء على مملكة اللاتين (١).

ولقد استغل السلاجقة الصراع الدائر بين العناصر اليونانية واللاتينية وفترة السلام التي نعموا بها بعد سقوط القسطنطينية وتفككها لتوجيه قواتهم إلى جيرانهم المسلمين.

#### السلاجقة والقوى الإسلامية :

كانت سيادة السلاجقة بصفة عامة في الفترة من سقوط القسطنطينية إلى ظهور المغول في آسيا قائمة على أساس علاقة ودية مع الفرنج وحياد مع اليونان وعداوة لإخوانهم المسلمين ، واتجهوا في هذه الفترة للتوسع صوب الجنوب الشرقي ، وهذه السياسة سبق أن طبقوها في بداية القرن الثاني عشر ، وتخلوا عنها أثناء الخصومات الأسرية التي نشبت ، وبدلاً من أن يستغلوا الصراع بين القوى البيزنطية القائمة في آسيا الصغرى لصالحهم إذ بهم يتجهون إلى الشام والجزيرة حيث ساد الصراع بين أمرائها والاضطراب والخلاف فاشتركوا فيه وعملوا على زيادة حدته ، فاستغلوا الخلافات في الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين لصالحهم وضد أعدائهم من المسلمين في آسيا الصغرى والشام ، واتخذ كل من كيخسرو وكيكاوس سياسة التحالف مع الظاهر غازي صاحب حلب ضد ليوانثاني ملك أرمينيا الصغرى ،

(I) Ostrogorsky : op. cit. 305.

Setton: op. cit vol. 2 p. 214.

وكان غازي الأيوبي يأمل من وراء هذا التحالف أن يجد فيه الحماية من عمه العادل الأول ، وعند وفاة الظاهر سنة ١٢٢٦ م <sup>(١)</sup> أراد كيكاوس أن يساند ابناً آخر لصالح الدين وهو الأفضل الذي كان يتولى سيمساط منذ سنة ٦٢٧ هـ - ١٢٣٠ م لإقطاعا من السلاجقة <sup>(٢)</sup> ، وكان يرشحه لأن يتولى حكومة حلب ، غير أنه لم يستطع إلى ذلك سبيلاً <sup>(٣)</sup> ، بسبب ظهور الأشرف بن العادل <sup>(٤)</sup> ، واستطاع بفضل التحالف مع الأشرف أن ينتزع من مودود الأتقي صاحب آمد وحصن كيفا كل ما يملك من حصون واقعة وراء الفرات وتمتد إلى جنوب أذربيجان فأضاف إلى أملاكه أذربيجان سنة ١٢٢٨ م وبعد ثلاث سنوات من وفاة أميرها بهرام شاه وفي غمرة هذه الأحداث ظهر عامل جديد في سياسة غرب آسيا هو الخوارزمين بقيادة جلال الدين خوارزمشاه ، وفي البداية لم يظهر السلطان السلجوقي الأعداء لجلال الدين خوارزمشاه الذي لم يهدد سوى أرزروم التي يعادى صاحبها كيقباز <sup>(٥)</sup> ، وسوى أملاك الأشرف الشمالية الشرقية ، مثل خلاط على بحيرة آن غير أن الأمور لم تلبث أن تغيرت حينما ظهر أن جلال الدين يستعد لغزو الأناضول بعد أن دانت له أخلاط ، ولقي التأييد من جهان شاه صاحب أرزوم الذي صار من أتباعه . واستطاع كيقباز أن يحرص الأشرف الذي قام بنفسه بقيادة الجيش

---

(١) ابن واسل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٨١

(٢) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٢٤

(٣) القرطبي : السلوك ج ١ ص ٢٣٨

(٤) حدث خلاف بين الأفضل وكيكاوس لاستيلاء كيكاوس على تل باشر ورفضه تسليمها له وفقاً لآفاقهم

(٥) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٢٤

القرطبي : السلوك ج ١ ص ٢٣٨

وانضم إليه في حلب فضلا عن السلطان الأيوبي الكامل<sup>(١)</sup> ، وقرر أن يرسلوا إمداداً .

واجتمعت القوات في سيواس ونجحت القوات المتحالفة في إزال الهزيمة بالخوارزمية في سنة ١٢٣٠ م في غرب أذربيجان<sup>(٢)</sup> .

وفر جلال الدين بعد أن قتل رجاله وإذ تورط بهرام شاه في تحالفه مع الخوارزمية ، وحل به ما حل بهم من الهزيمة ففقد أرزروم التي أضافها كيقباز إلى بلاده فأصبحت أملاك كيقباز تتأخم أطراف أذربيجان<sup>(٣)</sup> ، وأضاف أيضا أملاك منجوشك<sup>(٤)</sup> .

وإذا كانت بلاد الكرج وجورجيا ، ساندت الخوارزمية ، فإن ما حدث من تهديد السلاجقة لهم أرغهم وحلفائهم حكام طرايزون اليونان على أن يتخذوا سياسة المسالمة نحو كيقباز .

ولما لم يكن هناك دافع حقيقي للتعاون بين الأيوبيين والسلاجقة فقد تصادمت أطماعهم على ملكية خلطاط والرها وحران التي سعى سلطان السلاجقة لضربها<sup>(٥)</sup> ، إلى جانب أن بعض الأسراء السوريين أنبأوا الكامل في سنة ١٢٣١ م أن السلاجقة في آسيا الصغرى يمرون بفترة ضعف ، وأن البلاد ليس بها من يدافع عنها ، فاتجه الكامل إلى الأناضول وبعد أن اجتاز الجبال الواقعة في شمال الشام توجه صوب الشمال الشرقي حيث دعاه صاحب

---

(١) أبو الهيثم : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٣

(٢) فيها قدم رسول السلطان علاء الدين كيقباز الساجوق صاحب الروم على الملك الكامل ، وأخبره بأنه جهن خمسة وعشرين ألفا إلى أذربيجان ، وعشرة آلاف إلى ملطية القرينى : السلوك ج ١ قسم ١ ص ٢٣٨

(٣) القرينى : السلوك ج ١ قسم ١ ص ٢٤٧

(٤) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٥٤ ، أبو الهيثم النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٣

(٥) القرينى : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٢٤٨



خرتبرت ، غير أن الخليفين الظاهر والكامل تعرضا لهزيمة ، وذلك أن القوي الأيوبية في شمال الشام خشيت من ازدياد نفوذ السلطان الكامل لو استطاع القضاء على سلاجقة الروم وضم الأناضول . فقد بلغهم أن السلطان قال لبعض خدامه : أن صار لنا ملك الروم فإننا نعوض ملوك الشام والشرق بملك الروم بدل ما بأيديهم ، ونجعل الشام والشرق مضافا إلى ملك مصر<sup>(١)</sup> فانفقوا على الملك الكامل ، وكتبوا إلى علاء الدين كيخباد سلطان السلاجقة ووعدوا بالانضمام إليه وخذلان الكامل وسيروا الكتب . ولكن تلك المراسلات وقعت في يد الكامل ، فاضطر للتراجع<sup>(٢)</sup> ، وأخذ علاء الدين قلعة خرتبرت ، وست قلاع أخرى كانت مع الملوك الارتقية وضم إليه حران ، والرها سنة ٦٣٢ هـ ١٢٣٥ م وبذلك امتدت أملاكه إلى ما وراء نهر الفرات . ولكن لم يلبث أن استردها الكامل دون تعب ثم حاصر أمد .

ولما مات علاء الدين كيخباد الأول سنة ٦٣٤ هـ - ١٢٣٧ م خلفه ابنه غياث الدين كيخسرو وبعث ملوك الشام رسلهم إلى السلطان الجديد يهرؤنه في أبيه ، ويخلفونه على ما اتفقوا من مخالفة الكامل<sup>(٣)</sup> . ولكن شغل غياث الدين بالخلاف الذي نشب بينه وبين الخوارزمية الذين فروا إلى الجزيرة . غير أن ما حدث من وفاة الأشرف ثم الكامل هيا له أن يشترك في التحالف مع أمراء الشام والجزيرة ضد الصالح أيوب بن الكامل والخوارزمية<sup>(٤)</sup> فدخل أمد التي تعتبر أمتع المعاقل في ديار بكر وحاصر ميفارقين الواقعة وراء دجلة فامتدت حدود السلاجقة إلى نفس الحدود التي كانت للدولة البيزنطية من قبل ، بل أنها في اتجاهها نحو الجزيرة قد

(١) المقرري : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٢٤٨

(٢) المقرري : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٢٤٩

(٣) المقرري : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٢٥٤

(٤) أبو شامة : الدبل على الروم ص ١٨

تجاوزت حدود بينظرة السابقة وهي تطابق منازل التركمان، ولقد خطب  
باسمه في سنة ٦٣٨ هـ على منبر دمشق (١).

ولقد بلغت دولة سلاجقة الروم في زمن كيقباز الأول اقصى اتساع.  
ورغم تزايد الخطر المغولى في مستهل حكم كيخسرو الأول فقد بلغت  
المملكة الذروة في القوة العسكرية، وفي التوسع الاقليمي يحيط بها اتباع  
أو حلفاء من كل جانب: المسلمون في حلب والجزيرة، المسيحيون في  
طرايزون وقبرص الذين اعتادوا أن يرسلوا إليها امدادا كلما طالب إليهم  
ذلك. وكانت هذه أيضا هي الفترة التي اكتملت فيها نظم الدولة ونضجت.  
الحياة الاقتصادية والحضارية وشاهدت البلاد حركة إنشائية ضخمة وإقامة  
العديد من المدن والمساجد والمدارس ولقد عرف كيقباز في التاريخ السلجوقي  
باسم كيقباز العظيم.

ولكن الحقيقة أن دولة سلاجقة الروم كانت تنحني وراء واجهتها  
القوية ما كان ينخر في داخلها من عوامل الضعف. على حين أن الخطر المغولى  
بدأ يثوج في الشرق إذ أن المغول قد بدأوا في ارتياد أوكلاك السلاجقة في  
أواخر أيام كيقباز الأول، ولكن ما حدث من مشاكل داخلية في الدولة  
المغولية هباً لكيخسرو فترة من الراحة لم تستمر طويلاً.

(١) التريزى: السلوك ج ١ قسم ٦ ص ٢٠٨

## الفصل السادس

### انهيار دولة سلاجقة الروم

الغزو المغولي :

المغول وآسيا الصغرى :

اجتاح المغول كل شرق أوروبا والشرق الأدنى<sup>(١)</sup> تخضعت روسيا لأغزاة لمدة قرنين من الزمان ، واستولوا على Silenia بوهيميا ، مورافيا ، المجر وحوض الدنوب ووصلوا إلى شاطئ الأدرياتيك ثم اخضعوا شبه جزيرة البلقان وأراضى السلاف في الجنوب وأجبروا بلغاريا على دفع الجزية ، في نفس الوقت الذي غزت فيه جيوشهم الشرق الأدنى ، وشعر سلاجقة الروم وامبراطورية نيقية ، وطرايزون أن هناك خطرا يهدد وجودهم فسعوا للتحالف ضد الخطر المشترك سنة ١٢٤٣ م ، وإن لم تستطع آسيا للصغرى التي قاست من الحروب والصراعات داخلها أن تقاوم عدواً امتد نفوذه من الباسفيك إلى قلب أوروبا .

---

( ١ ) المغول : ليس هناك معلومات واضحة عن المغول في الفترة السابقة لجنكيزخان ولكن ما نعرفه هو أنهم كانوا يعملون المنطقة الممتدة من سد الصين جنوباً إلى بحيرة إلخال شمالاً وكان مستواهم الحضارى على درجات مختلفة وقد ذكر الصينيون ثلاث أنواع من التتار ، التتار الأبيض ، التتار السود ، والتتار المتوحشون بارتولد ص ١٥٣ .

ذكر أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٤١قرة عن أصل المغول وظهور جنكيزخان

٩ - بلاد الترك

ولكن منذ القرن الثاني عشر ظهر المغول كقوة حربية هائلة حين استطاع زعيمهم جنكيز خان أن يجعل نفسه سيدا مطلقا على جميع قبائل المغول في آسيا ، فضلا عن قبائل الأتراك في مناطق السهوب الآسيوية ، ذلك أن جنكيز خان استولى على الصين فيما بين سنتي ١٢١٠ - ١٢١٦ ثم اتجه بعد ذلك غربا فاختضع تركستان الشرقية ثم أراك خوارزم سنة ١٢٢٠ م ولم ينتصف القرن الثالث عشر حتى كانت جيوش المغول مستولية على فارس ومعظم جنوب روسيا وأطراف أوروبا الشرقية .

ولقد بدأ ارتياد التتار للأراضي الإسلامية منذ أوائل القرن السابع الهجري فيذكر المقرئ في عام ٦١٦ هـ - ١٢٠٠ م ، كان ابتداء خروج التتر من بلادهم الجوانية إلى بلاد العجم<sup>(١)</sup> ، لقد استطاع التتار خلال سنوات قليلة الاستيلاء على العديد من المدن الحصينة والتوغل في قلب العالم الإسلامي دون أن تستطيع أن تتصدى لهم أى قوة فلكوا سمرقند ، همدان ، قزوین ، فرغانة ، الترمذ ، خوارزم ، مرو ، نيسابور ، طوس ، هراة غزته ، وفي ٦٢١ م ضموا قم وشاشان في العراق العجمي . وفي ٦٢٨ م هزموا جلال الدين خوارزم في ميافارقين ووصلوا لأربل<sup>(٢)</sup> ودخلوا أراضي آسيا الصغرى ٦٢٩ م واستولوا على أرمينيا وخلطوا واستنجد الخليفة المستنصر العباسي بالقوى الإسلامية في مصر والشام « سير عدة رسل يستنجد بالأشرف في مصر ويستنجد العربان وأخرج الأموال فوقع الاستخدام في جميع البلاد لحركة التتر »<sup>(٣)</sup> .

لقد رأى السلطان كيغباذ أنه لا أمل له في صد المغول فسمى لمهادتهم

(١) المقرئ : السلوك ج ١ قس ١ ص ٢٢٨

(٢) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١١١

(٣) المقرئ : السلوك ج ١ قس ١ ص ٢٢٢

ليضمن سلامة أراضيهِ ، فعقد مع الخان الأعظم أوغدي (Ogoda) معاهدة سلام ، وفي عهد ابنه غياث الدين كيخسرو الذي خلفه سنة ٦٣٤ هـ - ١٢٢٦ م بدأ الغزو الفعلي لدولة السلاجقة ولقد ساعدت الأحوال الداخلية وحالة الضعف التي كانت تعانيها الملكية السلجوقية في عهد كيخسرو على سهولة فتح البلاد فعهد به يعتبر بداية النهاية لسلاجقة الروم :

فلقد ترك السلطان تدير 'أمور الدولة لرجل يدعى سعيد الدين كوبك كان قد عاونه في تولي العرش ، ثم أحكم السيطرة عليه واستغل نفوذه في التخلص من أعدائه ، مما أوجد حالة من عدم الاستقرار إلى جانب قيام الفتن والاضطرابات ، كانت أخطرها فتنة بابا الرسول (١) .

فنتيجة للفتح المغولي (٢) هاجرت أعداد كبيرة من التركمان إلى الأناضول كما حدث في الهجرة السلجوقية الأولى . وظهر بينهم رجل يدعى النبوة يسمى بابا إسحاق يدعو إلى الزهد والتقشف ، ويقترح في السلطان غياث الدين كيخسرو وحاشيته الانغماس في الترف ، ولقد بشر التركمان ببداية عهد جديد وحمل أتباعه على أن يقولوا 'لا إله إلا الله ، البأبارسول الله (٣) وانتشرت الثورة في مرعش ، خلاط ، ابلستين ، ملطية ، ثم وصلت إلى سيواس وأماسيا ، واستطاعت جيوش السلطان هزيمة وقتله ، ولكن التركمان الذين اعتقدوا فيه تبعوا الجيش السلطاني ، واضطر السلطان إلى الهروب من قونية ولكن جيش أرزروم استطاع هزيمتهم قرب Kırsehir سنة ١٢٤٠ م في الوقت الذي بدأت فيه جيوش المغول تتوغل في آسيا الصغرى .

وفي سنة ٦٣٥ هـ - ١١٤٢ م بدأ الفتوح المغولي لدولة سلاجقة

Enc. Isl. Art. Kaikhusraw  
Camb. Hist. of Islam p 249

(١)

(٢) المفريزي : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٧

(٣) المفريزي : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٧

الروم باستيلائهم على أذربيوم وفي العام التالي سنة ١١٤٣ م حدثت الغزو الكبرى وكان كيخسرو الثاني مشغولا في حروبه في ديار بكر فسارع بالعودة وحشد كل ما استطاع جمده من قوات بلغت ثمانين ألفاً ، وكانت القوات تتألف من عناصر مختلفة بل كانت تضم فرنجا من الذين انضموا إليها أثناء صراعها مع ليكية (١) . أما الجيش المغولي فكان يفوده بيجونوين وكان تعدادة ثلاثون ألفاً مقاتل والتي المغول في kosedagh بالقرب من سيواس في محرم سنة ٤٦١ هـ - يونيو ١٢٤٣ م . ورغم أن السلاجقة قاتلوا قتالا مستميتا إلا أن الهزيمة حافت بهم وتقدم المغول من سيواس إلى قيصرية التي خربوها ، واضطر السلطان للفرار وتخلي عن معسكره بكل ما يحويه من كنوز وتحف وهرب إلى أنطاليا ومنها فر والتجأ إلى سرديس ثم القسطنطينية ، أما وزيره مهذب الدين فقد كان أشد مراسا منه ، إذ توجه إلى القائد المغولي بانجو ثم سارا معاً إلى الأمير المغولي باطوخان (٢) ، وحصل من الأمير المغولي على معاهدة صلح تقضى باستمرار بقاء دولة السلاجقة مقابل أن تؤدي الجزية وترسل الامداد كلما طلب إليها ذلك ، وقدم التتر بلاد الروم ، وأوقعوا بالسلطان غياث الدين كيخسرو ابن كيقباز بن كيخسرو بن قلمج أرسلان ، وهزموه وملكوا بلاد الروم وخلاط وآمد ، فدخل غياث الدين في طاعتهم ، على مال يحمله إليهم ، وملكوا أيضا سيواس وقيساري بالسيف وقرروا على صاحبها في كل سنة أربع مائة دينار . ففر غياث الدين منهم إلى القسطنطينية (٣) .

عاد كيخسرو إلى قونية وحرص على الانتقام من الأرمين الذين سلبوا أمه للزنا ، بعد أن لجأت إليهم أثناء الغزو المغولي . وهزيمة سنة ١٢٤٣ م

(١) رشيد الدين الحمذاني جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٩

(2) Howorth : Hist' of The Mongols vol. 3, p. 11

(٣) القرطبي : الملوك ج ٢ ص ٢١٢

قبدو كمركة خسرهما ، ولكنها من الناحية الواقعية كانت إيدانا بنهاية دولتهم . فهذه البقية من مملكة السلاجقة التي أراد لها المغول للبقاء تحت سيطرتهم كانت بالغة الضعف من الداخل تمزقت تحت ضغط الخلافات الداخلية والعسارات الأسرية والغزو الخارجي الذي لم يستطع السلاجقة تحمله <sup>(١)</sup> ، وكانت المعركة بداية لعملية طويلة الأمد من أجل سيطرة المغول في آسيا الصغرى <sup>(٢)</sup> .

الوحيد في منطقة آسيا الصغرى الذي لم يتأثر بالغزو المغولي بل استفاد من ضعف جيرانه كان يوحنا فيتاتزيس حاكم نيقية (١٢٢٢ - ١٢٥٤م) الذي أفاد استراتيجيا واقتصاديا . فإن السلاجقة نتيجة لحاجتهم للسلع التجارية لجأوا إلى حنا لشراؤها بأثمان مرتفعة من الذهب .

أما من الناحية الاستراتيجية فقد أفاد حنا من الاخطار التي أحاطت بأعدائه من اللاتين والأغريق والبلغار والسلاجقة لصالحه ، فقد مكنته ضعف السلاجقة من ترك آسيا الصغرى والاتجاه إلى البلقان ، لحارب البلغار وانتصر عليهم واستعاد الأراضي التي - بق لحاكمها أن أخذها من الأغريق ، وكذلك انتصر على امبراطورية الأغريق الغربية سنة ١٢٤٦م ومداراضيها إلى تراقيا ووصل مرسيا ومقدونيا واستولى على سالونيك سنة ١٢٤٦م وولى على الجزء الأوربي أندرونيكوس Palaeologus وحكم ابنه ميخائيل الامبراطور المقبل من سيراس وملنيك ايروس تابعا له ، وحاول الاتحاد مع الامبراطورية الألمانية والبايوية <sup>(٣)</sup> .

وعند نهاية حكم فيتاتزيس تضاعفت أراضي نيقية وأصبحت آمنة سواء

Vasiliev, op. cit p. 530

(1)

Ostrogorsky, op. cit. p. 393

Setton op. cit Vol. 2, p. 225

(2)

Ostrogorsky, op. cit 393

Vasiliev, op. cit Vol. 2, p. 476

في آسيا الصغرى أو البلقان فأعداؤها السابقون بعضهم اختفى من الوجود. كما تلك اللاتين في الغرب أولم يعد يمثل "خطرا كبقايا مملكة ابيروس أو بلغاريا ، أما مملكة اللاتين في القسطنطينية فقد تقلصت ممتلكاتها إلى الأراضى المحيطة بالقسطنطينية وتحيط بها أملاك فيتازيس من جميع الجهات ولقد عاد حنا للاهتمام بأمر حدود آسيا الصغرى وكان دافعه لهذا أن القبائل التركية التى اتجهت إلى آسيا الصغرى نتيجة للضغط المغولى اندفعت بمجموعها إلى المقاطعات البيزنطية بحثاً عن مأوى ، فأعاد نظام الأكراتين ولكن جعلهم تحت إشراف وسيطرة الحكومة المباشرة ، ولقد اعتبر المؤرخ George Pachymeres أن إعادة هذا النظام أعظم ما قام به حنا من منجزات <sup>(١)</sup> ، ولقد استخدم بعض عناصر الكومان الذين انضموا لبيزنطة تحت ضغط التتار فوطنهم في تراقيا ومقدونيا وادى المنبادر في فريجيا .

#### مملكة سلاجقة الروم كآمارة تابعة للمغول :

نتيجة لهزيمة هزيمة سنة ١٢٤٣ م سيطر المغول على دولة سلاجقة الروم سيطرة تامة وتدخلوا في إدارة الدولة ، والخلافات الأسرية ، وكان الخان في الأردو هو صاحب الكلمة الأخيرة في مملكة سلاجقة الروم وكان يمثل في المملكة شحنة أو قائد تترى يقيم بصفة دائمة في قونية .

وبعد وفاة غياث الدين كيخسرو سنة ٦٤٣ هـ - ١٢٤٦ م أصدر الخاقان كيوك يارليغ بأن يتولى أبناء السلطان الثلاثة وهم عز الدين وركن الدين وعلاء الدين المملكة مشتركين وظهرت أسماء الثلاثة على النقود ، ولكن ما لبث أن نشب خلاف بين عز الدين وركن الدين على العرش في الوقت الذى أرسل الخان يطلب إليه المشول بين يديه فصار إلى سيواس ولكن بلغه أن هناك مؤامرة تحاك من عدد من الأمراء لعزله



وتولية أخيه ركن الدين ، فسارع بالعودة إلى قونية وقبض على أخيه ركن الدين وأرسله إلى أماسيا . وقرر أن يرسل أخاه الأصغر علاء الدين كيقباز عن طريق البحر الأسود وبلاد القفجاق مصطحبا معه سيف الدين حاكم أماسيا وواحد من كبار قادته ، واعتذر للخان <sup>(١)</sup> في رسالته بأن مدبر مملكته جلال الدين قرطاي قد مات <sup>(٢)</sup> ، وأن اليزنطيون قد يهاجمون البلاد أثناء غيابه فذكر في رسالته للخان د إني قد سيرت أخي علاء الدين وهو سلطان مثلي وأنا لم يمكنني المجيء بسبب أن أتأبكي ومدبري جلال الدين قرطاي قد مات وظهر لي أعداء من ناحية الغرب فإذا كفينا شرم جنت المرة الأخرى <sup>(٣)</sup> ، ولكن الحارب المؤيد لركن الدين زور رسالة من عز الدين إلى قرطاي ورفاقه فأمرهم بأن يسلبوا علاء الدين وما معه من هدايا إلى قاضي القضاة شمس الدين والأمير سيف الدين جاليش الذي يحمل الخطاب والذي سيصحب الأمير إلى بلاد التتار ، وأنخدوم إلى القائد باتو وأخبروه بأن طر نطاي أصيب بالجنون ، ولا يستطيع المثل بين يديه وأنه ساحر يريد أن يسم الخان منجور ، فأمر باتو بتفتيش أمتعتهم فوجدوا بها بعض الأعشاب مما زاد شك باتو فأمر أن يذهب الجميع إلى الخاقان علاء الدين ومن معه وطر نطاي ، ولكن مات علاء الدين في الطريق وأجرى الخاقان استجوابا لمعرفة من كان له يد في وفاة علاء الدين الذي يشك في وفاته مسموما <sup>(٤)</sup> ، وفي تلك الأثناء استطاع ركن الدين الفرار من سجنه وقرر الخان تقسيم المملكة بينهما مناصفة ، فيصير من نهر سيواس إلى حد بلاد الأشكري لعلاء الدين كيكائوس ، ومن سيواس إلى تخوم أرزن الروم

(١) بعض المراجع تذكر أنه كيوك خان Howarth, op. cit vol. 2, p. 380 في حين

يذكر بيبرس الدوادار زيادة السكره ج ٩ ص ١ أنه منكوشان

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٦١

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٦١

(٤) Howarth Hist. of the Mongols Vol. 3, P. 48

Djehasen : Histoire des Mongols vol. 3, p. 73

من الجهة الشرقية المتصلة ببلاد التتار لركن الدين قلع أرسلان أخيه (١)، ولكن بعد الاتفاقية حاول ركن الدين مهاجمة قونية فهزم وأخذ أسيراً إلى قلعة Davatu وفي العام التالي ١٢٥٥ م تضايق منكوخان من عدم إرسال عز الدين الجزية وأرسل إليه يدالمب تسليم بعض القلاع التي استحسنها في موغان (٢)، ولكن السلطان رفض فأرسل إليه الخاقان جيشاً يقوده بنجو، وخجافونين وهزم السلاجقة ودخل المغول قونية وهرب عز الدين إلى العلياي (٣)، ومنها ذهب إلى ثيودور لاسكارس الثاني الذي خلف حنا فيثا زيس (١٢٥٤ - ١٢٥٨ م) ولكن ثيودور خاف انتقام المغول ونصحه بالعودة إلى وطنه، وفي نفس الوقت أرسل ثيودور سفارة للمغول، واستقبل سفرائهم في بلاطه لكي يضمن سلامته من سادة آسيا الصغرى؛

ولقد عاد عز الدين إلى بلاده وأرسل يدي خضوعه لحولاكو (٤) ويشكو بانجونيون وأنه قد أزعجته عن ملكه فأمر هولاكو أن يتقاسم المملكة هو وأخوه ركن الدين، ولقد انحاز إلى كل منهما جماعة من الأسراء فتمكن مما انحاز إلى السلطان عز الدين طرنتاي الأتابك وشمس الدين يوتاش والطغرائي وما انحاز إلى ركن الدين سيف الدين طرنتاي صاحب أماسية ومعين الدين سليمان البرواناه (٥).

---

(١) الأشكري المصمود به هنا ثيودور لاسكارس الثاني ولقد أطلق المسلمون على كل أباطرة بيزنطة منذ سقوط القسطنطينية لقب الأشكري وأول من أطلق عليه ثيودور لاسكارس الأول حاكم نيقية.

(٢) بيريوس الدودار: زبدة الفكرة ج ٩ ص ٦

(٣) Howarth op Git. vol 3p. 184

(٤) بيريوس الدردادار: زبدة الفكرة ج ٩ ص ٦ العلياي بلد صغيرة في أنطاليا

(٥) معين الدين سليمان الداواناه : البرواناه بمعنى الحاجب وهو يطلق على الوزير الأكبر ولقب بالصاحب ، وكان أباه قد ذهب لتجربة حظه في بلاد الروم فنباه وزير مالية السلطان ==

في هذا الوقت كانت قوات المغول تتقدم لفتح الأراضي الإسلامية. فقد أوفد منكوقخان هولاكو إلى الشرق ، فسقطت في يده قلاع الباطنية ١٢٥٦ م ثم انجحه إلى الخلافة العباسية حيث استولى على بغداد ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م وقتل الخليفة المستعصم بالله ثم تقدم المغول إلى بلاد الشام ولم تستطع بقايا الأيوبيين مقاومتهم فخضعت لهم الأراضي الإسلامية من أمد وديار بكر إلى غزة ، ولقد صاحبت القوات السلجوقية المغول في فتحهم المدن الإسلامية في بلاد الشام ، فحين عزم هولاكو على المسير إلى حلب استدعى عز الدين وركن الدين لمصاحبه ، لما عزم هولاكو على المسير إلى حلب وعبر الفرات استدعاهما فسار إليهما وحضرهما معه أخذهما<sup>(١)</sup> وكانت القوة الوحيدة التي تصدت للمغول هي قوة حكام مصر من المماليك ، وعند عين جالوت في رمضان ٦٥٨ هـ - سبتمبر ١٢٦٠ م لقي المغول هزيمة ساحقة على يد السلطان سيف الدين قطز المملوكي ، وتلك الهزيمة جعلت المد المغولي يقف عند حدود وأنقذت العالم الإسلامي من خطرهم . ولكن رغم التعاون الظاهري بين عز الدين والمغول فإن عز الدين كان لا يأمن جانبهم فسعى للتحالف مع بيبرس البندقدار سلطان مصر الذي خلف قطز ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م وقد أعانه على ذلك نائبه شمس الدين يوتاش ، فراسل بيبرس ووعد بتسليم نصف مملكته وأعطاه اختيار توزيع تلك الإقطاعات على من يريد ، وأمر بيبرس جنوده أن يسيروا إلى دمشق وحلب

---

== السلجوق علاء الدين كيقباد وزوجه ابنته وأصبح وزير وأمر ترك الوزارة لابنه سليمان الذي عرف بالبر والاء وأعطى له سينوب كالمطام من ركن الدين

Enc of Islam Art, Meinal Din sulman .

Quetremere : Hist. des. sultan Mamloukp. 57-64

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٧

المقريزي : السلوك ج ١ ص ٤٣٠

أبو الفدا : المختصر حوادث سنة ٦٥٨

ليساعدوا عن الدين ، قدم الأمير شرف الدين الجاكي ، والشريف عماد الدين الهاشمي من عند صاحب الروم وهو السلطان عز الدين كيكافوس ابن كيخسرو ، ومعهما رسل المذكور وهما الأمير ناصر الدين نصر الله ابن كوخ ورسلا أمير حاجب والصدر صدر الدين الأخطاى . وكتابه المتضمن أنه ترك نصف بلاده للسلطان ، وسير دروجا فيها علام بما يقطع من البلاد لمن يختار السلطان ويؤمره ،<sup>(١)</sup> واستغل البرواناه الفرصة وأبلغ التتار بأمر المراسلات ، فأمر هولاءكو بخلع عز الدين ، وقرر عز الدين الذهاب إلى هولاءكو ، ولكن بلغته أبناء أن ركن الدين ووزير البرواناه والقائد المغولي بيان نوين سائرين إليه ويريدان القبض عليه وأخذاه إلى بلاد المغول ، والتقى الجيشان عند موضع يسمى بلدورزاع ، وتأويله جبل النجم ، فهزم ركن الدين من التتار ، وعاد إلى أرزنكان فاقاموا بها وأرسلوا إلى هولاءكو يستمدون منه مددا فأرسل إليهم قوات لمساعدتهم . وفي نفس الوقت أرسل إلى عز الدين يستدعيه فأبى ، ولكن استطاع ركن الدين بمساعدة قوات التتار الاستيلاء على قونية . وهرب عز الدين إلى القسطنطينية إلى بلاد ميخائيل باليولوجوس الذي تولى عرش القسطنطينية في ١٥ أغسطس سنة ١٢٦١ م بعد قضائه على ملكة اللاتين وهزيمة لبلديون الثاني ملكهم<sup>(٢)</sup> ، ولجأ عز الدين إلى هناك بصحبة أخواله كرخيا وكرديد

(١) الممالك : اعتمد سلاطين بن أيوب على الممالك وهم من الرقيق الأبيض من بلاد ما وراء النهر والقفجاق وتضمن نفوذهم في عهد الصالح أيوب ، ولجؤهم يعود الفضل في الانتصار على حملة لويس التاسع ، وفي ٢ مايو عام ١٢٥٠ م تخلص الممالك من تورانشاه وبوفاته انتهى حكم الأيوبيين في مصر وتولت الحكم شجرة الدر عام ١٢٥٧ م وتعتبرها بعض المراجع أول سلاطين الممالك وتزوجت عز الدين أيوب وتولى عرش سلطنة الممالك ثم تخلصت منه بالقتل ثم قتلت في الأخرى وتولى المنصور على ابن أيوب الذي عزله قطز

سيد عاشور : والحركة الصليبية ٢ من ١٠٧٨

المفرزي : السلوك ج ١ من ٤٧٠ — العيني عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج ١ من ٤٧٣

(٢) بعد وفاة يهودا لاسكارس خلفه ابنه حنا الرابع ولكن استطاع ميخائيل باليولوجوس

وعدد من الأمراء ، وكانت أم عز الدين مسيحية ابنة كاهن أغريق<sup>(١)</sup> ، ولذلك استقبل في القسطنطينية بترحاب ، هرب السلطان عز الدين منهزماً إلى الأشكري بالقسطنطينية وصحبته أخواله كرخيا وكرديد وهما على دين النصرانية وثلاثة نفر من أسرائه وأخلى البلاد فملكها ركن الدين واستولى عليها سوى اثني عشر والسواحل التي بأيدي التركان<sup>(٢)</sup> ، وبذلك أصبح ركن الدين الحاكم المنفرد لدولة سلاجقة الروم ، وإن كانت القبائل التركمانية قد رفضت الاعتراف بسلطانه ، واعترفوا بسلطان المغول بصفتهم حكام مستقلين فأرسل عدداً من أمرائهم وهم محمد بك ، وأخرته الياس بك وصهره على بك قريه سونج يطلبون فرماناً بتقليد وشحنه يقيم عندهم وكتب لهم فرمان بالبلاد التي بأيديهم وهي طنغزلو وخوناس وطلباني وما حولها<sup>(٣)</sup> .

== أن يصل إلى الحكم ويصبح امبراطوراً شارك في ١٢٥٨ م . ومن المظلة الأولى سعى لاستعادة الامبراطورية فبدأ بالقضاء على الفتن في الداخل متمثلة في ثورة أخيه حنا حيث انضم اليه جيش من السكومان والسلاجقة واستطاع ميخائيل هزيمة في ١٢٥٩ م والاضطراب الخارجية المتمثلة في اماره ابيروس أو فردريك ابن ماهردي حاكم صقلية . وكانت الخطوة التالية الاتجاه إلى القسطنطينية فبعد محاصرة مع جنوده في مقابل حصولها على مزايا تجارية تسكيت في البندقية حليفة اللاتين ، واستطاع بسهولة دخول العاصمة في ٢٥ يوليو سنة ١٢٦١ م بلا معارضة وهرب بلديون الثاني وفي ١٣ أغسطس توج ميخائيل امبراطوراً وبذلك عادت بيزنطة دولة موحدة ، ولكن مرة حكم اللاتين تركت في جسد الامبراطورية جراحاً لا تلتئم ، جعلت بيزنطة الجديدة لا تتمتع بميزات ومقومات الدولة القديمة ، فهي محاطة بالأعداء من كل جهة ، والمدن الايطالية تتحكم في المياه البزنطية ومستعمراتها في قلب الامبراطورية وفي معظم الجزر في شرق البحر المتوسط ، وهناك اغريق تحت حكم اللاتين ، وشمال البلقان سيطر عليه مملكتان البلغار والصرب وتوسعتا على حساب بيزنطة ، ولكن في هذا الوقت لم تكن أمامهم قدرة لانقاذ خطوة ايجابية ضد بيزنطة ، ولكن كانتا على استعداد الانضمام لأي عدو لبيزنطة من دول الغرب ، كل هذا دفع ميخائيل باليولوجس إلى ترك أسر مدوده الشرقية في آسيا الصغرى والاتجاه الغرب .

Ostrogorsky op. cit. p. 401

Enc. of Japan Art. knikaus

(١)

(٢) يبرس الدوادار زبدة الفكرة ج ١ ص ٦٤

(٣) الفلاندري : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٦٦ — ٢٦٩

ولقد اشتهر من طوائف التركان تلك ست طوائف أولاد قرمان ، بنوحيد ،  
بنو أيدين ، بنو منتشا ، بنو اورخان .

وكان راجد عن الدين في القسطنطينية كل ترحاب فأكرمه ميخائيل وأقبل  
عليه وعلى من معه من الأسراء . ولكن أسراء عز الدين حاولوا تدبير مؤامرة  
وقتل ميخائيل والاستيلاء على العرش البيزنطي ، وطلبوا منه كتمان الأمر  
عن إخوته كرخياوكر كديد ، فاستدعى عز الدين غاليه وأخبرهما بما عزم  
قواده عليه . طالب منهم لإبلاغ الإمبراطور بذلك ومنعه من الخروج إلى  
الميدان ذلك اليوم ، فتوجهوا إلى ميخائيل وأخبراه فقبض عليهم وعلى عز الدين  
الذي أرسله هو وأولاده إلى قلعة Anora من القلاع الغربية (١) ،  
أما المتأمرين فقد سمل أعينهم . وجمع الإمبراطور غلمانه وحاشيته وجند  
عز الدين وعرض عليهم الاختيار بين اعتناق المسيحية أو سمل أعينهم  
« أمر أن يجتمع كل من يلوذ بهم من الجند والغلمان والعامة والحاشية  
لجمعوا في الكنيسة الكبرى جميعاً وخصر البطاريكة وعرضوا عليهم دخول  
دين النصرانية . فمنهم من تنصر فسلم ومن أبى إلا البقاء على إسلامه  
فكحل (٢) » .

ولقد ظل عز الدين معتقلاً إلى سنة ثمان وستين وستائة حين أرسل  
منكوتمر خان القيماق جيشاً استولى عليها وأطلق سراح عز الدين (٣)  
وأحضره إلى القرم حيث تزوج إحدى بنات بركة خان وبقي هناك لوفاته  
سنة ٦٧٨ هـ — ١٢٧٧ م (٤) . تنكر الخان منكوتمر بن طغان ، ملك التتر

Enc. of Islam Art. kaikâus

(١)

Enc. of Islam Art. Kaikaus

(٢)

(٣) بيريوس الموادار : ردة الفكرة ج ٩ ص ٩٩

(٤) القريري : الدولك ج ١ قسم ٢ ص ٨٨

يلاد الشام على الأشكرى ملك القسطنطينية فبعث الخان جيشاً من التتر حتى أغاروا على بلاده ، وحملوا عز الدين كيقباز بن كيخسرو <sup>(١)</sup> .

أما دولة سلاجقة الروم فقد سيطر عليها ركن الدين منفرداً بعد فرار عز الدين ، ولكن الحاكم الحقيقي كان البرواناه الذى أحكم سيطرته على السلطان ولكن البرواناه خاف أن يشور عليه سيدة الأسمى ، فأنار المغول عليه بدعوى عصيانه ، واستولى على السلطة وقتل التتار ركن الدين بوتر قوس سنة ٦٦٤ هـ - ١٢٦٦ م <sup>(٢)</sup> وتولى ابنه غياث الدين كيخسرو بوصاية البرواناه وهو لم يتجاوز الرابعة ، وبذلك انفرد البرواناه بأمر المملكة السلجوقية وإن كان التتار قد أقاموا معه مقدما منهم هو صغفار ومعه حامية تركية .

#### معركة ابلستين :

توفي هولاكو سنة ٦٦٣ هـ - ١٢٦٥ م وخلفه ابنه ابغا ولقد استمر على سياسة أبيه العدائية تجاه العالم الإسلامى وكان من الطبيعي أن يصطدم بالدولة المملوكية وهى أقوى دولة إسلامية فى المنطقة ولم ياعمى المغول ما حاق بهم على يد الجيش المملوكى فى عين جالوت ، وحاولوا التار عن طريق مهاجمة الممالك فى الشام فهاجموا البيرة سنة ٦٦٣ هـ ١٢٦٥ م ولكن ردتهم جيوش بيبرس ولما ثبت لهم قوة الجيوش المملوكية حاول لابغا إجبار بيبرس على عقد صلح عن طريق التهديد ولكنه لم يجدى فعاود الهجوم على الساجور ثم على عينتاب والعمق ، ولما شعر ابغا أى محاولته الهجومية لم يجدى سعى للصلح ثانية فأرسل ٦٧٠ هـ - ١٢٧٢ م

Howarth op. cit. Vol3, 258

(١)

(٢) الفريزى : السلوك ج ٢ ص ٥٢٢ . وكان موت ركن الدين ختفا بالوتر

وذلك أن معين الدين الرواناه اتفق مع التتر المقيمين معه على قتل ركن الدين بغيره .

سفارة كان يصحبها رسول البرواناه ، حضر إليه رسل البرواناه ، النائب بالروم ورسل صمغان مقسّم التتار المقيم بها ، فجهز الأمير شجر الدين إياز المقرى والمبارز الطورى أمير طبر صحبة رسلها بهدية إليهما وإلى إلبغا فدخلوا قيسارية واجتمعوا بصمغان والبرواناه وأرسلوا إليهما الهدية وأبلغهما جواب الرسالة وتوجها إلى الاردوا واجتمعوا بألبغا وأرسلوا إليه هديته<sup>(١)</sup> ، ومع ذلك فإن تلك المفاوضات لم تأتِ بنتيجة مرضية بالنسبة لألبغا وانقضى الأمر بغير اتفاق<sup>(٢)</sup> .

جدد المغول هجماتهم على البيرة ٦٧٣ هـ<sup>(٣)</sup> ، فى الوقت الذى وصل فيه عدد من أمراء السلاجقة النافرين على البرواناه ، اختلفت أمراء الروم على البرواناه ، فقاومته جماعة من قيسارية<sup>(٤)</sup> ، كان منهم الأمير سنان الدين موسى بن طرنتاى ونظام الدين أخو محيى الدين الأتابك ، ضياء الدين محمد ابن الخطير والأمير سيف الدين جندر بك صاحب الأبلستين وعدد آخر كبير ، وحرضوه على محاربة البرواناه وحلفائه المغول<sup>(٥)</sup> . فاستجاب لهم وفى ٢٥ رمضان ٦٧٥ هـ - ١٢٧٦ م خرج السلطان بجيوشه بصحبة الأمراء الروم ثم اتجه إلى الشام وقضع الدربد ووصل إلى الجبال المشرفة على صحراء هوف من بلاد ابلستين<sup>(٦)</sup> حيث عسكر المغول بقيادة تتاون والسلاجقة برأسة معين الدين وأخاه ولقد نظموا أنفسهم فى أحد عشر طلبا ، كل يزيد عن ألف فارس وعزلوا عسكر الروم وجعلوه طلبا منفردا لئلا يكون

(١) بيبرس الدوا دار : زبدة الفكرة ص ١١٨

(٢) ابن تيمرى بردى : التجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٤٨

(٣) المقرئى للسلوك ص ٦٢١

(٤) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : تاريخ جامع التواريخ ج ٢ ص ٦١

(٥) رشيد الدين : جامع التواريخ - المقرئى للسلوك ج ١ قسم ٢ ص ١٣٦

بيبرس : زبدة الفكرة ص ١٠٦



خامرا عليهم<sup>(١)</sup> . ووضح تفوق الماليك فسارح معين الدين البرواناه بالفرار وأخذ السلطان غياث الدين معه وغر الدين الوزير وكان بقبسارية وتوجه بهم إلى توقات وكانت إقطاعا له .

وحاقت الهزيمة بالمغول ولم ينج منهم إلا القليل وكان من بين القتلى تانوس مقدم التتار<sup>(٢)</sup> وأمر السلطان بقتل من أسر من التتار وإن كان قد عفى عن بعض أمرائهم ، وأبقى على من أسر من أمراء الروم وأعيانهم ومنهم أم البرواناه ، وابنه مهذب الدين على وابن ابنته<sup>(٣)</sup> . واتجه بيبرس بعد ذلك إلى قيسارية ، وأرسل البرواناه يهنأه فدعاه السلطان للحضور<sup>(٤)</sup> ولكن البرواناه طلب إمهاله خمسة عشر يوما وكان هدفه أن يصل إبننا الذي كان البرواناه قد استحدثه على القدوم بنفسه ليدرك الظاهر بيبرس وهو يبلاد الروم . ولما تأخر البرواناه عن الحضور يأس السلطان من أمره ولقد راسل السلطان أولاد قرمان وحكام وأمراء التركان ودعاهم إليه وكان بلى دوله بن قرمان محمد بن قرمان<sup>(٥)</sup> . ولقد ورد رده عند وصول السلطان إلى دربند فذكر المقرئى جمع التركان وحضر في عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل متراكشة للخدمة<sup>(٦)</sup> . وترك السلطان قيسارية الثمن وأبلغ إبننا بما حدث لجيوشه في أبلستين ، فتوجه هناك حيث رأى القتل مكذبة أجسادهم ووجد أن جميعهم من المغول وعدد قتلى الروم قليل فغضب على البرواناه إلى جانب أن أحد أمراء السلطان بيبرس وهو أليك الشينخى

(١) المقرئى : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٦٢٨

(٢) المقرئى : السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٦٢٩

(٣) بيبرس : زبدة الفكرة ج ٩ ص ١٤٠

(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٦٣١

Enc. Islam Art karaman Oghlu

(٥) المقرئى : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٦٣٣

(٦) رشيد الدين : جامع النواريح ص ٦٣

قد فر من عسكر السلطان وتوجه إلى إربغا لأن بيبرس قد ضربه على وجهه وأعلمه على أن البرواناة هو الباعث للملك الظاهر على الحضور إلى بلاد الروم بتكرار كتبه وتوارد رساله (١) فتحقق ظن إربغا على حياة البرواناة فأمر بنهب بلاد الروم وقتل المسلمين منها ، فنفرق عساكره تنهب وتفتك وتقتل فقتلوا من المسلمين خلقا لا يحصون كثرة ولم يتعرضوا إلى نصارى البلاد وامتدت غاراتهم مسافة سبعة أيام ، ويقال أن عدد القتلى بلغ خمسمائة ألف .

سار إربغا مع السلطان غياث الدين صاحب الروم ووكل بالبرواناة من يحفظه ولما وصل الأردن استشار أمرائه في أمره فقوم أشاروا بقتله وقوم أشاروا بإبقائه على البلاد ليحفظ نظامها ويحضر خراجها ولكن أمر إربغا بقتله فقتل وعدد من أصحابه ٦٧٦ ٥٠ ١٢٧٥ م .

ولقد كان لمركة إبلستين نتائج عظيمة الأهمية : أهمها أن دولة السلاجقة لم تعد ملكة مستقلة إنما أصبحت ولاية تابعة للمغول يتولاها أحد قادتها ككاتب عن الخان في الأردن ، فأرسل إربغا الخواجة شمس الدين (٢) وانتقلت الإدارة الداخلية للبلاد إلى يد المغول ، وسرح الجيش السلجوقي ، وأصبح الجنود الذين فقدوا وظائفهم مصدر قلق وشغب ، وفرض المغول على الشعب كثيرا من الضرائب التي لم تكن موجودة من قبل كضريبة التمتة (٣) .

---

(١) بيبرس : زبدة الفكرة ص ١٤٢ وذكر بيبرس : في التهمة المملوكية ص ١٦٩ أن الأمير معين الدين سيات قد كاتب السلطان وقاوضه من الاتفاق وقاضه فوقع للقدم أبطاي المذكور فاصد من قصاده ومعه كتاب الملك الظاهر .

(٢) بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ص ١٦٩ - رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ص ٦٣

(٣) رشيد الدين : جامع التواريخ ج ٢ ص ٦٥

(٤) رشيد الدين : جامع التواريخ ص ٦٥

وخلال السنوات القليلة التالية تضاعف حجمها وانقسمت إلى أمارات صغيرة بل لم يعد حكمهم لهم الحق في حل لقب سلطان ففي ٦٧١ هـ - ١٢٨٣ م عزل السلطان أحمد زكادار سلطان المغول غياث الدين كيخسرو وأرسله إلى أرزنجان . وولى مسعود بن السلطان عز الدين كيكاوس فاستقر بها ليس له منها إلا الاسم والحكم كله فيها للتتار وشحانهم ، فلما جلس آرخون في السلطنة دس إليه وهو في أرزنجان من خنقه وزير فات<sup>(١)</sup> وبذكر المقرئ أن مسعود بن عز الدين لم يكن له أي حول ولا قوة تجاه المغول بل عانى من الفقر كما عانى شعبه ومسعود بن عز الدين كيكاوس ابن كيخسرو بن كيخباد كيخسرو بن قلاج أرسلان بن سليمان بن قعلاوش ابن أرسلان بيغ بن سلاجوق وهو آخر من سمي بالسلطان من السلاجوقية ببلاد الروم، افتقر وانكشف حاله ومات قريب سنة ثمان عشر وسبعمائة<sup>(٢)</sup> ونلاحظ أن المراجع البيزنطية والإسلامية لم تعد تشير إلى سلاجقة الروم أو مملكاتهم فقد أصبحوا ولاية لا تختلف عن أي ولاية تركانية في المنطقة.

#### الإمارات التركانية في آسيا الصغرى :

ولكن هذا لا يعني نهاية الوجود التركي فلقد بدأت عناصر تركية أخرى من الغز تنشر في المنطقة على أفاق واسع وتغزو قلب شبه الجزيرة ، ولقد ساعد على ذلك تغيير سياسة بزنطة في عهد ميخائيل باليولوجس تجاه آسيا الصغرى ، فانهيار السلاجقة دفع الأمبراطور إلى الانتقال باهتمامه من الحدود الشرقية إلى جهة أخرى فأجه إلى الغرب ، حيث تجدد الصراع في البلقان وحتم عليه تركيز قواته في الجانب الأوربي ،

(١) بيريوس الموادار : زيادة المذكره ج ٢ ص ٢٧٥

(٢) المقرئ : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٢٨٨

Runciman, The fall of constantinople p 80

وكانت موارد الأمباطور المائية والحرية غير كافية لحماية أراضيها في آسيا فانهارت في عهده فرق الحدود من الأكراتين التي أعاد إحيائها خنا فيتا تريس ولم يعودوا يحصلون على أجر ، ووجدوا أنفسهم بلا دعم من الدولة وخاصة في منطقة الحدود المشتركة مع السلاجقة ، فانتقلوا إلى المناطق الشرقية ويشير أحد المعاصرين للأحداث إلى أن الفرس ، والأتراك اجتاحت الأراضي ولا توجد قوة تمدهم بالنظام الإقطاعي الذي أقامه آل باليولوجس أسرع بإسقاط نظام الحدود الذي أنشأه خنا فيتا تريس .

كل هذه العوامل ساعدت قبائل الأتراك على التوغل في أراضي بيزنطة وبدأت فترة جديدة في تركيز المنطقة بظهور الإمارات التركية المستقلة على نطاق واسع نتيجة للضغط المغولي وبدأوا توسعهم على نطاق كبير من أذربيجان إلى قلب آسيا الصغرى وانتشروا على شاطئ البحر الأسود ووصلوا إلى كليكا . وكانت الدولة السلجوقية الخاضعة للمغول تسيطر على قلب الأناضول والسهول المجاورة ، ولكن القوات التركمانية كانت تتمركز بالقرب من الحدود في الجبال ، وفي البداية اعترفوا بالولاء للسلاجقة ولكنهم دأبوا على الثورة والخروج عليهم بل ومساعدة الخارجين عليهم ، وكان يصحب تلك الجموع التركمانية عدد من الدراويش والشيوخ لجأوا إلى تلك المناطق بدافع ديني وهو قتال الكفار والجهاد في سبيل الله ، ولقد كان هؤلاء الشيوخ قد هربوا من تركستان وأذربيجان وفارس تحت ضغط المغول وأمكنهم تحويل التركمان الشامانيين إلى الإسلام ، ولقد أضفى هذا على فتح التركمان لبيزنطة طابعاً جديداً وهو طابع الجهاد الديني واتخذ التركمان لقب غازي (١) .

وهذه الإمارات تعتبر تطورا لإمارات الحدود التركية التي نشأت

(١) اتخذوا لقب غازي تشبها بالفرزاة لنظام المغول في العصر الإسلامي الأول

مع قيام الدولة السلجوقية في مواجهة الحدود البيزنطية ، ولقد تركز أمراء الحدود في عدد من المناطق أولها في الجنوب في مواجهة قليقيا حول العلايا وإنطاليا لصد غزوات الأرمن والقبارصة <sup>(١)</sup> ، وفي الشمال على حدود إمارة طرابزون وعلى طول شاطئ البحر الأسود وهؤلاء ينقسمون قسمين قسم استقر في الشرق حول سمرنا وسمسون وبافارا <sup>(٢)</sup> والآخر في الغرب حول قسطنطين وسنوب . ولقد استقر أمراء الحدود الغربيين في قرا حصار ، دلي ، وكوتيا دانليزي على الحدود الغربية التي تمتد من قسطنطين إلى خليج Makri في الجنوب ، وكانت الدولة السلجوقية تمثل في كل منها بقائد أو أمير وكانوا يتوارثون الإمارة . وكان أمراء الحدود في الغرب هم أكثرهم أهمية على الإطلاق ، وفي ٦٥٩ هـ — ١٢٦١ م تولى أمرهم نصرة الدين حسن وتاج الدين حسين أولاد الوزير السلجوقي نغر الدين على وسيطروا على المنطقة بين كوتيا واسكي شهر <sup>(٣)</sup> وكانت عاصمتهم قلعة قرا حصار . وكان اعتماد إمارات الحدود تلك على قرات التركان وعلى قادتها الذين حملوا لقب غزاة ولقد مارس الغزاة نزعاً من الاستقلال الذاتي على قواتهم ، ومع ضعف الدولة السلجوقية وازدياد الضغط المغولي هاجرت القبائل التركمانية واستقرت في المنطقة بين مضبة وسط الأناضول والسهل الساحلي حيث يوجد المرعى صيفاً ، ولقد اتخذت تلك الإمارات الدولة السلجوقية كنموذج لها ، وكان للحضارة السلجوقية تأثير كبير على مدنهم ككوتيا وقرا حصار واسكي شهر وقسطنطين وإن كانت المصادر السلجوقية في فترة سيطرة المغول قد بدأت تصفهم

Camb. Hist. of Islam Vol. Ip. 252 (١)

Enc. Isl. Art. kerman. (٢)

Camb. Hist. of Islam Vol. Ip 268 (٣)

O-trebo sky op cit.p 3٨١ (٤)

كثيرى شغب وقطاع طرق ولقد لعبت تلك الإمارات دورا هاما في الأناضول وفي الصراع بين أمراء السلاجقة ، فلقد ناصروا عز الدين على قوة أمراء الحدود ولقد اضطروا البروفان والمغول آنذاك لمسألة التركان ويقال أن فرق من التركان لحقت بعز الدين في بين نطة <sup>(١)</sup> ، ولقد استغلت تلك الإمارات فرصة الاضطرابات والصراعات في كلا الجانبين السلجوقي والبيزنطى للاستقلال والتوسع في آسيا الصغرى وأقام تلك الإمارات أمرة بنى قرمان Karamen Geyhan قامت على أراضي أرمنك وقسطمون في جنوب آسيا الصغرى في أواسط القرن السابع الهجرى ومؤسسها قرمان ابن نور صوفى المتوفى ٦٦٠ هـ - ١٢٦٠ م <sup>(٢)</sup> وتولاها بعده ابنه محمد بك ويذكر القلقشندى أنه كان يتولاها معه الياس بك وصهره على بك وقريه سونج <sup>(٣)</sup> . ولقد رفضوا الاعتراف بسلطان ركن الدين بعد فرار عز الدين ٦٦٠ هـ ورأسلوا هولاء حيث اعترفوا للمغول بالتبعية المباشرة ، ولكن بعد معركة ابلستين انضموا إلى جانب بيبرس ، وأحضروا عشرين ألفا من التركان لمناصرته <sup>(٤)</sup> .

وفي نهاية ٦٧٥ هـ - ١٢٧٦ م استولوا على قونية وقرروا التركية كإله رسمية بدلا من الفارسية . ولكنهم هزموا على يد السلاجقة واضطروا للعودة إلى قرمان ، وإن كانوا استطاعوا استعادة قونية في ٧٣٦ هـ - ١٢٣٥ م حيث أقاموا فيها دولة قوية <sup>(٥)</sup> .

Hearsey City of Constantin 227 (١)

Baynes : Byzantium p47 (٢)

Ostroff or-ky op cit p 438 (٣)

Hussey : The Byzantine world p.79 .

Camb. Hist of Islam Vol I p 296 (٤)

٥٠ : القلقشندى : معجم الأعيان ج ٥ ص ٢٢٦ - ٢٢٩

Enc. of Islam Vol 10 p 100

وإمارة منتشا في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى وتاريخ إنشائها يقارب تاريخ قيام مملكة قرمان<sup>(١)</sup>. فقد كان حاكمها منتشايك يدين بالولاء لعز الدين كيكافس الثاني وقد بدأ توسعه على حساب بينظرة فترك الشاطئ الجنوبي واتجه إلى كاريا حيث اتخذها مركزا لعملياته ثم انضمت إليه قرات تركانية وسيطر على كل إقليم كاريا وتقدم في ١٢٧٨ إلى وادي Boyuk في الميندر وأخضع مدن برين ، ملطية وبيجدون<sup>(٢)</sup> وتقدم ١٢٨٢ إلى ترالس ونيش ولقد أكمل ساس بك ابنه سياسة الفتوح وإن كان أضعف من أرمم قيام مملكة الاستبار في رودس وإمارة كرميان في المنطقة بين Denizli وكوتنيا وعاصمتها كوتنيا ويخضعون لأسرة Alishir وكانوا من مؤيدي سلطنة السلاجقة وأعانوا كيخسرو الثالث والوزير نخر الدين على ضد الثارين عليهم ، ولكن نبذوا أولاء السلاجقة بعد تولية المغول لمسعود الثاني وانضم إليهم الطبقات التي ضاقت بعبء الضرائب وانتهت الحرب سنة ١٢٨٩ م بانتصار يعقوب بك ابن الشير الذي بلغت المملكة تحت سلطانه أقصى اتساع ووجه قوائمه ضد بينظرة وإمارة أيدين التي كونها محمد بك ابن أيدين الذي أرسله يعقوب لفتح وادي الميندر فكون إمارة وكانت أكثر الإمارات الأسيرية اجتياحا للشاطئ الأوربي، ولقد اتحدت ضدها في الشمال أمراء صاروخان ورناسهم في مرسيا أو مغيسيا ثاني عاصمة لأمبراطورية نيقية وأمراء سهل تروى ، وعلى البحر الأسود إمارة غازي جاليولي في سنوب، والإمارة التي أنشأها Eshirfaghia ، وأخرى أنشأها القاضي برهان الدين وإمارة قراصيا وولاية جنداوغلي في قسطنطين ، وإمارة دلغادر في مرعش وإبلستين ، ورمضان في اذنة وقلبيقية،

(١) القرطبي : السلوك ج ٢ قسم ١ ص ٦٢٢

القرماني : أخبار الدول وآثار الأولاد ص ٢٤٠

بدويلة الشاة السوداء ، وإنشاء البيضاء في شرق الأناضول (١) ، ثم الإمارة العثمانية في بيثيشيا واستطاعت قبيلة Tzane التركية عبور جبال البحر الأسود وإقامة إمارة هناك ، المنطقة الوحيدة التي لم يحتلها الترك كانت شرق البحر الأسود حيث طرابزون ، ولقد دفعت تلك الأوضاع التي تعرضت لها آسيا الصغرى وأراضى بزنطة الآسيوية خاصة الغرب بإرسال حملة صليبية ضدها ولكن قيام حرب المائة عام جعلتهم يتركون هذا المشروع جانبا .

#### التوسع التركي في أراضى بزنطة :

ساعدت ظروف بزنطة الداخلية الإمارات التركمانية على التوسع على حساب أراضيها الآسيوية ، فلقد ترك مينخايل باليولوجس لخلفه أندرونيكوس الثاني ١٢٨٢م-١٣٢٨م تركمة مثقلة بالمشاكل ورغم نجاح سياسته الداخلية (٢) فإنه ترك لخلفه من المشاكل الخارجية والصراعات الكثيرة سواء في البلقان أو مع الغرب وأصبحت بزنطة دولة من الدرجة الثانية ، وبمجرد رابطة في العلاقات بين الأطراف في المنطقة بل إن الرابطة بين العاصمة والولايات أصبحت واهية . وازدادت سلطة كبار الملاك في نفس الوقت الذي زاد فيه العبء على الطبقات غير القادرة ، واعتمدت الدولة على الجند المأجورين وعلى أسطول جنوة ، وكلف هذا مالية الدولة أعباء لا تقدر على تحملها . فاضطر أندرونيكوس لتخفيض أعداد الجيش فأصبح الجيش في نهاية القرن الثالث عشر لا يتجاوز عدده بضعة آلاف . وهذا يوضح فشل القوات البيزنطية في صد القوات التركمانية وخاصة أمراء منتشا

(١) Ostrogorsky ; op.cit. p. 438

Runciman : op cit. p 26 (٢)

Ostrogorsky : op. cit p 433 (٣)

Camd Hist. of Islam. vol 1 p286 (٤)



وليدت الذين اشتبكوا معها برا وبحرا ، ولم تستطع منعهم من احتلال غرب  
الأناتول ولقد حاول أندرونيكوس تدعيم موقف امبراطوريته المنهار عن  
طريق عقد معاهدات سلام ومصاهرات مع الغرب<sup>(١)</sup> ، ومع حاكم الصرب  
ولكن جيوش الصرب في عهد داسان استمرت في تغلغلها في أراضي  
الامبراطورية ، ثم تدخلها في الصراع بين البندقية التي تسيطر على الجزء  
الجنوبي من البحر الايوني وجزوة التي يتدفق ذهابا على الجزء الشمالي من الارخبيل  
وعلى بحر صرمرة وبونفس وقد نزلت الامبراطورية في الاشتراك في هذا  
الصراع ١٢٩٤ م وانتهت الحرب بينهما بالحصول على مزايا اقتصادية على  
حساب الامبراطورية بل استولى أحد القادة الجنوبيين على جيوس ١٣٠٤ م  
فالامبراطورية كانت تسير في طريق الانهيار داخليا بأزماتها الاقتصادية  
ونظامها الحربي المتداعي ، وخارجيا بسبب تكتل الأعداء ضدها في نفس  
الوقت الذي ظهر فيه خطر الترك في آسيا الصغرى ، وهذا يوضح سرعة  
وسهولة توغل الأتراك في قلب الامبراطورية وفي سنة ١٣٠٠ م أصبح  
كل آسيا الصغرى في يد الترك ولم ينجوا من المد التركي إلا عدد قليل من  
المدن والقلاع كنيقية ، نيقوميديا ، بروسا ، سارديس ، فلادلفيا ،  
مغنيسيا ، وبعض الموانئ كهرقليا ، بونثس ، فوكيا ، سمرنا ونسب القادة  
الأتراك المدن بينهم وتحول غرب آسيا إلى ولايات تركية سقطت فيما بعد

---

(١) رغم نجاح سياسة ميخائيل الداخلية واستعادته لقسطنطينية عن سياسة الخارجية  
لم تلاق نفس النجاح لمواجهة العديد من المشاكل في البلقان بسبب البهار ، وبحر  
الايطاليون على العائق البحرية ، ووجودات جبارة استطاع استعادة جزء من البلقان  
واسكن الجزء الأكبر ظل في يد الفرنج وروسيا وبروس واكرينيون خاضعة لبيت النمبوس  
Ostrogorsky op. Cit. p. 490.

سعى الدونيكوس لعقد مصاهرات ليعضد خلفاء جانبه فتزوج ابنة مونتيرات ليضم  
ساليونكا ، وحاول أن يزوج ابنة ميخائيل التاسع حفيد بلدين الثاني ولكن قوة الإغريق  
في المنطقة ضعفت بسبب الصراع بين بروس وروسيا .

بسهولة في يد عثمان مؤسس الدولة العثمانية، وبذلك نرى أن بين زلزلة ما كادت تتخاص من خطر الأتراك السلاجقة الذين اغتصبوا أراضيتها في بداية القرن الحادى عشر حتى ظهر في أوائل القرن الرابع عشر خطر أشد وحاد هو العثمانيون ، وإذا كان السلاجقة في عتقوان قوتهم لم يستطيعوا الوصول إلى القسطنطينية فإن الأتراك الجدد كانوا على عكس ذلك . فقد استطاع العثمانيون أن يضموا صفوفهم وبقية دولة موحدة توسعت على حساب بين زلزلة لا في آسيا الصغرى فحسب ، بل في أوروبا ، وأخيراً أسقطت القسطنطينية العاصمة التي استمرت لإحدى عشر قرناً مركزاً قوياً يحمى العالم المسيحى والغرب الأوروبى .

---

Ostrogorsky : op. cit. p 499

Baynes Byzantium 78 .

Henney. op. cit 70

## الفصل السابع

### العثمانيون

#### أصل العثمانيين :

من بين الإمارات التركية التي انتشرت على حدود بيزنطة واتخذ أسرائها لقب الغزات كانت إمارة صغيرة أقيمت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر على مناطق الحدود الممتدة في الاتجاه الشرقي من بيشنيا إلى أولمبيوس<sup>(١)</sup>. وهؤسسها أرطغرل مات في سنة ١٢٨١م وخلفه ابنه عثمان مؤسس الأسرة العثمانية ولقد وردت قصص عديدة عن أصل العثمانيين ونشرت حوليات مختلفة عن أصل السلالة العثمانية بعضها ارجح في العهد العثماني بل بعض من تملقوا العثمانيين في القرن الثامن عشر ذكروا أنهم من سلالة النبي ، وأشارت بعض الحوليات إلى قائمة ذكر فيها احدى وعشرين إسما من سلالة عثمان ونسبوه إلى الخان بطل الأراك Oghuz وإلى ابنه جوك ألب وحفيده شمندور . وذكر في حوليات أخرى أنه كان أحد أربعة وعشرين ابنا كانوا لاوعز ، والسلطان محمد الفاتح حاول التوحيد بين شطري شعبه التركي والاغريق بادعائه أن أسرته من سلالة آل كومنين الذين ارتحلوا إلى قونية واعتنقوا الإسلام وتزوجوا من أميرات تركيات من السلاجقة ولا يوجد دليل قاطع على صحة أى من تلك النظريات ولكن

---

Hearsey : op. cit p. 220

(١)

Ostroyorsky : op. cit. p. 448

Guston Gillard : op Cit 10

Norman Itzkowitz : The Ottoman Empire p276

المؤرخين أثبتوا أن أرطغرل هذا لم يكن رئيس قبيلة وإنما قائد فرقة من الغزاة وينتمى لعشيرة صغرى من قبيلة kayi<sup>(١)</sup> ، واستطاع بمعاونة التركان أن يشق طريقه إلى حدود بينظرة وأقام إمارة هناك ، ولما كانت إمارات الحدود لا تكفي بحدودها وإنما تعتمد على التوسع ، ورأى عثمان أن قدراته لا تتناسب مع صغر إمارته فقرر أن يتوسع على حساب جيرانه ولدينا تفصيلات قليلة عن الفترة الأولى من تاريخ عثمان ولكن هناك نص في مسجد بروسا في عهد أورخان ابن عثمان يذكر أنه « ابن السلطان سلطان الغزاة غازي الغزاة بطل العالم »<sup>(٢)</sup> ، وهذا دليل على أن عثمان بسط سلطانه على غالبية الغزاة آنذاك ، وكان عثمان يشترط على من يدخل في خدمته أن يكون غازيا .

### التوسع العثماني في أراضي بينظرة الآسيوية :

امتدت الأراضي التي يسيطر عليها عثمان من اسكى شهر إلى السهول المجاورة لنيقية وبروسا وأصبحت إمارته أقوى الإمارات في المنطقة وشعرت بينظرة بتهديد تلك القوة النامية فقرر الأباطور تركيز اهتمامه وقوته في الجانب البحري لمنع توسع العثمانيين في أراضيهم الأوروبية . في حين أن عثمان كان يخشى أن يتوقف المد العثماني بسبب إغلاق البيزنطيين لطريق البحر ، وخاصة التفوق بينظرة البحري ، فعنى هذا انحصاره في منطقة محدودة ، وربما يؤدي هذا بدوره إلى ترك أتباعه له للبحث عن أراضي جديدة<sup>(٣)</sup> .

(١) Camb. Hist. of Islam Vol Ip 268

(٢) Huseey, The Byrantine World p 79

ostrogorsky : op. cit. p. 438

Kunicman op cit. p.23 (٣)

Huseey : Byzantine World. p. 80

Itzkowitz. op cit. 226

وبدأ عثمان بالتوسع فيما جاوره من أراضي بيزنطة فهاجم نيقية وأرسل  
الأمبراطور جيشا بقيادة Muzalon لتحرير المدينة ولكن عثمان هزم  
الجيش البيزنطي في بافيوم وقام مواطني تلك المدن من المسيحيين بتركها  
واللجوء لثيقوميديا . وفي سنة ١٣٠١ م استقروا في شمال جبال الألبس ،  
ولقد أثار هذا اهتمام بيزنطة وجزعها ، فبزنطة تخشى احتلال آخر  
يمتلكاتها في الشاطئ الآسيوي والتي على مرأى من العاصمة نفسها ، فبفقد  
تلك الأقاليم تعتبر بيزنطية قد فقدت آسيا الصغرى إلى الأبد .

ولقد حاول أندرونيكوس الثاني محاولات يائسة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .  
فحاول التحالف مع غازان خان وبعد وفاة الأخير ، تحالف مع السكندروخان .  
ولكن لم تجدى تلك السياسة <sup>(١)</sup> . بل اشترك في الهجوم على بيزنطة أمراء كرميان  
ومنتشاوايدن . واضطر الأمبراطور لطلب المساعدة من اللان في مقابل  
وعدا باستقرارهم داخل الأمبراطورية <sup>(٢)</sup> ، فجاءوا في حوالى عشرة آلاف  
نفس بأولادهم ونسائهم ، وتحت قيادة ابنه ميخائيل التاسع تقدمت جيوش  
آللان في آسيا الصغرى ولكنها لقيت هزيمة كبرى على يد العثمانيين ٧٠١ هـ  
- ١٣٠١ م . وفي تلك الأثناء عرض روجر ووتلور قائد السكتلان  
خدماته وخدمات رجاله ضد الترك <sup>(٣)</sup> ، وقبل الأمبراطور العرض بكل  
ارتياح ووصل القسطنطينية ١٣٠٢ م حيث استقبله الأمبراطور بالترحاب  
وكان يصحبه ٦٥٠٠ من رجاله ووعد بمنحهم مرقب أربع شهور وكذلك  
منحه لقب قيصر .

Camb Hist of Islam Vol. I p. 168 (1)

(٢) نفس السياسة التي اتبعها الأمبراطور ثيوديسيوس الأول .

Setton : Catalan Domination p 125 (3)

Ostrogorsky op cit p 348

ومع بداية عام ١٣٠٤ عبر السكتلان إلى كوزنيكوس وتقدموا إلى فلادلفيا التي يحاصرها الترك واستطاعوا هزيمة الأتراك، ولقد أثبت انتصاره هذا أمراهما أن بيزنطة لو تيسر لها القوات الكافية والإمكانات المتاحة لتمكن لها أن تقضي على قوة الأتراك الناشئة ولكن بيزنطة آنذاك لم يكن لديها لا القوات ولا المال، وترك السكتلان حرب الترك وهاجموا مغنيسيا البيزنطية، ولقد ارتاح الأهالي البيزنطيين برحيلهم بعيداً وقد شغلوا الأمبراطورية بعشر سنوات من الحروب وخلال تلك السنوات بدأ العثمانيون يعبرون الدردنيل واستطاعوا بسط سلطانهم على مناطق جديدة بل عاون عثمان أمراء Aydin الأتراك في الاستيلاء على أفسوس واستولى هو على الممتلكات البيزنطية في المنطقة من Itebolu إلى Zangarus وقد تبع مفادرة السكتلان للمنطقة حروب أهلية داخلية في بيزنطية وكانت سياسة العثمانيون قائمة على عدم الاستيلاء على المدن الحصينة إلا في حالات نادرة لعدم توافر أدوات حصار كافية ولكن كان يسترقون أهل المناطق المجاورة ويقطعوا عن المدينة إمدادها .

وسعى عثمان لانتخاذ عاصمة تكون ذات موقع حصين تتوسط فتوحه لخاصر مدينة بروسا وهي مدينة بطبيعتها حصينة في الانحدار الشمالي لجبال الأوليمبوس ويستطيع عن طريقها مهاجمة شاطئ بحر المرمرة ولقد استطاعت المدينة المقاومة لمدة عشر سنوات (١) . ولما لم يرسل الأمبراطور أى قوات لإنقاذها سقطت سنة ١٣٢٦ م وعثمان على فراش الموت .

---

(١) استولى محمد بك على برجى وسمرنا أيضا وأصبح أقوى أمراء في غرب الأناضول وأخذ ساروخان بك مغنيسيا في ١٣١٢ وغراسيا بك Balikesir  
Runciman, op. cit p32 — Comb. Hist of Islam vol. Ip 259  
Lacey: The Provisioning of Constantinople p 111

### التوسع العثماني في الجانِب الأوربي من برنطة :

توفي السلطان وترك عدداً من الأبناء أكبرهم أورخان وكان وفقاً  
للعقائد التركية يشاركه في العرش أخاه علاء الدين ولكن علاء الدين تنازل  
عن حقه لأخيه أورخان الذي يعتبر عهده من الفترات الهامة في تاريخ  
إمارة آل عثمان

وفي عهده استقرت الإمارة العثمانية في آسيا الصغرى وامتدت سلطات  
السلطان فشملت غالبية إمارات القزاق. وبعد ضمّه قرصيا أصبحت حدوده.  
تمتد من Edrems إلى كوزيكوس ووجد العثمانيون أنفسهم في مواجهة  
الشاطئ الأوربي .

في نفس الوقت الذي قام أندرونيكوس الثالث بعزل جده ١٣٢٨<sup>(١)</sup>  
وتولى عرش القسطنطينية ودخلت العلاقات البيزنطية التركية طورا حديدا  
فلقد اتجه العثمانيون للجانِب الأوربي خاصة في عهد الإمبراطور  
كانتاكوزينوس Cantacuzenus . في البداية حاصر أورخان نيقية سنة ١٣٢٩  
وحاول أندرونيكوس الثالث وحنانوزبره بذل آخر محاولة لصدم فاعدا قوة  
تعدادها ألفي رجل أرفع حصار المدينة ، ولكن باءت جهودهم بالفشل  
وسقطت المدينة في أيدي العثمانيون بعد معركة Philareto ودخل أورخان  
المدينة في مارس سنة ١٣٣١ . وفي السنوات التالية سقطت نيقوميديا . وفي  
سنة ١٣٣٧ لم يبق في آسيا الصغرى إلا بضعة مدن متناثرة هنا أو هناك  
كفلادلفيا وهراقليا على شاطئ البحر الأسود وأصبح من السهل عليه أن  
يحتل كل المناطق المؤدية للبسفور ، ويبسط سيطرته على شاطئ بيشنيا وزاد

سلطانه على حساب القبائل التركية المجاورة ثم اتجه في هجومه إلى الشاطئ الأوربي . (١) .

بينما كان العثمانيون يهاجمون الجزء الشمالي من البحر الإيجهي، كان أمراء السلاجقة في الإمارات الساحلية في آسيا الصغرى يهاجمون الجزء الجنوبي وكان هجومهم مركز على اللاتين حكام تلك الامارات ، ولم يكن له تأثير كبير على بيزنطة التي تحتل أملاكها مناطق صغيرة في شواطئ تراقيا وآسيا الصغرى وفي هذه الظروف لم يكن غريبا أن يتفاهم السلاجقة والبيزنطيين فالسلاجقة كانوا أعداء للعثمانيين واللاتين على حد سواء كالبيزنطيين ، وكان أندرونيكوس ووزيره كانتاكوزينوس قد حاولا إعادته بسط نفوذ بيزنطة في البحر وبناء أسطول جديد . وفي سنة ١٣٤٩ خرجت البحرية الامبراطورية لمهاجمة الامارة التي تملكها أسرة زكريا الجنوبية التي اعترفت في البداية بسيطرة البيزنطيين ثم عادت ونقضت إعرافها ولكن أغلب الجزر عادت مرة ثانية إلى الامبراطورية وظلت في حوزتها إلى سنة ١٣٤٦ . وبمساعدة السلاجقة أخضعت الامارة الجنوبية في فوكيا التي مالبت أن اعترفت بسيادة بيزنطة كذلك أنقذت بيزنطة لسبوس من الخضوع للقوى الغربية .

وفي ١٥ يونيو سنة ١٣٤١ توفي أندرونيكوس الثالث (٢) ، وكان ابنه حنا التاسع لا يتجاوز التاسعة من عمره وكان وزيره حنا كنتاكوزينوس هو الحاكم الحقيقي خلال عهد والده وكان من الطبيعي أن يسعى لتولي العرش البيزنطي ولكنه وجه بمعارضة قوية تزعمتها الإمبراطورة أنا سفوى والبطريرك حنا كاليبكس ولكن المعارضة الفعلية جاءت من صديقه السابق

---

Rueicman : op. cit p 37 (1)

Hussey op. cit p 80

Ostrogorsky op. cit. p 463 (2)



الكنيوس الكوكوس وأعلن حنا ككتا كوزينوس نفسه امبراطورا  
مشاركاً في ٢٦ أكتوبر ١٣٤١ م.

واعتمد حنا ككتا كوزينوس في ذلك على المساعدة العثمانية ولم يتردد  
في إعطاء ابنة زوجته ثيودورا إلى السلطان وأرسل السلطان في مقابل ذلك  
سنة آلاف مقاتل ليحاربوا في تراقيا ولقد لاسه كثير من معاصريه  
لدعوته عمر واورخان وفتح الباب أمام العثمانيين في أوروبا ولقد ساعدت  
الحروب الأهلية العثمانيين على شق طريقهم في أوروبا حيث تناقص البيزنطيون  
على كنيبودم ، ففي نفس الوقت كان أفراد البيت الحاكم في القسطنطينية  
قد بذلوا مساعي للحصول على مساعدات الأتراك ولكن مساعيهم لم  
تتحقق مجازاً (١)

ولقد توج ككتا كوزينوس في ٢١ مايو ١٣٤٦ امبراطورا في إدريانوبل  
وأصبحت الإمبراطورية آناً محدودة السلطات، ولقد نجحت الإمبراطورية  
أخيراً في عقد تحالف في ١٣٤٦ م مع الأتراك السلاجقة وقدم ٦٠٠ سلاحوي  
من إمارة ساروخان لمساعدتها وبدلاً من مهاجمة ككتا كوزينوس هاجموا  
بلغاريا بل في طريق عودتهم نهبوا المنطقة حول القسطنطينية .

وفي عام ١٣٤٧ م فتحت أبواب القسطنطينية لككتا كوزينوس وتوجه  
البطريرك وعاد الوفاق بين حنا ككتا كوزينوس والأتراك مرة ثانية  
واتحدوا ضد الصرب (٢) ولكن الأتراك كانوا سلاحاً ذو حدين فبدأت  
تستقر أعداداً كبيرة منهم في تراقيا ، وعند وفاة أورهان ١٣٦٢ م أصبح  
الأتراك سادة غرب تراقيا وأدى هذا إلى ازدياد العداء والكراهية في  
القسطنطينية ضد ككتا كوزينوس وتجمع الناس حول الإمبراطور الشرعي

Ostrogorsky : op. cit. 472 (1)

Runciman : (p. cit. p. 80 (٢)

حنا الخامس بن ميخائيل وكان كنتا كوزينوس قد منح لإبنة مقاطعة أدرينوبول في (١) سنة ١٣٥٢م ولكن استولى عليها حنا الخامس بواسطة دعم البندقية المالى وأستسلمت القسطنطينية للإمبراطور الشرعى وسارع كنتا كوزينوس لطلب مساعدة الترك وتعرضت المدن البيزنطية لإجتياح الفرق التركية واستعان حنا باليولوجس بالعرب والبلغار ولكن أورخان أرسل عشرة آلاف جندى لمساعدة حليفه تحت قيادة إبنة سليمان وانتصر كنتا كوزينوس بفضل مساعدة الترك وتراجع الجيش البلغارى حين علم بتقدم العثمانيين وهزم حنا الخامس وجنوده وأعلن كنتا كوزينوس نفسه إمبراطورا سنة ١٣٥٣م ولكن وضعه الفعلى كان أعلى من Despot وأقل من إمبراطور .

أما النتيجة الفعلية للصراع فهى استقرار الترك فى أوربا ابتداء من سنة ١٣٥٢ ، استولوا على قلاع Tzampo قرب جاليبولى فى مارس ١٣٥٤ وبعد ذلك احتل سليمان بن أورخان جاليبولى نفسها ولم يكن هناك جدوى من استعفاف كنتا كوزينوس للسلطان أو مناشدته باسم الصداقة أن يحلوا عن الأراضى التى استولى عليها ولم يكن فى استطاعته أيضا دفع مقابل للجلاء عن تلك المدن لحالة بيزنطة آنذاك (٢) ولم يكن هناك أمل فى تخلى العثمانيين عن الأراضى التى ستفتح أمامهم طريق تراقيا ، وبدأ الشعب فى القسطنطينية يشعر بخطر الترك الفعلى وحلوا كنتا كوزينوس مسئولية كل ما حل بهم وبدأ مركز كنتا كوزينوس يصبح غير مستقر ، وأخذ حنا

Camb. Hist. of Islam Vol Ip274 (١)

Ostrogorsky : op. Cit, p 477 (٢)

Camb. Hist. of Islam Vol. I p. 274

ذكر أنهم استولوا على Hraamilion

Hurray o . cit, p ٤٨

الخامس يتقرب من أعدائه السابقين وهم الجنوية فطلب معاونة أحد القراصنة الجنويين ويسمى هراثيسكم ماتوز وهو صاحب سفينتين ، ووعده حنا الخامس بمساعدته لاستعادة عرشه مقابل زواجه من أخته ماريا ومنحه جزيرة اسبوس كهر . وبالفعل في نوفمبر ١٣٥٤ م اتخذ طريقه إلى القسطنطينية وانتصر على حنا ككتا كوزينوس وأجبره على دخول الدير باسم الراهب يوسف وظل به ثلاثين عاما حيث تفرغ لكتابة التاريخ<sup>(١)</sup> . وتلى ذلك هزيمة ابنة ماتوز على يد الصرب وقبض عليه وسلم حنا الخامس واعتلى حنا العرش منفردا<sup>(٢)</sup> عام ١٣٥٧ م ولكن ظلت المودة في يد ابن ككتا كوزينوس مانويل .

#### العلاقة بين بيزنطة والبابوية :

سارت أحوال بيزنطة من سيء إلى أسوأ حتى أن ييلو السفير البندقي في القسطنطينية ذكر أنه أخبر الدوق داندلو ... دوق البندقية في أغسطس سنة ١٤٤٤ م ، أن بيزنطة يهددها الأتراك وأن جنوده مستعدة للخضوع لأي قوة سواء كانت قوة البندقية أو حكام الصرب أو ملك هنغاريا<sup>(٣)</sup> . وفي أبريل سنة ١٣٥٥ نصح السفير مارينو فاليرو الجمهورية بمساعدة الإمبراطورية فإن الوضع اليأس الذي أصبحت فيه الإمبراطورية يجعل من السهل سقوطها في يد الأتراك وأصبح السؤال الذي يثار الآن هل ستسقط الإمبراطورية على يد الأتراك : أم القوى المسيحية ، وبعد وفاة دسان حاكم الصرب القوى لم تعد هناك أي قوة في البلقان يمكن أن تتصدى للترك وكان الأتراك قد استقروا نهائيا في تراقيا .

(١) Greasy « Edwards » Hist. of the Ottoman p. 40

(٢) Runicman ; op. cit, p80

(٣) Runicman : op. cit p. 80

Jorge; Latins et Grecs p 22

وكبحاولة لحماية بيزنطة من الخطر الذي يهددها الجأ الإمبراطور إلى الوسيلة المعتادة وهي فتح باب المفاوضات الخاصة بالاتحاد مع كنيسة روما وهي الورقة التي لعب بها آل باليولوجس بمهارة ولكن كان هناك اختلاف بين الموقف في الماضي والموقف الآن فإثناء حكم ميخائيل الثامن كانت الإمبراطورية مهددة بقرى غربية وكان البابا يستطيع أن يمارس عليها ضغطا قويا أما حنا فكان يواجه أعداء لا يمكن الضغط عليهم إلا بقوة السلاح . فبعد فشل محادثات ليون التي تمت مع روما أهملت فكرة الاتحاد لمدة أربعين عاما ، ولقد سبق أن اتجه أندرونيكوس الثاني أثناء الحرب الأهلية إلى نفس الخطوة وتكررت المحاولة في عهد الإمبراطورة آنا وفي الساعات الحرجة التي أحاطت بحكم كثتا كوزينوس ولكن بدون أي نتيجة محسوسة ومع ذلك سعى حنا الخامس للعمل على تحقيق هذا الاتحاد بإيجاء من أمه الكاثوليكية وفي ١٥ ديسمبر ١٣٥٥م أي في السنة التالية لتولية العرش أرسل خطبا إلى أفنيون يوضح فيه نواياه الطيبة تجاه البابوية وطلب من البابا خمس سفن كبرى و ١٥ سفينة نقل وألف من المشاة وخمسمائة من الفرسان وتعهد في مقابل ذلك أن يجعل شعبه يهتدى إلى العقيدة الكاثوليكية في مدى لا يزيد عن ستة شهر وتعهد بتقديم الضمانات اللازمة للبابوية التي تثبت استعداده لتنفيذ القرار وتعهد بإرسال ثمانى أبنائه مانويل وكان لا يتجاوز الخامسة أو السادسة ليتعلم في البلاط البابوى (١) بل زيادة على ذلك تعهد بأنه إذا لم يستطع تنفيذ وعده أن ينأزل عن العرش لابنه مانويل تلميذ البابا (٢) فإن كان ما يزال صغيرا فإن العرش يؤول للبابا بوصفه أبيه بالتبني ، ومع ذلك فإن انسونت

---

Ostrogorsky : op. cit. p.473 (١).

Runciman : op. cit. p. 80 (٢).

السادس لم يأخذ هذه العروض مأخذ الجدل ، وعلى أى حال فإن إجابة البابا على حنا الخامس لم تحتوى على أى إمشافة لعرضه بخصوص ابنه مانويل بل تجاهل ذلك ولكن أرسل رداً ودياً بشيد بمشاعر الإمبراطور مع رساله واضطر الامبراطور لإخبار البابا بأنه لن يستطيع إجبار شعبه على قبول الاتحاد مالم يكن الرسل مصحوبين بقوات حربية وبحرية ، وإذا لم تكن هناك معاهدة فورية فإن شعبه لن يستجيب لتوجيهاته .

ولقد لقي هذا العرض معارضة شديدة في القسطنطينية (١) وظهر حزب قوى معارض للاتحاد وكان يرأسه البطريرك كالتسوس فقد كانت البطريركة أكثر حرصاً على حقوقها من الإمبراطور ، وإذا كانت الامبراطورية بدأت تفقد معقلاً بعد الآخر فإن الكنيسة البيزنطية استعادت نفوذها السابق وخاصة في روسيا وبين شعوب البلقان وإن كان هناك حزب يؤيد الاتحاد ويمثله رجل البيان ديمتريوس (٢) .

---

Runicman, op cit, p 80 (١)

Ostrogorsky, op cit, p 473 (٢)

Baynes op, cit, p. 44

## الفصل الثامن

### استقرار العثمانيين في البلقان

في هذه الفترة دخل العثمانيون مرحلة جديدة في تاريخهم فقد انتهت مرحلة الغزو الأولى باستقرارهم في أراضي بيزنطة الآسيوية وسيطرتهم على إمارات الغزاة وبدأت مرحلة جديدة متمثلة في غزوم للجانب الأوربي من أراضي بيزنطة وتوغلهم ثم استقرارهم في البلقان وإخضاعهم لإمارات الصرب والبلغار ثم تهديدهم الوجود والكيان البيزنطي متمثلاً في عاصمته القسطنطينية والفضل في هذا يرجع لاثنين من سلاطين العثمانيين وهما مراد الثاني وبايزيد الأول .

ولقد اتجهت أنظار العثمانيين منذ عهد أورخان إلى العاصمة القسطنطينية فظهرت القوات التركية على حدود القسطنطينية في عام ١٣٥٩ م ، ومع ذلك فإن الإمبراطورية المتهللة كانت مستعدة للمقاومة ولم يكن هناك آنذاك خطر مباشر يهددها فأسوار القسطنطينية ما زالت حصينة (١) .

ولكن تراقيا التي عانت من الحروب سقطت مدينة بعد الأخرى وفي عام ١٣٦٧ م سقطت ديموتيسكس ، وفي العام التالي أدرينوبل . وانتصارت السلطان أورخان في الشاطئ الآسيوي والأوربي شجعت غيره من الأتراك على الانضمام إلى الغزاة والاستقرار في الأقاليم المفتوحة وعند وفاة أررخان أصبح الأتراك سادة غرب تراقيا (٢) وسمى العثمانيون لتثبيت نفوذهم على بقية العناصر التركية لضمها وحدة قواتهم وعدم الدخول في صراعات جانبية فأخضع السلطان إمارتي صاروخان

(١) Ostrogorsky : op. cit' p. 473

Baynes : op cit p. 44

Baynes op. cit, p 47 (٢)

وقرأ صيا في الشمال الغربي في نفس الوقت الذي ضعفت فيه قوة كرميان واستطاع السلطان تثبيت حكمه في أفسهر وأقرة وكان العدو الوحيد الباقي له إمارة Aydene التي أغلقت أمامه باب التوسع في الجنوب الغربي أمامه الأوضاع الداخلية للسلطنة وموقفه تجاه البلاد المفتوحة فإن أورخان كان قائداً عظيماً وإدارياً ممتازاً وساعده في ذلك وزيره علاء الدين فاهتم بنشر تعاليم الاسلام فاذا أخذت مدينة بالفتح لم يكن للمسيحيين أى حق تجاه السلطنة ، وخمس السكان كانوا يستعبدون فيرسل الرجال للعمل في الأراضي المفتوحة والأولاد يعدون ليدخلوا في الجيش<sup>(١)</sup> . أما إذا استسلموا يسمح لهم بالاحتفاظ بكنائسهم وشعائرهم وكانت الضرائب التي تفرض عليهم أقل ، والبعض اعتنق الاسلام لينضم للطبقة الحاكمة ، وقد كان من عادة العلماء إقامة مدرسة وجامع في كل مدينة مفتوحة . وفي سنة ٦٧٣ هـ — ١٢٦٣ م توفي أورخان .

### مراد الثاني والصراع الداخلي في القسطنطينية :

حلف مراد أورخان وكان أخاه الأكبر سليمان قد مات قبل وفاة أورخان بشهور . وأم مراد لإغريقية ابنة أحد الأكرانيين ، أما أخاه غير الشقيق إبراهيم فقد نخلص منه مراد بالقتل وهلال بن ثيودورا مات ميتة طبيعية وبذلك آمن ألا ينازعه في العرش منافس . ولقد كان مراد قائداً ممتازاً وسياسياً ماهراً فاهتم بأمر البلقان ولم يوجه نشاطه للاغريق فقط بل ضد اسلاف في الجنوب أيضاً فقد كانت الأحوال في البلقان مضطربة بسبب المشاكل الاقتصادية<sup>(٢)</sup> والصراع الداخلي فاستولى لالاشاهين على

Ostrogorsky op cit. p. 473 (١)

Hearsey op cit p. 223 (٢)

قليوبوليس ووطد مركزه هناك وأصبح يزلزى (حاكم) وجعل السلطان مقره في Didymotichus وفي ١٣٦٥م ثم انتقل إلى إدريناوبل<sup>(١)</sup>، أما السلطان فشغل أول عهده بالشاطيء الآسيوى وبالقضاء على بعض الأمراء الذين أثاروا له المتاعب<sup>(٢)</sup> وقد استغل البيزنطيون هذه الفرصة لاستعادة بعض ممتلكاتهم في تراقيا لكن حين عاد السلطان إلى المنطقة سنة ١٣٦٥م لم يجد صعوبة في استعادتها وأصبحت القسطنطينية وما جاورها معزولة فيما عدا المنطقة المجاورة للبحر ، كذلك جميع ضواحيها الآسيوية أصبحت في أيدي الترك ، ولقد شعرت البندقية وجنوه بالخطر ولكنها لم تتخذ أى خطوة فعلية غير إبداء الرغبة في التحالف الذى لم يتحقق ، وسعت بلغاريا لإنقاذ نفسها عن طريق التسليم للفاحين وشعرت بيزنطة أنها تقف في الميدان منفردة لعدم نجاح التحالف مع روما ونظرت حولها سعيًا لحليف فلم تجد غير الصرب فذهب البطريرك كالستيوس وقابل أرملة دسان للتفاوض ، وفي نفس الوقت سعى للتحالف مع جنوه والبندقية ولم تجد المحادثات مع مدن إيطاليا البحرية. وفي خريف ١٣٦٥ تم إعداد حملة صليبية أعدها ملك قبرص ولكن كانت وجهتها مصر .

وفي ربيع ١٣٦٦ سافر الإمبراطور إلى المجر ليطالب المساعدة ، ولكن لم تجد توسلاته بل أغار المجريون على بعض ممتلكاته ، وأثناء عودته منعه البلغار من العودة إلى القسطنطينية رغم أن ابنه أندرونيكوس كان متزوجاً أميرة بلغارية فإنه لم يفعل إلا بن شيئاً لإنقاذ أبيه ، ولكن تدخل كونت سافوى

---

Runciman : op.cit . p . 89 (١)

Baynes : op. cit p 47 (٢)

Hussey : op. cit, p, 81

greasy . op. cit pg4



قريب الإمبراطور<sup>(١)</sup> وظهر على رأس جيش صليبي في المياه البيزنطية واستطاع استعادة جاليبولي من الترك ثم أجبر اليلغار عن الإفراج عن الإمبراطور وإعادة سيمبريا وسوتربوس وبذلك عاد لبيزنطة وجودها في الشاطئ الشرقي في البحر الأسود .

وكان حاكم سافوى يرى أن حملته جزء من مخطط صليبي يهدف للاتحاد مع كنيسة روما والقيام بعمل مشترك ونصح حنا الخامس بالتوجه لروما للتحالف مع البابوية ولكن قوبل هذا الإجراء بمعارضة كبيرة في القسطنطينية . ورغم ذلك فقد سافر الإمبراطور ١٣٦٩م ووصل إلى روما عن طريق نابولي وكان يصحبه عدد من الأشراف ولم يكن معه أى ممثل ديني فقد عقد رجال الدين في القسطنطينية مجمع ديني أعلنوا فيه الاختلاف بين الكنيستين ورفضوا أن يصحبوه أو يشتركوا معه في المفاوضات بل أرسل البطريرك ييلوسيوس الذى تولى بعد كالستيروس دعاه لنشر المذهب الأرثوذكسى خارج نطاق بيزنطة في سوريا ومصر ، وفي الجنوب بين السلاف في آسيا<sup>(٢)</sup> والمحادثات التى أجراها الإمبراطور ١٣٦٩ اعتبرت كإجراء شخصى ولم تأتى بنتيجة تذكر<sup>(٣)</sup>.

ولم يحدث اتحاد فعلى بين الكنيستين ولم يتلقى الإمبراطور أى مساعدة من الصرب ولكن أثناء عودة الإمبراطور حدث له أمر يوضح مدى ما آل إليه أمر بيزنطة من انحدار ، فقد اتخذ حنا الخامس طريق البحر وكان على الإمبراطور دين لقومون البندقية فقبضوا على الإمبراطور بوصفه دائن

Baynes : op. cit p. 47 (1)

Camb - Hist. of Islam. Vol. I. p. 276

Hearsey : op cit, p. 224. (2)

Ostrogorsky , op. cit, p. 479 (3)

مفلسا للمرة الثانية فإن ابنه أندرونيكوس الذي كان ينوب عنه في القسطنطينية رفض اتخاذ أى إجراء لإنقاذ والده ولكن الأي سارع لإنقاذه مانويل ابنه الأصغر الذي كان يسكن بالرونيكا وأفرج عن والده بعد أن دفع المال وعاد الإمبراطور في أكتوبر سنة ١٣٧١ بعد عامين من الأسر (١).

ورغم أن حنا الخامس فشل في الحصول على مساعدة من الغرب فإن بزنطة استطاعت استعادة بعض أراضيها عفوا بسبب انتصار الأتراك على الصرب . فالصرب الذين كانوا القوة الرئيسية في شبه جزيرة الأناضول انقسموا قسمين بعد موت دوسان في ١٣٥٥ وكانت بلغاريا تخضع لهم بعد هزيمتها في فليزاد في ١٣٣٠ . وكان من الطبيعي أن يصطدموا بالعثمانيين فبعد أن أقام العثمانيون في تراقيا أصبحت مقدونيا الصربية أهم ولاية معرضة لخطر الترك ، فقام الملك Vukosin أقوى حكام الصرب وأخيه حنا أوجلوز الذي كان يحكم الجنوب الشرقي من مقدونيا بالتصدي للعثمانيين بجيش قوى ، ولكن لقوا هزيمة على يد العثمانيين في معركة فاصلة في Gernomon ١٣٧٣ م وهذه النصر جعل أكبر جزء في بلغاريا وهي مقدونيا الصربية يخضع للعثمانيين ، واعترف حكام الصرب بسلطان الأتراك وكان هذا بداية اجتياح الأراضي الجنوبية التي يسيطر عليها السلاف واستغل مانويل ابن الإمبراطور الوضع واستطاع الاستيلاء على بعض أراضي أوجليز ودخل سيواس في نوفمبر ١٣٧٢ . ولقد اضطر مانويل وحكام بزنطة المناخرين لحاجتهم إلى دعم مادي لتجريد الأديرة من نصف ممتلكاتها إلى أن تتحسن الظروف ، ولكن الأراضي رجعت فيما بعد إلى أيدي الأديرة في مقابل ضرائب باهظة.

(١) Ostrogorsky *op. cit.* p. 481

Camb. Med. Hist. Vol 4 p. 691

Halecki, *an Empereur* p62

وبعد عشرون عاماً من أول وجوبه الترك في أوروبا اعترفت كل من  
بيزنطة والبلغار بالسيادة لهم ، وفي ربيع سنة ١٣٧٣ اعترف حنا الخامس  
بسيطرة الترك ودفع جزية سنوية وضريبة وبدأ يمارس واجباته كتابع  
فصاحب السلطان في حملته على آسيا الصغرى وأرسل ابنه مانويل لتقديم  
فروض الولاء في بلاد مراد . ولقد استغل ابنه أندرونيكوس هذه الفرصة  
في غياب أبيه وأخيه وقام بالثورة ضده واتصل بقوات الأمير العثماني  
Sandrie الذي كان قد ثار على أبيه مراد أيضاً . فقام مراد بإخماد الثورة  
وسمل عيني ابنه وأمر حنا بتنفيذ نفس العقوبة على ابنه ، ولكن موت  
الأمير العثماني أنقذ أندرونيكوس من نفس المصير فخفضت العقوبة ولكن  
حرم من حق وراثة العرش ونقل إلى أخاه مانويل (١) .

وفي تلك الفترة نشب صراع بين جنوه والبندقية على Tendes التي  
تعتبر مدخل الدردنيل وكانت كلا الجمهوريتين تسعى للحصول عليها ووعده  
حنا البندقية بها ، وقررت جنوه التدخل لتغيير حكام القسطنطينية لمنع  
أنى فائدة أو امتياز تحصل عليه البندقية فسعت انهريب أندرونيكوس من  
سجنه وقد اتجه بعد هروبه إلى غلطة وأمدته جنوه بجيش لمحاربة حنا الخامس  
والبندقية . وفي ١٢ أغسطس شق أندرونيكوس طريقه إلى القسطنطينية بعد  
حصار دام اثنان وثلاثون يوماً وقبض على أخيه وأبيه وسجنهما وقرر  
أن يمنح جنوه Tenedes ولكن سارع البنادقة بالاستيلاء عليها وكان  
أهلها يؤيدون حنا ، وسعى أندرونيكوس إلى استمالة الأتراك باعطائهم  
جاليبولي التي كان أمير سافوى قد استولى عليها من قبل ، ولكن بمعاونة

(١) Ostrog orsky : op. cit, p. 473.

Baynes : op. cit, p. 47

Camb. Hist. of Islam Vol. I, p. 275

Gillard. op cit p 25

البندقية استطاع حنا الخامس وابنه مانويل استعادة العرش بعد أن ظل أندرونيكوس من ١٣٧٦ — ١٣٧٩ مسيطرأ على الأمور .

تلك الصراعات الداخلية كانت لها دلالات خاصة أهمها أن حكام بيزنطة أصبحوا مجرد أداة في أيدي مدن إيطاليا البحرية وفي أيدي الأتراك فقد زاد اعتماد حنا وابنه مانويل عليهم وبدءوا عهدهم في سنة ١٣٧٩ بدفع الجزية للأتراك وتقديم الخدمة الحربية ومصاحبة الجيش التركي في فتوحه كاتباع<sup>(١)</sup> . بل قد اضطر حنا للاعتراف بابنه أندرونيكوس الرابع الذي ثار عليه وإبنته حنا السابع كورثة شرعيين بناء على رغبة السلطان وأن يمنحهم رdstos وسلبيريا وهراقليا وبانديوس . وأصبحت الإمبراطورية مقسمة كما يلي الأمبرطور حنا الخامس في القسطنطينية وأندرونيكوس الرابع في سلبيريا معتمداً على تأييد العثمانيين وكان في حوزته أيضاً حكم المدن على بحر مرمرة ومانويل يحكم سالونيكاً وثيودور الأول الإبن الثالث للامبراطور يحكم مستريا ، وكان ثيودور الوحيد في آل باليولوجس الذي سعى لاستعادة أملاك بيزنطة في البليونيز من آل كينناكوزيين . فثيودور الأول ١٣٨٢ — ١٤٠٦ بعد اعترافه بسلطان الأتراك كان من حقه التمتع بالدعم ضد أعدائه في الداخل والخارج ضد الاستقراطية المحلية في الداخل واللاتين في الخارج . وبذلك استطاع تثبيت نفوذ بيزنطة في المورة<sup>(٢)</sup> ، ووطن في تلك المناطق الألبان وأصبحت المورة أهم مركز بيزنطى ، بل في وضع أفضل من العاصمة .

وحاول أندرونيكوس القيام بثورة جديدة ، ولكن أنقذت وفاته سنة

---

Baynes , op. cit. p. 47 (١)

Ostrogorsky , op. cit. p. 486 (٢)

Camb. Hist. of Islam Vol. I. p. 276.

١٣٨٥ البلاد من الاضطراب وعاد مانويل الوريث الشرعى ثانياً . ولكن لم تستقر الأمور في بيزنطة فقد استولى العثمانيون على فلادلفيا آخر إمارة بيزنطية في آسيا ، وهى جزء من إمارة طرايزون وقد أثار هذا الحدث الغرب وتماثلت أصوات بحملة صليبية ، ولكن لم تخرج إلى حين التنفيذ القوة الوحيدة التى واجهت العثمانيين هم الاسبتار فى رودس ولكن كان عدوهم الأساسى أمير Aydien العثمان .

معركة كوسفو :

انتقل بعد ذلك مراد إلى ميدان البلقان ثانية وكان الصرب قد تم الإطاحة بهم وهزيمتهم وأصبح أكبر جزء من بلغاريا ومقدونيا الصربية فى أيدي مراد وكذلك اعترف ملك البلغار شيشمن بمراد كسيد أعلى له ، وأرسل ابنته سمارة كزوجة فى حريم السلطان ، ولكن طرأ على الموقف تغير بسبب تغير القيادة فى الصرب والحاكم الذى خلف داسان فى مملكة الصرب الشمالية لاذار استطاع توحيد المملكة عن طريق الزواج والتحالف ضد الترك (١) . ولقد عادت علاقهم طيبة بيزنطة بعد رفع قرأو الحظر ضد كنيستها ، ولقد تحالف لذار مع Tvrtko حاكم البوسنا ، ونتيجة لذلك تقدم الأتراك فاستولوا على سيرا سنة ١٣٨٣ وصوفيا سنة ١٣٨٥ ونيس سنة ١٣٨٦ وسالونيك فى سنة ١٣٨٧ بمدحصار طويل ، ولكن القوة التركية التى اجتاحت بوسنيا فى سنة ١٣٨٨ هزمت . فى حين قرر مراد أن يتجه لمناطق السلاف الجنوبية (٢) ، وأول ماواجههم

(١) Hussey, op. cit p. 81.

Rudicman , op. elt. p: 84,

(٢) الغزو الترك أخذ ثلاثة طرق رئيسية فى البلقان فى الوسط اتخذوا طريق وادى Matitza ووصلوا لأسفل نال البلقان ومنها إلى صوفيا ونيس ، وفى الجانب الأيمن الطريق إلى وادى Tundya وفى اليسار طريق سراس .

Camb. Hist, Islam Vol, 1 p, 277

أمير البلغار الذي كان يعينه لآذار ويحرضه ضد الأتراك وقد رفض تقديم الخدمة الحربية وانقطع العثمانيون في بلغاريا الشرقية في سنة ١٣٨٨ . فأخذوا أولاً ترنوفو وعدة قلاع على الدانوب ، وأجبر البلغار على الخضوع وحاصروا سلسترا ، وبعد ذلك تحولوا إلى الصرب وتقابل لآذار والصربيون والبوسنيون مع مراد في سهل كوسفو في المعركة التي قررت مصير البلقان في يونيو ١٣٨٩ وكان الحظ في البداية مع الصرب فقد استطاع أحد الصرب الدخول إلى خيمة السلطان بدعوى أنه يمرض عليه . بعض الطلبات الخاصة بالمسيحيين ثم طعنه بدمية ، ولم يغير قلبه من الموقف كثيراً فولداه كانا مع الجيش وابنه الأكبر بيلازيد تولى القيادة فوراً وأخفى خبر وفاة أبيه إلى نهاية المعركة ، ولكن تسربت أنباء وفاته للجيش فسارع الجناح الشمالي للأتراك بالفرار ووصلت أنباء تلك الانتصارات للملك Tvrtko ملك بوسنا . ولكن تحت قيادة السلطان الجديد بايزيد انتصر العثمانيون وأخذ لآذار أسيراً وقتل مع نبلائه في نفس الخيمة التي قتل فيها مراد ، وخضع حلفاؤه للفاتحين ووعدوا بدفع جزية وتقديم الخدمة الحربية وبذلك انتشر الترك في البلقان (١) .

## حصار القسطنطينية الأول

### بايزيد وحصار القسطنطينية الأول :

تولى بايزيد عرش الدولة العثمانية خلفاً لمراد . وأم بايزيد جارية أغريقية ، ولقد اشتهر بحدة الطبع والقسوة واتسمت تصرفاته بالاندفاع وكان يطلق عليه بالدرهم أى « صاعقة الرعد » وبدأ عهده بداية لامعة

فنصر كوسفو جدله سيد البلقار وتبع ذلك اجتياحه لمساحات أخرى . أما الحرب فقد نجح ابن لذار في أن يلى عرش الحرب ولكن حمل لقب Despot فقط وكتابع للسلطان الذى تزوج أخت زوجته ماريا ، ولم يكن أمر ملكة البلغار في ترنوفو أفضل حالاً فى سنة ١٣٩٣ قضى عليها بايزيد ، وتقدم جيشه في البلغار سنة ١٣٩٤ هـ وأجبر أمراء المنطقة على الخضوع له .

أما النسبة للقسطنطينية فقد زاد نفوذ السلطان وتدخل في أمورها الداخلية . وأعان بايزيد حنا السابع بن أة رونيكوس على أن يغتصب العرش في ١٢ أبريل سنة ١٣٩٠ ووجد المعتصب حليفاً في جنوة ، ولكن جنوة والبندية لم يعودا في وضع يسمح لهما بلمس نفس الدور القيادى الذى كان لهما أيام ثورة أندرونيكوس الرابع فالصراع على تينيدوس أضاعها وأصبح تأثيرها غير ذى موضوع ولذلك أصبح السلطان التركى هو القوة الحقيقية القادرة على التدخل (١)

ولكن حنا السابع لم يستمر طويلاً كحاكم فقد استطاع مانويل الحرب إلى ليمونز ، وبعد محاولتين غير ناجحتين ، استطاع في سبتمبر سنة ١٣٩٠ طرد عدوه واستعادة عرش أبيه وعاد حنا إلى عرشه ولكن بلا سلطات فعلية ، فالسلطة الحقيقية في يد الأتراك وأصبحت سيطرة الأتراك أمراً معترفاً به . وأجبر مانويل على أن يصحب الإمبراطور في جميع غزواته لا تلك التى تم اجم أراضي سلجوقية فقط (٢) . بل أجبر على الاشتراك

Baynes : op cit. p 81 (١)

Charanis, Palaeologian Ottoman p364

(٢) أخضع بايزيد جميع إمارات الغزاة في غرب الأناضول كابدين وساروجان وبنشاش وبقانا بيت حيد وأجبر أمير كرمان ٧٥٣ - ١٢٩١ على طلب الملج ، والإمارة الوحيدة التى صمدت هى التى تنسب برهان الدين حاكم سيواس .

Camb, Hist of Islam, Vol. 1, p. 27.

في محاصرة فلادلفيا آخر معقل بيزنطى في آسيا .  
ولكن بايزيد تمادى في استخفافه بابيزنطيين فأمر الإمبراطور حنا  
بهدم التحصينات التى أقامها حول القسطنطينية للدفاع عنها جند أى خطر  
ولكن حنا رفض الاستجابة لهذا الأمر وأنقذه الموت من هذا الموقف  
الخرج إذ توفى في ١٦ فبراير سنة ١٣٩١ بعد حياة من المهانة (١) .  
وكان ابنه مانويل في بروسيا فسارع إلى القسطنطينية لتأمين عرشه خوفاً  
من قريه الطموح حنا السابع .

ومانويل يعتبر أحد معالم التاريخ البيزنطى الإنسانية الأخيرة ورغم أنه  
حكم بيزنطة في فترة من أسوأ فترات تاريخها ورغم وضعه كتاب للاثراك  
فإنه حظى باحترام الجميع حتى الاتراك فقال عنه السلطان بايزيد أن أى  
شخص لا يعلم حقيقة أنه إمبراطور فإنه يستطيع استنتاج هذا من  
مظهره (٢) ، وكان واضحاً أن أيام الإمبراطورية معدومة فلم يعد لبيزنطة  
في المورة إلا عاصمتها ولم يكن بايزيد بالحاكم الذى يقنع بالسيطرة الاسمية  
بل سعى إلى الاستيلاء على العاصمة الإمبراطورية ذاتها وضمها إلى الأراضى  
العثمانية ، وأعلن ذلك صراحة في مقابلة مع أتباعه السلاف والبيزنطيين  
في بروسيا ١٣٩٣ — ١٣٩٤ واعتبر بايزيد القسطنطينية مدينة محاصرة .  
ولكن قبل القيام بالحصار الفعلى قام بايزيد بإخضاع كل القرى الموجودة  
في البلقان حتى لا تمد إحداها يد المساعدة الفعلية للقسطنطينية . وكانت  
أحوال الإمبراطورية قد ساءت نتيجة نقص الإمدادات فيها وخاصة  
بعد اجتياح الترك للمورة .

(١) Ostrogorsky, op cit, p. 87

Dogler, johannes VII p28

Ostrogorsky, op cit, p. 487 (٢)

Grousset. L'empire de steppes p 486

Camb. Med Hist, Vol. 4. p. 692

Charant- op. cit 304



وفي عام ١٣٩٢ استولى القائد التركي أفرينوز بك على تساليا ثم اتجه  
العثمانيون إلى بعض بلاد الإغريق التي كانت تسيطر عليها نغارا في ١٣٧٩  
فغزوها ثم اتجهوا إلى أنيكا وكان يسيطر عليها دوق أثينا نيرو (١٣٨٨ —  
١٣٩٤) وهو أصلاً من عائلة تشتغل بالتجارة في فلورنسا ، وكانت  
هناك صداقة وصلة مصاهرة بينه وبين ثيودور باليولوجس وكان كلاهما على  
خلاف مع البندقية ولكن ما لبث أن توفي نيرو وخلفه كاولوتوكو الذي  
استنجد بالعثمانيين فسانده جيش أفرينوز بك وانضمت إليهم نافارا التي كانت  
على عداوة مع حاكم ميسترا البيزنطي وهزموا ثيودور عند أسوار كورنثة  
واستولى العثمانيون على Akove Leontarion وانتشرت الفتوح العثمانية في شمال  
البلقان ، وكانت بلغاريا قد خضعت في ١٣٩٣ للعثمانيين واستمروا في  
سيطرتهم عليها خمساًة عام ، وكذلك استولوا على Debrudgia ، والانتصار  
العثماني الأخير له نتائج هامة فمعنى احتلال بلغاريا أن المجر وإمارات اللاتين  
في بلاد الإغريق أصبحت مهددة فاستنجد سيجسموند ملك المجر بالغرب  
واقبلت دعوته استجابة وانضم إلى حاكم المجر عدد من الفرسان من الدول  
الأوربية خاصة من فرنسا وبعد تردد اشتركت البندقية وأعدت أسطولا  
صغيراً في الدردنيل لتفتيش المضيق ولجعل خط الإمدادات متصلاً مع  
القوات الموجودة في المجر ، ولكن تلك الجيوش هزمت في معركة  
نيقوبوليس في ٢٥ سبتمبر ١٣٩٤ بسبب الجفاء بين الفرنسيين والمجر ، وهرب  
سيجسموند . وهزيمة أصبحت الوضع في البلقان أكثر سوءاً وأصبح  
الطريق مهدداً أمام الترك<sup>(٢)</sup> . وكانت إمارات فيدن البلغارية قد استطاعت  
النجاة من أيدي العثمانيين سنة ١٣٩٣ فاستولوا عليها هذه المرة سنة ١٣٩٧

Camb, Hist, of, Islam Vol 1 p, 285 (١)

Setton, Catalab Domination of Athens p125

Rosetti, The Battle of Nicopolis p619 (٢)

ثم احتلوا أثينا وعبروا أسبوس واجتاحوا أرجوس وانتصروا على قوات بيزنطة هناك . ثم اجتاحوا الشاطئ الجنوبي وكان ذلك إيذاناً بأذن القسطنطينية قد جاء دورها بعد القضاء على كل العناصر المساوئة أو التي باستطاعتها أن تمد يد المساعدة للقسطنطينية وكانت المدينة تمر بفترة ضعف في السنوات العشر الأخيرة .

إلى جانب أن بيزنطة فقدت كثيراً من تأثيرها وهيبتها بعد معركة نيقربوليس ولقد طلب مانويل الثاني المساعدة من روسيا ومن دوق البندقية وملك فرنسا وإنجلترا ، في نفس الوقت الذي كان حنا السابع منافسه يتفاوض في فرنسا لبيع حقه في العرش لملك فرنسا مقابل قصر هناك ودخل مائتان وخمسين ألف فلورين ولكن شارل ملك فرنسا لم ينظر لهذا العرض باعتبارها محاولة جديدة ، ولكنه استجاب لطلب مانويل وأرسل فرقة من ألف ومائتان رجل تحت قيادة المارشال Boucicaut الذي سعى لشق طريقه إلى القسطنطينية ولكن كان واضحاً أن القوة صغيرة . ولن نستطيع انقاذ القسطنطينية<sup>(١)</sup> . وقرر الإمبراطور الذهاب إلى الغرب لطلب المساعدة وتدخل بوكيكر للصالح بين الإمبراطورين البيزنطينين المتنازعين حنا السابع ومانويل ، وتقرر أن يحكم حنا السابع كإمبراطور في القسطنطينية في غياب مانويل ومنع ذلك فإن مانويل لم يكن يأمن له فارسل أسرته عند أخيه في المورة ، وذهب في رحلة لطلب المساعدة من الغرب فزار البندقية وعدداً من المدن الإيطالية ثم ذهب إلى باريس ومنها إلى لندن وكان ظهوره في ذلك الوضع له تأثير كبير في نفوس عدد من مفكرى الغرب الذي عبر أحدهم عنه بقوله ، إنها كانت أميرة على الأمم وملكة على العالم ثم استعبدت ،<sup>(٢)</sup> ولم تحقق الرحلة نتائج إيجابية إلا بعض الوعود .

(١) Ostrogorsky ; op cit. p. 493

(٢) يقصد ما آل إليه حال بيزنطة وما كانت عليه سابقاً

التي لم تتحقق، فرحل الإمبراطور إلى باريس ثانية وأقام عامين إلى أن وصلته  
أخبار هزيمة السلطان على يد المغول .

ففي ربيع ١٤٠٢ أرسل بايزيد رسالة إلى الإمبراطور يطلب منه تسليم  
المدينة واتباعها بالاستيلاء على الشاطئ الآسيوي وعلى شريط ضيق من  
البحر (١) ولقد رد الإمبراطور حنا السابع على رسالة السلطان برسالة  
يقول فيها : قل لسيدك أننا ضعفاء ولكن نؤمن بالله الذي سيحطنا بأقرباء  
ومن الممكن أن يستقطبهم من عروشهم واجعل سيدك يفعل ما يريد . (٢)

#### العثمانيون والمغول : معركة أنقرة :

ولكن أنقد بينظمة تاهور قوة جديدة على مسرح الأحداث وتتمثل  
في التتار وقائدهم تيمورلنك وهو تركي الأصل من فرع جنكيزخان ويهتبر  
أهم حاكم مغولي منذ عهد جنكيزخان (٣) ، ولقد ولد في تركستان ١٣٣٦  
وكون إمبراطورية تمتد حدودها من الصين والبنغال إلى شواطئ البحر  
المتوسط ولكنه كان يفتقد المهارة والمقدرة لتنظيم الفتوح ورغم أنه فاق  
جنكيزخان في المقدرة الحربية والوحشية . وكان يكره أن تكون هناك  
قوة تركية أقوى منه أو منافسة له ولخوفه على إماراته الغريبة اتجه  
إلى العثمانيين .

وفي سنة ١٣٦٨ تقدم في شرق أناتوليا وهزم جيشا لأمرأه الأناطوليك  
في أرزنجان ولكنه تراجع وإن كان قد هدد بالعودة ثانية ، وفي سنة ١٣٩٣

Hearsey, op. cit, 232 (1)

Grousset : op. cit p486 Outogorsky ; op' cit, p, 498 (٢)

(٣) ابن حجر : أنباء الفرج ١ ص ٣٨٥

ظهر تيمور مرة ثانية في سيواس<sup>(١)</sup> وأجرى مذبحه هناك وقتل ابن بايزيد الذي كان يحكم الولاية ولكن أنقذ العثمانيين اتجهوا التتار إلى حلب ودمشق وظن السلطان أن المشكلة انتهت ولكن الحقيقة أن تيمور كان ينوي العوده ثانية<sup>(٢)</sup>. فأتاه حصار بايزيد للقسطنطينية وصلت رسالة من تيمور يأمره بإعادة جميع أراضي بينقطة التي سبق له الاستيلاء عليها ورفع الحصار ونقل جيشه إلى أناتوليا ، ثم وصل تيمور فجأة إلى سيواس وحدثت المعركة الفاصلة في أنقرة ٢٥ يوليو ١٤٠٢ ونسب جهل بايزيد في وضع نفسه في مركز سيء من الناحية التكتيكية ، وكان جنوده لا يميلون إليه بسبب شحه وبخله وسقط بايزيد وابنه في الأسر وهرب معظم الجيش التركي وترك لمصيره ، وكان الجيش الوحيد الذي ثبت في المعركة هو جيش الصرب الذي قاده ستيفن لاذار وأمكنه إنقاذ ابن بايزيد الأكبر سليمان. أما أخوه مصطفى فاختر في المعركة ولم يعرف مصيره . وفلول الجيش التركي الذين بقوا على قيد الحياة ذهبوا إلى أندلوهيسار ، وتقدم تيمور خلال غرب أناتوليا بجناحها مدنها وخاصة بروسا العاصمة القديمة للعثمانيين .

ولقد عامل تيمور بايزيد بوحشية وقسوة إذ وضعه في قفص من الذهب وحمله معه ، ولقد انتحر بايزيد في الأسر في مارس ١٤٠٣ . وترك تيمور أناتوليا ورجع إلى عاصمته سمرقند حيث مات عام ١٤٠٥ في الوقت الذي كان يعد العدة لفتح الصين<sup>(٣)</sup> ، ورغم أن تدخله في آسيا كان لفترة قصيرة فإن نتائجه

(١) يذكر ابن لباس ج ١ ص ٣٢٦ أن جالين تمرنك قد وصل إلى سيواس وأنت ابن تيمورنك في الجالين وسه مسكر عظيمة وأنت ابن هناك والثاني أحد بن أوبس وقرأ يوسف توجهوا إلى مدينة برسا وحركو بلادهم من خوفهم من تمرنك .

(٢) Runicman, op. cit., p.55

(٣) كان هدف بايزيد إقامة إمبراطورية قوية لها إدارة منظمة فأقام أسطول في جاليبولي وسيطر على Hellespont ونجدى الهند في البحر ، وكان يريد الاستيلاء على القسطنطينية جعلها عاصمة لمملكته .

كانت هامة فقد حطم قوة العثمانيون وأكد وجود بيزنطة وحماها من الانهيار لمدة نصف قرن<sup>(١)</sup>، ورغم وجود ارتباك حقيقى فى شئون العثمانيين فلم تستغله بيزنطة إذ أصبحت فى حالة من الضعف لا تجعلها قادرة حتى على استغلال فترة السلام فى إعادة بناء نفسها إلى جانب أن هناك مئات الآلاف من الأتراك ما زالوا فى أوروبا ، وكانت من الصعب طردهم ، وأغرب ما فى الأمر أن الفتح التيمورى أضاف لقوتهم فى أوروبا لأن العائلات التركية هربت قبل وصول جيوش تيمور إلى المناطق الأوروبية وقد استفادت جنوه من تقديم الخدمات لهم وجنت ربحاً وفيراً ، ولقد ذكر المؤرخ دوكاس أنه كان فى أوروبا أتراك أكثر مما كان فى الأناضول<sup>(٢)</sup> .

#### بيزنطة عقب معركة أنقرة :

تغير مقيامن القوى فى الشرق جعل بيزنطة تنعم بفترة راحة وخاصة لنشوب الصراع بين أبناء بايزيد فأكبر أبناء بايزيد سليمان الذى كان على الجزء الأوروبى دخل فى صراع مع أخيه حاكم آسيا الصغرى ، ولقد انضم مانويل إلى جانب سليمان فى صراعه وقد وعده سليمان بمنحه سالونيك وعدة مدن فى آسيا بعضها لم يكن يسيطر عليها سيطرة فعلية وأرسل أخاه الأصغر قاسم كرهينه إلى القسطنطينية وفى المقابل أعطيت له كزوجة قريبة الإمبراطور ابنة تيودور حاكم المورة . ولقد تحررت بيزنطة من دفع الجزية للترك . كذلك عقد سليمان اتفاقية فى ١٤٠٣ مع حاكم الصرب

---

Can b. Hist. of Islam Vol. I. p. 279 (1)

Hus ey ; op. cit. p. 82 (2)

Runicman, op. cit. p. 46

(٣) كانت المملكة العثمانية مقسمة كابل : سليمان فى أردانة ، محمد فى أناسيا ، وعيسى فى بروسيا ، ولقد تخلصت أملاك العثمانيون إلى ما كانت عليه أيام مراد الإبن ، وأصبحت أدونة عاصمة الدولة الأكثر أهمية

سقيفان Lazarevi والمدن البحرية البندقية وجتوه ورودرس . ولكن في ١٤١٩ هزم سليمان على يد أخيه موسى وقتل أثناء محاولته الهرب للقسطنطينية ، وبدأ موسى الانتقام من حلفاء سليمان وحاصر القسطنطينية وهاجم الصرب التي دعمت أخاه واستعاد سالونيك التي كان يتولى حمايتها أورخان الذي قبض عليه وسمت عيناه

ولكن الأخ الأصغر محمد الذي كان يسيطر على الأمور في الأناضول ثار على أخيه وانضم إليه مانويل وقائد الصرب سقيفان Lazarevi والحكام الأتراك الذين كرموا وحشية موسى . هزم محمد الأول أخاه وذبحه في ١٤١٣ ، وتوج سلطانا ولقبه Cuelbi أي (السيد المذهب) ، وكان جندياً ممتازاً وفي نفس الوقت كان رجل سلام وكرم وقته وجهده لتثبيت حكمه ومد نفوذه في آسيا الصغرى ، وأبدى تفهما لموقف بيزنطة وظلت العلاقة طيبة بين الطرفين ، وأعاد السلطان المدن التي استولى عليها موسى لمانويل وأمهيا سالونيك (١) . وثقة مانويل من صداقة السلطان أصبح من الممكن له أن يقضى ربيع سنة ١٤١٥ في البلبونيز ولقد أقام الإمبراطور سوراً طويلاً قوياً عبر Isthmus في كورنثه أطلق عليه Mexallion وزيارة مانويل للبلبونيز كان لها تأثير كبير في شئون القطار الداخلية فظهوره كبح جماح الأمراء المحليين وأكد سلطة الدولة ، واستطاع حنا بن الإمبراطور مانويل وأخوه ثيودور الثاني قيادة حملة ناجحة ضد اللاتين في آسيا وفقد سنتوريون زكريا معظم أراضيه وتدخل البندقية فقط هو الذي منع سقوطها في أيدي البيزنطيين . واضطر الدوق إلى الدخول في حرب مع جنوه سنة ١٤١٦ ومع المجر في سنة ١٤١٩ . أما محمد فأخضع الثورة التي قام بها أخوه مصطفى ، ولكنه توفي في ١٤٢١ . وخلفه ابنه مراد

Ostrogorsky, op. cit. p. 496 (1)

Blanchet. Les dernières monnaies d'or empereurs byzantins pl 4

( ١٤٢١ - ١٤٥١ ) وبتوليته انتهت فترة السلم التي نعمت بها بيزنطة مع العثمانيين (١).

#### حصار القسطنطينية الثاني :

انبع السلطان الجديد السياسة التوسعية لبايزيد والوضع كان أشبه بالوضع قبل معركة أنقرة وإن كانت بيزنطة قد تسببت في انتهاجه هذا الموقف منها .

في البداية سعى مراد الثاني لأن يستمد الدعم من القسطنطينية فأرسل لماثيول يذكره بصدافته لوالده ويطلب تأييده . واقد رحب ماثيول بذلك ؛ ولكنه كان قد تقدم في العمر وكان يتحكم فيه ابنه حنا الثامن الذي أوج كإمبراطور مشارك ١٤٢١ : (٢) ويدعم من سناتوا البندقية وأى البيزنطيون أنه من الممكن أن يستفيدوا من الخلافات في الدولة العثمانية (٣) فطلبوا من السلطان اثنين من إحقوته كرهينة فوافق ولكن البيزنطيين نسكثوا عهدهم وانضموا إلى جانب المدعى مصطفى مقابل وعود في حالة نجاحه ، ولكن محاولته انتهت بالفشل . ونتيجة لذلك حاصر السلطان القسطنطينية في ٨ يونيو ١٤٢٢ (٤) ولم ينقذ القسطنطينية إلا دفاعها الحصين ولم يكن لدى مراد آلات حصار كافية ، وفي نفس الوقت الذي نار عليه أخ آخر له فترك أمر حصار القسطنطينية بلا حسم إلى الوقت المناسب ورغم أن

(1) Ostrogorsky : op. cit. p. 499

(2) Runciman : op. cit. p. 4 - 5

(٣) كان محمد الأول قد انصرف إلى الاهتمام بالأمر الداخلية فنبت تقاليد القزاة وأقام دولة على أساس النظام الإسلامي في الحكم واعتمد على غلمانه الأوفاء الذين بلغ تعدادهم سبع آلاف في إدارة الولايات .

Camb.Hist. of Islam vol . I , p. 280

(٤) جيون : اسمعلال الإمبراطورية الرومانية ج ٣ ص ٢٧٧ .

سقوط بيزنطة الفعلي حدث بعد ثلاثين عاماً فإن هذا يعتبر بداية النهاية .  
وفي ربيع ١٤٢٣ اندفع الأتراك في جنوب بلاد الإغريق ، وحطموا  
السور الذي بناه الإمبراطور في كورنث ونجح الحكام الإمبراطوريون  
في عقد معاهدة مع مراد الثاني في ١٤٢٤ وافقت فيها بيزنطة على دفع جزية  
وتسليم عدة مدن للعثمانيين من التي حصلت عليها بعد معركة أنقرة . واتجه  
مراد بعد ذلك إلى سالونيك وكانت الأوضاع الداخلية مضطربة حتى  
اضطر حاكمها أندرونيكوس ابن مانويل لتسليمها للبنادقة في صيف ١٤٢٣ م  
في مقابل احترام شعائر أهل المدينة والدفاع عنهم وإمدادها بالموثون ،  
وأدى هذا إلى إثارة غضب السلطان العثماني الذي كان يعتبر المدينة تابعة له  
وحاول البنادقة التفاهم معه وكانت عروضهم في كل مرة تزداد سخاء نتيجة  
لازدياد الضغط التركي على أسوار المدينة وقلة الموثون فعرضوا مبلغ مائة ألف  
لإسبار Aspar ، التي كان يدفعها الحاكم اليوناني ، ثم عرضوا مائة وخمسين  
ألف إلى أن وصلوا ثلاثمائة ألف ، ولكن رفض السلطان جميع العروض .  
وبعد هجوم خاضف استولى عليها مراد الثاني في مارس سنة ١٤٣٠ ،  
وفي نفس العام صد هجوم لملك المجر وبولندا ودخل إبيروس .  
وفي ١٤٢٥ مات مانويل بعد أن دخل الدير تحت اسم الراهب ماتيوز .

#### التحالف الأوربي والبابوية :

تولى حنا الثامن عرش القسطنطينية كابسيلوس أو أنيكراتور  
للرومان أما مقاطعات البحر الأسود والبليونيز والتي تمثل جزء هام من

---

(١) وعد مصطنع يمنحه جاليبولي ولقد اشتهر مصطنق بلقب Dumeze  
(٢) واجه مراد مشاكل من أمراء كرميان الذين دعموا أخاً أصغر له يسمى مصطنق أيضاً  
وحاولوا إقامته سلطاناً .



الإمبراطورية البيزنطية فقد حكمها أخوته كحكام مستقلين .

أما شبه جزيرة الأناضول فإن جورج برنكوفيتش خلف عمه ستيفن لآذار في حكم الصرب سنة ١٤٢٧ وأصبح تابعا للسلطان وأجبر على نقض تحالفه مع المجر وطلب منه السلطان مراد أن يزوجه ابنته Mara ولكنه تأخر في الرد فاجتاحت الجيوش التركية أراضيها وحطمت قلعة سمندريا على الدانوب واتجه بعد ذلك لحصار بلغراد ولكن دفاعها كان قويا فأجبره على التراجع

وهذا النصر شجع عدداً من أمراء الغرب ، وفي مجمع فلورنسا بدأت البابوية في تنظيم حملة صليبية ، ولقد رحب الملك لاسلاس ملك الصرب والقائد الألباني المعروف باسم أسكندر بك<sup>(١)</sup> بالانضمام إليها وهذا التحالف كان تحت قيادة حنا كورفنيوس Hunaide حيث انضموا إلى الحملة الصليبية في أكتوبر سنة ١٤٤٣ في سمندريا عبر الدانوب وعبرت الحملة أراضي الصرب وكان هينادي يقود المقدمة واستطاع تحقيق نصر حاسم على قائد روميليا التركي في المرتفعات المجاورة لينس ودخل الصليبيون بلا مقاومة في بلغاريا وأخذوا صوفيا وعبروا إلى تراقيا واضطر الجيش الصليبي إلى التراجع بسبب البرد غير المحتمل ، وأثناء عودتهم قاتلوا العثمانيين في جبال Kanavica وهزمهم ثانية في بداية سنة ١٤٤٤ وبدأ كان المد تغير وأجبر الجيش العثماني على اتخاذ موقف الدفاع أكثر من مرة ، ففي ألبانيا حدثت اضطرابات عنيفة وبدأت شعارات المطالبة بالحرية تتردد تحت قيادة أسكندر بك الذي دخل في حرب مريرة ضد العثمانيين<sup>(٢)</sup> .

(١) اسمه الحقيقي Castviate Goerge

Cegaj : l'Aubaine et l'invasion Turque XI.

Hussey op cit p ٥١ (2)

وفي جنوب اليونان كان الأمير قسطنطين يسيطر على أهم أجواء المورة ابتداء من سنة ١٤٤٣ وكان أول أعماله إعادة بناء هيكسميلون عبر اسمبوس الذي سبق أن خربه الأتراك واندفع في قلب بلاد الإغريق داخل أثينا وطيبة ، والدوق نيرو الثاني Acciajeoli الذي كان تابعا لتركيا اعترف بسيطرة حاكم مستريا ووعد بدفع الجزية له .

هذه التغيرات دفعت مراد الثاني للتفاوض مع معارضيه ، وفي يونيو سنة ١٤٤٤ قابل السلطان سفراء الملك فلاد سلاف وجورج برنكوفتش وهينادي في أدريا نوبل وعقد صلحا لمدة عشر سنوات وكانت شروطه تنص على تسليم حكام الصرب أراضيهم وإنهاء سيطرة العثمانيين على الاشيا ، ولقد ارتبط السلطان بشروط الصلح ودخل إلى آسيا الصغرى . في حين سافر سفراؤه إلى المجر لكي يحصلوا على تصديق فلاد سلاف ، ونص الاتفاق على الحد من قوة الترك في البلقان وبذلك تمتع المسيحيون بفترة سلام لمدة عشر سنوات . وسمى مراد أثناءها إلى اعتزال العرش والتفرغ للحياة التي يتوق إليها <sup>(١)</sup> .

ولكن سرطان ما بلغته أنباء إعداد حملة جديدة فتراجع في رأيه فالبابوية لم تكن تشعر بالارتياح لتلك النتيجة فالبندية أوحث لها بأنه من الممكن هزيمة الأتراك والقضاء عليهم نهائيا . والكردينال جوليان قيصراني حث ملك المجر الشاب من قسمة الذي سبق أن أخذه عليه مراد وأعلن أن أي قسم للأعداء يحق التحلل منه ، ولكن القوات التي انضمت إليهم كانت محدودة العدد فقد رفض عدد كبير من الأمراء الاشتراك معهم ،

---

Ostrogorsky : op cit p. 501 (1)  
Camb Hist of Islam vol Ip- 283  
Camb: Med Hist vol 4. p 699  
Hajeci, The Crusade of Varna p87

مثل حنا الثامن وجورج برانكوفيتش الذى طرد قواتهم ومنع اسكندر بك من الاتصال بحلفائه وعلى أمل أن تصل قوات بحرية من البندقية قام الصليبيون بالإبحار في اتجاه البحر الأسود ، وبعد رحلة شاقة خلال أراضي بلغاريا التقى الجيشان في فرنا Verna وحدثت معركة دموية في نوفمبر سنة ١٤٤٤ حطمت الجيش الصليبي وقتل الملك فلاد سلاف والكردينال قيصرياني ، فكانت هذه آخر محاولة للمسيحيين لوقف التوسع التركي .

ورغم أن إمبراطور القسطنطينية أرسل يهنئ السلطان المنتصر بأطيب تمنياته ، فإن قسطنطين حاكم جنوب اليونان أعد حملة لينتقم لهزيمة فارانا ومد نفوذه وسيطرته إلى بانونيا وفوكيس وبنوس وبدأ كان اليونان نهضت من جديد وبمشت الهلينية ، ولكن لم يستمر هذا طويلا ففي سنة ١٤٤٦ اجتاح مراد بلاد الإغريق وجعل حكام بيزنطة أول خطوطهم عند الهكسمليون . ولكن دمرها الأتراك وحطموا أسوارها ثم دمروا المدن والقرى اليونانية وأخذوا أكثر من ستين ألف أسير وتعهد الحكام البيزنطيين بدفع جزية كبيرة مقابل شروط الصلح (١) .

واعتزل مراد العرش وتركه لابنه محمد الذى كان في الثانية عشرة آنذاك وعاد إلى Manisa يقضى أيامه في عزلة ، ولكن الجيش والوزراء لم يرضوا عن الحاكم الجديد فالاضطرابات ما زالت قائمة على الحدود الأوربية وكان الرأي العام يطالب بعودة مراد ثانية ، وخاصة أن اسكندر بك في ألبانيا قد هزم الجيوش التركية التي أرسلت إليه . فعاد مراد إلى عرشه . وفي سنة ١٤٤٦ أرسل مراد جيشا إلى المليونيز بالمروة وفي

Hearsey op. cit. p. 230 (1)

Halecki, op. cit p67

معركة kosovo في أكتوبر سنة ١٤٤٨ تقرر مصير الصرب فاضطرت للخضوع بعد معركة شرسة قوية وقبض على اسكندر بك فيما بعد في ألبانيا التي كان متحصنا بها لسنوات ، وبذلك لم تعد هناك قوة قادرة على مساعدة القسطنطينية في محتها (١) .

وكذلك نجح مراد في الأناضول مع القوى التركية فأخضع Aydin وكرميان واعترف أمير ستوب وأناطوليا بسلطان العثمانيين وكذلك حاكم طرابزون الذي لم يكن له أي سلطة فعلية كزميله حاكم القسطنطينية .

كانت آخر أعمال مراد لإصلاح النظام الحربي فبعد أن كانت الانكشارية من الأطفال الذين استرقوا أجبر عائلات السلاف والإغريق والأرمن والولاش على أن يسلموا للسلطان ولداً ذكر أو أولادهم يعتنق الإسلام ويدخلوه المدارس ، وكانوا ينقسمون قسمين البعض من ذوي النوايا كانوا يستغلون كإداريين في مؤسسات الدولة ، أما الغالبية فكانوا جنوداً وفرساناً للسلطان وكانوا يمنعون من الزواج وتكرس حياتهم للجيش ، ومات مراد في سنة ١٤٥١ في أدريناو بل (٢) .

### الاتحاد بين الكنيستين

حاول حنا الثامن تحت ضغط الترك فتح باب المفاوضات مع الغرب رغم أن أباه مانويل نصحه على فراش الموت ألا يعلق أملاً على هذا التحالف المشكوك فيه ، فإن المحاولات السابقة لا تشجع على مناقشة هذا الموضوع ، وكل ما كانت تجلبه تلك المحاولات زيادة الشقاق فهي ضد

Ostrogorsky . op. cit , p 507 (1)

Baynes , op. cit, p. 48

Hearsey op, cit. p. 231 (2)

pal) Autour Croisade de Vain p22

إرادة ورغبة الشعب البيزنطى لأن أول مطلب لروما الاعتراف بسيادتها كأول مركز دينى .

ومع ذلك فإن حنا الثامن تبنى هذا الاتحاد وسمى لفتح باب المفاوضات مع روما وعرض الاتحاد بين الكنيستين فى مقابل وعد صريح من روما بمساعدته ضد الترك . وفى سنة ١٤٣٧ ترك عاصمته بعد أن أناب أخاه قسطنطين عنه فى الحكم واتجه إلى الغرب ورافقه أخاه ديميتريوس والبطريرك يوسف وبجموعة من المطارنة . وفى سنة ١٤٣٨ وصلوا فيرارا (١) وأثناء انعقاد مؤتمر دينى هناك أعيد فتح باب المناقشة وأعلن الإمبراطور موافقة شعبه والكنيسة اليونانية على الاتحاد وأعلن فى ٦ يوليو الاتحاد باللغتين اليونانية واللاتينية (٢) فى فلورنسا رغم معارضة المطران مارك إيجونيكيوس ، وتضمن الاعتراف بالسيادة البابوية فى عبارة مهمة وسمح الإغريق بالاحتفاظ بطقوسهم الدينية الخاصة ، ولكن كل ما يتعلق بأمور الكنيسة مرجعه إلى روما .

ومع ذلك فإن القرار لم يكن له أهمية تذكر إلا إثارة الشقاق ، فروما ليس لديها القوة الفعلية لوقف التقدم التركية إلى جانب أن بيزنطة فقدت هيبتها فى عالم السلاف المجاور لحدودها . واعتبر حكام روسيا ما قام به الإمبراطور وبطريرك القسطنطينية نوعاً من الخيانة غير المجدية ، وقام الدوق باسيل الثانى بالقبض على المتروبوليتن إيزدور الذى اشترك فى وفد الاتحاد مع روما وبدأت روسيا منذ ذلك الحين تختار مطرانها وأدارت ظهرها لبيزنطة . ومع ذلك فإن الحزب المؤيد للتخالف ذهب خطوات أبعد ، وكان قائد تلك المجموعة Bessarion والمطران أزيدور الذى هرب من السجن (٣) .

Hussey : op. cit. p. 83 (1)

(١) جيون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ج ٣ ص ٢٨٩

Baynes : op. cit. p. 47 (2)

Ostrogorsky : op. cit. 504 (4)

## الفصل التاسع

### سقوط القسطنطينية

(عمر الفاتح وقسطنطين الحادى عشر والمرحلة الأخيرة من الصراع

البيزنطى العثمانى) :

تولى قسطنطين عرش بيزنطة فى ١٦ يناير سنة ١٤٤٩ بعد وفاة أخيه  
حننا الثامن بدون أن يترك أولادا . ورغم أن لقسطنطين ست أخوة  
فإن الإمبراطورة الأم هيلين قصد اختارت قسطنطين دونهم . ومع أن  
قسطنطين يعد من أفضل الحكام الذين تولوا عرش بيزنطة فإن بيزنطة كان  
محكوم عليها بالدمار ولم تكن لتجدى شجاعة الإمبراطور أو ذكاؤه شيئاً  
لإنقاذه وإنقاذاً من المصير المحتوم ، فالقسطنطينية أصبحت الفاصل أو  
العائق الوحيد بين أملاك العثمانيين الأوربية والآسيوية وأصبح الاستيلاء  
على القسطنطينية يمثل ضرورة حيوية بالنسبة لآى حاكم عثمانى (١) .

وكان سقوط القسطنطينية أمراً مسلماً به حتى من الغرب الأوروبى  
تداوله المدن الإيطالية والاختلاف الوحيد كان على تحديد الزمن ، وعلى  
نوعية القوة التى ستخضع لها غربية أم تركية وحسم تولى محمد الثانى السلطنة  
العثمانية الأمر (٢) .

كان السلطان الجديدة مشهوراً بعدائه للقوى المسيحية وخاصة لبيزنطة .

---

(١) Camb' Hist of Islam Vol, Ip, 245

Racicman, op. cit, p 45

(٢) لازيد من التفاصيل فى عهد وحياته الأولى ارجع جيون : الضملال الإمبراطورية  
الرومانية ج ٣ ص ٣٤١ .

Pears, The Destruction of The Greek Empire.

Amantos La prise de Constantinople

وكان محمد عند توليه العرش لا يتجاوز التاسعة عشرة لقد ولد في أدرينا نوبل سنة ١٤٢٣ ، وكانت أمه جارية تركية ، وكان السلطان مراد يفضل أبناءه من زوجات نيبلات على غيرهم . ولكن أخاه أحمد مات في آسيا سنة ١٤٣٧ وأخاه الثاني علاء الدين قتل بعد ست سنوات في نفس المدينة وأصبح هو الوارث الوحيد . ولم تكن هذه المرة الأولى التي يلى فيها العرش فقد سبق له أن تولاه بناء على رغبة مراد حين رغب الأخير في الاعتزال والاعتكاف بعيداً فتولى العرش تحت وصاية هلال باشا ولكن محمد كان قاسياً متهوراً بما يؤمره هذا الصغر سنه ، فقتل الدراويش في فاوس بإيعاز من هلال باشا وقوبل حكمه بمعارضة من الجيش والشعب واضطر مراد للعودة لتولى مهام الدولة في حين أرسل محمد إلى أماسيا حيث ظل أمره مهملاً لا يظهر إلا نادراً بصحبة أبيه في بعض الحملات (١) .

وعند وفاة مراد سنة ١٤٥١ أعلن سلطاناً وكان فرح الغرب الأوروبي بموت السلطان كبيراً لصغر العاهل الجديد ولشكهم في قدرته واستطاعته مواجهة مسئولياته . وأرسل مبعوثين من جهات عديدة إلى السلطان في أدرينا نوبل فاستقبل السلطان مندوب البنادقة وجدد معاهدة السلام التي سبق أن عقدها والده لمدة خمس سنوات ، ثم استقبل مبعوثين من لدى هونيادى وعقد معهم صلحاً لمدة ثلاث سنوات ، وكذلك استقبل رسلاً من لدى حكام الاستبار في رودس . وأرسل الإمبراطور قسطنطين رسلاً إلى السلطان أحسن استقبالهم بل وأقسم لهم على القرآن بعدم الاعتداء على أراضيهم ووعده بدفع جزية أو مبلغ من المال يبلغ ثلاث آلاف قطعة ذهبية مر دخل بعض المدن الإغريقية في وادي استرنما لهم وهم

Ostrogorsky op cit p 507 (1)

مليون صغلا في طوربة الرومانية ج ٣ ص ٢٤٤

Amator op cit p9

المدن التي كانت تخضع للأمير أورشان الذي كان يقيم في يزنطة ، ربما كان محمد يهدف آنذاك إلى استتباب السلام على حدوده ولإدبث الطمأنينة في نفوس تحكام يزنطة وهو يعد العدة للحملة ، وخاصة أن هناك لائنين من خاصته يؤيدان اللجوء إلى الحرب بل يحنانه على ذلك وهم زاجنوس باشا الوزير الثاني وشهاب الدين .

أما العالم الغربي الذي لم يكن على دراية بوسائل الدبلوماسية العثمانية فقد أبتهج بتلك المعاهدات . فلم تكن هناك دولة على استعداد لاتخاذ إجراء فعلي ، ففي أوروبا فردريك الثالث الهابسبورج كانت له مشاكه مع بوهيميا والمجر وكان يعد العدة للتتويج في روما (١) ، وشارل السابع ملك فرنسا بعد حرب المائة عام وجد منافساً أخطر في قريه فيليب الطيب دوق برجنديا وانجلترا لم يكن لديها أى استعداد للحرب وكذلك اسكتلندا واسكتلندا ، وملك البرتغال لديه أعداء على حدوده . والوحيد الذي أبدى اهتماما هو الفونسو الخامس ملك أرغنة الذي تولى عرش نابولي في ١٤٤٣ (٢) ولكنه كان يطمع في عرش القسطنطينية فأى جهد منه كان يستقبل في القسطنطينية بالريه والشك وارتفعت بهضن الأصوات تهيب بالبابا وبملك فرنسا أن يتخذوا إجراء فعالا قبل أن يكتسب السلطان الجديد خبرات ويكون قادراً على الحرب ، ففكرة الغرب عن السلطان الجديد أنه شاب حدث بلاجرية ، وفي تلك الأثناء مات البابا يوجنيوس الرابع وخلفه نيكولاس الخامس سنة ١٤٤٧ الذي كان ميالا للسلم متجنباً ما يورطه في مشاكل خارجية ، ومع ذلك فقد أرسل قسطنطين سنة ١٤٥١ مبعوثاً إلى البابا هو أندرونيكوس برنيوس ومعه رسالتان وديتان أحدهما من الإمبراطور

Runciman : op. cit p. 46 (1)

جيون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ج ٣ ص ٣٤٤

Baker ( James ) Tarkyn, Europe p 20 (2)



والأخرى من الجماعة المعارضة للاتحاد تعلن موافقتها، ولكن هذا لم يأت  
بنتيجة إلا زيادة المعارضة لروما في القسطنطينية (١).

ولكن الإمبراطور يمدد مسئولاً شخصياً عن سوء العلاقة بينه  
وبين الأتراك، فقد كان أحد الأمراء الكرمانيين وهو إبراهيم بك لديه  
نفس الاعتقاد الغربي في عدم خبرة ومقدرة السلطان فتحالف مع إمارتي  
إيدن ومنتشا التي سبق للعثمانيين إخضاعهم في خريف ١٤٥١، وأرسل  
للأمراء الذين عزلهم العثمانيون يطلب إليهم العودة لتولي عروشهم بل أعتدى  
على الأراضي العثمانية اعتماداً على ضعف عيسى بك الحاكم العثماني. وسارع  
إسحق باشا حاكم الأناضول بإرسال مبعوثين إلى السلطان يرجوه  
الحضور لقمع الفتنة وحضر السلطان بنفسه (٢)، فسارع إبراهيم بك  
لطلب العفو منه وأعاد إسحق أراضي منتشا ولكن أثناء عودة السلطان  
إلى أوربا ثار الانكشارية وطالبوه بزيادة مرتباتهم فاضطر إلى الاستجابة  
لمطالبهم وعزل بعض قادتهم وألحق بهم فرقاً من القناصة يضمن ولائها.

شجع هذا قسطنطين على أن يرسل للسلطان سفارة يذكره بأنه لم يدفع  
المبلغ المتفق عليه للاتفاق على الأمير أورخان وليذكره أيضاً بأن لديه  
مطالب في عرش السلطنة. ولقد فوجئ هلال باشا بتلك البعثة لأنه يعلم  
أنها ستقضي على السيادة السلية التي أوجدتها مع بيزنطة إلى جانب أنها  
ستثير رية السلطان في هلال باشا، وأجاب السلطان عليها باقتضاب بأنه  
سينظر بنفسه في الأمر عندما يعود له أصمته. ولم ينس محمد هذا المطلب  
الواقع أبداً، وبذلك أوجد له البيزنطيون المبرر لنقض قسمه وفتح

---

Runicman : op cit, p 64 ,1

Camb. Hist. of Islam Vol.I p 299

Baynes : op cit. 48 (2)

Koijas, Constantin Le dernier défenseur de Constantinople p14

القسطنطينية ، وكان السلطان محمد قد عزم على العودة عن طريق الدردنيل ولكن علم أن فرقة إيطالية تقوم بجولة استكشافية هناك فاتجه إلى البسفور وأبحر بجيشه من قلعة بايزيد إلى أنادولوهيسار فإن الأرض التي على الشاطئ البيزنطى تخضع لسلطان القسطنطينية ، ورفض محمد أن يحصل على إذن من الإمبراطور بالنزول إلى البر ورأى السلطان كم يكون مفيداً له لو أنه بنى قلعة في هذا الموقع في المضيق المضاد لأندولوهيسار وكان يعتقد أن التحصينات البيزنطية القوية ستمنع اتصاله بالشاطئين الآسيوى والإغريق .

وأمر محمد بطرد الإغريق من منطقة struma وإحضار العمال البنائين وبدأوا بوضع الخطوة الأولى نحو حصار القسطنطينية وأرسل الإمبراطور سفارة إلى السلطان تذكره بأن السلطان بايزيد قد حصل على موافقة بيزنطية قبل أن يسمح له ببناء قلعة أندولوهيسار فالمعاهدة السابقة عقدها مع آبائه وأجداده تنص على ألا يقوم أى من الطرفين ببناء قلاع في هذا المكان . وأن ما فعله السلطان محمد يعتبر نقضا للمعاهدة وأنه على استعداد للسماح له بتقل جيوشه بين الشاطئ الآسيوى والأوروبى (١) ولكن لم تلقى السفارة أذناً صاغية بل طردهم السلطان ، ورد الإمبراطور على هذا بالقبض على الرعايا الأتراك لديه ثم أرسل بعثة أخرى بهدايا تطلب ألا تتعرض القوى الإغريقية لأى ضرر ولم يولها السلطان اهتماماً ، وذكر Kritovoulos (٢) أن السلطان قال لهم بأن لديه ممتلكات على كلا الضفتين من الشاطئ الآسيوى والأوروبى منفصلين وأن لديه أعداء في كلا الجانبين وأن سفن البندقية كانت تعترض سفن والده وتمنعه من الاتجاه إلى البحر وطلب منهم عدم التدخل

(١) جيون : اضلال الإمبراطورية الرومانية ج ٢ ص ٣٤٤ .

Kritovoulos Hist. of Mehmed the Conqueror p. 17

كاف المؤرخ شامد عيان الأحداث .

في شتونه الخاصة ثم أرسل قسطنطين بعثة أخرى كان مصيرها أسوأ من سابقتها إذ وضع الرسل في السجن ثم قطعت رؤوسهم .

وعرفت تلك القلعة للأتراك باسم بوغاز كسين وهي معروفة الآن بروملي هيسار، وبعد إتمام بناءها أمر السلطان بأن كل سفينة تمر بالبسفور يجب أن تقف للافتيش ومن يرفض يتعرض للفرق وبالفعل أغرقت ثلاث سفن للبندقية وكان على البندقية أن تحدد موقفها ، فالبندقية لها الربع في القسطنطينية إلى جانب امتيازات عديدة . وكان البنادقة يرون أن استيلاء السلطان على القسطنطينية سيوجه نظره بعد ذلك إلى ولايات البندقية في اليونان والبحر الإيجي ، وإن كانت هناك فريق آخر صغير يرى أن الاستيلاء على القسطنطينية سيزيد من مكاسبهم وتجارتهم مع العثمانيين ، ولكن سناتو البندقية صوت لصالح التعاون مع بيزنطة .<sup>(١)</sup> وكذلك فعلت جنوه وإن كانت جنوه قد أعطت لمستعمراتها حق أن تفعل ما تريد وما تراه صالحاً ، وصدّم البابا بالوضع الذي رآه فأمر الإمبراطور فرديريك الثالث أن يرسل حملة ضد السلطان ، ولكن الإمبراطور لم يكر لديه القوة الكافية . أما ملك نابولي فقد كانت له أطماع في القسطنطينية والسكنلان الذين كانوا يتاجرون مع بيزنطة كانوا أتباعه ، ولكنه شغل بالحرب مع البنادقة .

#### إعلان الاتحاد في القسطنطينية :

أرسل البابا الكردينال إيذدور الذي أصبح مرة ثانية مطران روسيا إلى القسطنطينية كندوب بابوي لإعلان الاتحاد . وحدثت مناقشات دينية وظهر تأييد للاتحاد تحت تأثير فاعلية مساعدة الغرب وإن كان الحزب

١١ Ostrogorsky op cit, p 507

جيرن اصمحلل الإمبراطورية الرومانية ج ٣ ص ٣٤٤

المعارض أصر على رفضه وأعلن عدم استعدادة لبيع عقيدته في مقابل مساعدات مشكوك في أمرها . ولكن في النهاية في ١٢ ديسمبر سنة ١٤٥٢ أعلن الاتحاد في كنيسة أيا صوفيا وأقيم قداس روماني . ولكن الاتحاد استقبل برفض شعبي شديد وثار الشعب البيزنطي واعتبره تحدياً لمشاعره الدينية حتى قال أحد كبار القادة ، إنى أفضل أن أرى العمامة الإسلامية في وسط المدينة على أن أرى تاج الأسقف اللاتيني ، (١) .

وكانت أموال البابوية قد استنزفتها بحاكم نابولي ، ولم يكن تدخل الغرب لإنقاذ الإمبراطورية خالصاً ، وأغلب الحكام لم يكن هدفهم إنقاذ القسطنطينية بقدر معرفة الإجابة على السؤال المطروح آنذاك هل بيزنطة ستسقط في أيدي الترك أم في أيديهم ، أما بيزنطة نفسها فكان لها دور صغير في تقرير الأحداث فصيرها تقرير بسبب أحداث حاسمة خارج نطاق سيطرتها وبدون تدخلها فكانت مجرد رهينة للقوى السياسية المختلفة .

### الاستيلاء على القسطنطينية

#### خطة الحرب :

في الشهور الأخيرة من سنة ١٤٥٢ كان محمد قد أعد الخطة النهائية للاستيلاء على القسطنطينية ولم يطلع عليها أحداً ، فوزيره هلال باشا لا يؤيد الحملة ، ففي رأيه أنها مغامرة لا تؤمن عواقبها حيث أن هيبة آل عثمان مرتنة بتجачها أو فشلها . ولكن كان هناك فريق كبير من القادة يؤيد الحرب (٢) . مثل زاجنوس وطرخان وشهاب الدين ولما طرح السلطان الأمر أمامهم

Ostrogorsky : op, cit, p 507 (١)

Kritovoulos : op. cit, p, 88, (٢)

Camb Hist, of islam Vol, I, p, 288 (٣)

صوت المجلس بجانب الحرب وبدأ السلطان في اتخاذ الخطوات الإيجابية نحو حصار القسطنطينية عن طريق عزل المدينة وقطع اتصالها بالمناطق المجاورة فأمر ضياء باشا بمهاجمة المدن البيزنطية على شاطئ تراقيا والبحر الأسود وسلبت مسيريا وأنجليوس وبيروس والمدينة التي كانت تبدي مقاومة كانت تتعرض للتخريب ، وأمر طرخان باشا بالاستقرار في كورثة لكي يمنع أشقاء الإمبراطور من مساعدته .

### أولا : الحصار :

بالنسبة لتوزيع القوات في كلا الجانبين نجد أن القوة المدافعة كانت متواضعة جداً بالنسبة للقوة المهاجمة وكانت تتكون من فرق إغريقية وبعض فرق من اللاتين ، والفرق الرئيسية في الجند تتكون من سبعة جندى وكانت قد وصلت قبل الحصار بفترة قصيرة وكانت نسبة المدافعين إلى المهاجمين واحداً إلى عشرين ، وإن كان الإمبراطور يعتمد على حصانة المدينة وأسوارها التي حرص على إصلاحها فالموقع الجغرافي لبيزنطة كان له الفضل دائماً في إنقاذها من عديد من الهجمات طوال تاريخها . إلى جانب ما كانت تتمتع به من تفوق في الفنون الحربية على الأقاليم المجاورة ، ولكن المتغيرات الدولية واختلاف موازين القوى في هذا العصر غير الأوضاع فالعثمانيون حصلوا على معدات حديثة ومدعمة بمدافع قوية وكانت أوروبا قد استخدمت المدافع قبل هذا التاريخ بمائة عام فقط . ولقد صنع مهندس مجرى محمد مدافع ضخمة كان لها دورها في سير القتال<sup>(١)</sup> حتى قال الإغريق ، أن المدافع حسمت الأمر<sup>(٢)</sup> فلم يكن لدى بيزنطة من المال والمعدات ما يجعلها ندا للعثمانيين .

Hearsey : op. cit. p.239. kritovonlos : op. cit. p 42-43 (1)

Runicman . op cit. p. 75 (2)

أما بالنسبة للجانب العثماني فقد وضع محمد أعداداً ضخمة في أبريل سنة ١٤٥٣ تحت أسوار القسطنطينية . ولما وجد السultan أن سيطرته غير كاملة على البحر خاصة بعد أن بلغته أنباء تسلم بيزنطة لإمدادات بحرية . فلم تكن لديه قوة بحرية كافية للتصدي لهم إلى جانب اضطرابه للاستعانة بسفن مسيحية للربط بين طرفي دولته الآسيوى والأوربى قرر أن ينشأ أسطولاً . والمصادرة البيزنطية تبالغ في عدده ، ولكن وفقاً للمصادر الإيطالية فإنه كان يتكون من عشرة *pires* وخمس سفن كبرى وسبعة وعشرين سفينة صغيرة وعشرين ناقلة *pucreb* وعدد من القوارب لنقل الرسائل ، وعين حاكم جاليبولى سليمان بالطغولو قائد للأسطول (١) .

ولما تحقق قسطنطين من ضخامة القوات المحاصرة للدينة فعل كل ما يستطيع لتشجيع أهل مدينة ، وأرسل سفراء للغرب فأرسل سفراء للبندقية التى أعلنت استعدادها للاشتراك لو انضمت لها قوى غربية أخرى ، وجنوة وعدت بإرسال سفن ، كذلك وعد الفونسو ملك نابلى بإرسال مئتين ولكنه كان مشغولاً بأموره الداخلية ، وأخيراً قررت البندقية إرسال شاحنتين فى كل منهما أربعائة رجل وخمسة عشرة سفينة وأصدرت تشريعاً بأن على التجار دفع نفقاتهم ولما وصل ذلك الإمداد كانت القسطنطينية قد مر على حصارها أربعة أيام .

أما البابا فقد طلب من البندقية إعداد خمس سفن ولكن طوّل بما عليه من ديون فأعد ثلاث سفن ووعد بدفع نفقاتهم فوراً . لكن حكام الغرب لم يبد أى منهم اهتماماً أما فرسان القديس يوحنا فى رودس ، وإمارة روسيا فقد كانوا مشغولين بمشاكلهم الخاصة .

(١) جيون : اضطلاع الامبراطورية الرومانية ج ٣ ص ٣٤٩

وملك جورجيا وإمبراطور طرابزون كانا في وضع يحتم عليهما الدفاع عن حدودهما وأمرأه الأناضول المسيحيون لم يكونوا على استعداد للثورة وخوض غمار حرب . أما حاكم الصرب فانضم لمحمد وأرسل فرقا لمساعدته ولقد اشترك بعض البنادقة في الحرب لوجودهم في القسطنطينية أثناء نشوب القتال وكذلك شعر بعض الجنوية بالخرج من مسلك حكومتهم فسارعوا بالذهاب إلى القسطنطينية (١) .

وفي ٢٩ يناير ١٤٥٣ وصل القائد الجنوي المشهور جيستيناني لويجي ومعه سبعمائة رجل وكان هو ورجاله أول المدافعين عن أسوار المدينة . وسمى الإمبراطور للتوفيق بين الجنوية والبنادقة الذين كان بينهم خلاف واضح ، وانضم المدافعين فرق من الكتلان . وفي ٢٦ فبراير وصلت سبع سفن من كريت والبندقية تحت قيادة بترو أفنزو وهو - أسطول صغير بمقارنته بأسطول السلطان ، وعرض الأمير أورخان العثماني الاشتراك مع البيزنطيين في القتال ، ولقد أمر الإمبراطور وزيره بإحصاء عدد الصالحين للقتال في القسطنطينية فوجدهم أربعة آلاف وتسعمائة وثمانية وثلاثين فقط من البيزنطيين وألفين من الأجانب .

وأمر الإمبراطور أن تكسر الجسور وأن تفلق أبواب المدينة وأقام سد طويل عند مدخل ميناء القرن الذهبي مكون من حلقات تنهى عند قلعة إيجونيوس عند الأكروبوليس (٢) . وكانت الأسوار تمتد من بلاشيريه على القرن الذهبي إلى بحر مرمرة حيث هناك ميناءان حصينان

Rualcmao , op. cit. p. 63 (1)

Camb. Med. Hist. Vol 4. p.696

Kritovoulos , op. cit p. 42

(٢) ذكر Kritovoulos توزيع قوات السلطان وأماكن وجودهم حول القسطنطينية

Kritovoulos p 91

وستة عشرة بوابة إلى جانب أن أسوار المدينة في حالة جيدة . وكان الامبراطور نفسه على رأس المدافعين فوقف على رأس قواته من الإغريق في Mesoteichion حيث تمتد الأسوار إلى وادي Tyros وقسد وزع الامبراطور جنوده لجعل كل فرقة مكونة من بنادقة مع الإغريق مع جنوبيين حتى لا تحدث خلافات داخلية .

أما في الجانب المواجه فكان جيش محمد في القرن الذهبي تحت أسوار المدينة ووضعت الفرق الرئيسية تحت قيادة كراجا باشا وقام بتسليحه ببنادق ثقيلة ، وإسحق باشا كان في الأناضول ، والسلطان كان يسيطر على وادي لو كس ، أما الأسطول فتولى قيادته بالظفوللو وكان هدفه الأساسي ألا يصل المدينة أى إمداد من جهة البحر وأن يحمده له خلال القرن الذهبي طاريقا ، وجعل مركز قيادته في البسفور ، وبدأ السلطان في ضرب المدينة بالمدافع في ٧ إبريل وكان الهجوم التركي على أسوار المدينة مركزا ضد بوابة penepton خاصة والتي اعتقد الأتراك أنها أضعف جانب في أسوار القسطنطينية ودمروا جزء من سور شيرزين (١) .

ورغم ذلك أرسل السلطان إلى المدينة رسالة يطالب فيها أهلها بالتسليم مقابل تأمينهم على أنفسهم وممتلكاتهم ولكن الامبراطور وأهل القسطنطينية لم يثقوا بوعود محمد ولا تأكيداته وهاجم السلطان قلعتين خارج الأسوار ومثل بسكانها الذين أبرأ الاستسلام (٢) .

أما الموقف بالنسبة للقطاع البحري فقد كان المسيحيون في وضع أفضل ففي ١٢ إبريل وبمجرد وصول أدوات الحصار اتجه بالظفوللو إلى السلاسل التي تغلق الميناء وأطلق العثمانيون سهامهم على السفن المسيحية التي تحرسه

(١) جيون : انتمثال الامبراطورية الرومانية ج ٣ من ٣٥٠ / ٣٥١

(٢) Phrahtzen; Chronicon Maius , Vol I p210



وقام ماجادوكس لوكاس بمساعدة القوات المدافعة بالفعل واستطاعت القوات الإمبراطورية صد الهجوم واضطر بالطغول إلى التراجع ، وهذا النصر رفع الروح المعنوية للدافعين . ودفع محمد الثاني لمعالجة النقص والبحث عن سبب الهزيمة فنقل مدافعه إلى غلطة وبدأ في الضرب على السفن في Boom وفشل الهجوم الأول<sup>(١)</sup> ، والثاني أغرق بعض السفن . وفي خلال الأسبوعين الأولين من أبريل وصلت إلى خيوس الثلاث سفن الجنوية التي كان البابا قد أعدها بالمؤن والسلاح ، وفي نفس الوقت دفعت الريح بسفينة إمبراطورية تحمل مؤن كان الإمبراطور قد طلبها من صقلية تجاه العثمانيين ، واستطاعت ثلاث سفن أخرى الوصول إلى المدينة رغم اشتباكها في قتال عنيف مع قوات بالطغول ولقد أمر السلطان بتجريد قائد الأسطول من وظائفه وأهلكه نتيجة لفشل تلك العملية<sup>(٢)</sup> .

ومكر السلطان في البداية في الاستيلاء على القرن الذهبي ثم قرر نقل قواته وسفنه عبر الأرض إلى القرن الذهبي بناء على إشارة بعض من في خدمته من الإيطاليين عن طريق نقل السفن من البسفور إلى القرن الذهبي عبر ربوة ترتفع عن البحر مائة قدم ، ولكن بفضل مالدیه من رجال ومعدات شق طريق Topnaneis إلى الوادي المسمى بالوادي السعيد في القرن الذهبي ولم يعرف أهل بيريه ولا البحارة الذين رأوا الأتراك يعملون فيه الهدف منه ، وفي ٢١ إبريل أمر جنوده بالضرب على الميناء حتى أخفى دخان المدافع ما يقوم به<sup>(٣)</sup> . وفي ٢٢ إبريل رفعت السفن من البحر إلى الشاطئ بواسطة أوتاد جرتها الثيران إلى الجانب الآخر من البحر وكان في كل قارب بحارته ، ومقاتلوه وفوجي البحارة المسيحيون في القرن الذهبي

Hearsey , op. cit. op 238-240 (1)

Kritovoulos , op cit p 53 (2)

Runicman' op. cit p 105 (3)

بتحركات العثمانيين على التلال فأبلغوا الامبراطور . فقرر بعد عقد مجلس  
حرب أن يقوم الجيش الإمبراطوري بإحراق السفن عند وصولها إلى  
وادي الربيع ولم يعلوا جنوه بهذا التدبير ، ولكن تسرب الخبر إلى عدو  
من بحارتها تخافوا أن يكون نجاح خطة الامبراطور تدعياً لمركز البندقية .  
ووصلت الأخبار إلى السلطان عن طريق بعض الجنوية الذين في  
خدمته ولم يعلم الامبراطور بتسرب أتياء خططه . نتيجة لذلك حدثت معركة  
بحرية هزم فيها المسيحيون وقتل قائد العملية coco وفقدوا سفينة وتسعين  
من أفضل رجالهم ، وتحطمت سفينة تركية وسيطر الأتراك على مركز  
جديد في بريه وأحاطوا بها ، ولم يعد في إمكان التجار نقل البضائع من  
الميناء إلى القسطنطينية . وقام محمد بحركة التفاف وتطويق عن طريق اتصاله  
بجيش زاجنوس خلف بريه ورئاسة البحرية في السفور واستطاع بناء  
قنطرة من الميناء إلى أسوار المدينة ، وأقام جسراً دائماً من الممكن أن يسير  
عليه إثنان من رجاله جنباً إلى جنب وأصبح من السهل أن تسير الفرق من  
بريه إلى أسوار المدينة تحت حماية السلاح<sup>(١)</sup> . ورغم وجود عدد من  
السفن المسيحية في poom إلا أن السلطان هو الذي كانت له السيطرة في  
القرن الذهبي ولم يقنع السلطان انتصاره بمحاولة اقتحام المدينة : وأرسل  
الامبراطور أحد الرجال لطلب المساعدة من البندقية التي أرسلت أسطولاً  
كان هدفه الأساسي التفاوض ومحاولة التوفيق بين الامبراطور والسلطان<sup>(٢)</sup> .

ونشب الخلاف بين الجنوية والبنادقة فكل فريق حمل الآخر سبب  
هزيمته وفي ٢٨ أبريل حاول الامبراطور التوفيق بينهما وأرسل رسلاً

(١) جيون : اضطلاع الامبراطورية الرومانية ج ٣ ص ٣٥٢ .

(٢) بلغت السلطان أن مجموعة من السفن وصلت من جنوه مما دفعه للإسراع باتخاذ  
الخطوات النهائية للاستيلاء على المدينة .

Kritovoulos . op. cit. p. 61

Pharabites , op. cit. I, p240

إلى السلطان للتفاوض ولكن السلطان أصر على تسليم المدينة في مقابل تأمين أهلها والسماح للأميراطور البيزنطى بالتراجع إلى المورة ، ولكن الأميراطور رفض وقرر الاستمرار في المقاومة .

وفي ٦ يناير ١٤٥٣ بدأ العثمانيون يعدون للهجوم الكبير على القسطنطينية فهاجموها من جانب البحر ثم تلوا ذلك بالحفر تحت الأسوار ، ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل ، ولكنهم في ١٢ أبريل عادوا إلى الحفر في الجزء القريب من بوابة Calyarian . وفي ١٨ مايو فوجئ المدافعون بأبراج خارج الأسوار تحمل مدافع ضخمة ، ولكن المدافعين استطاعوا تدميرها . وهذا النجاح المبذوق رفع الروح المعنوية للجنود . وجدد العثمانيون عملية الحفر تحت أسوار بلاشربته ولكنهم فشلوا فأوقفوا الحفر . وفي تلك الأثناء عادت السفن التي أرسلها الأميراطور إلى الغرب وأخبرته أن لا أمل في المساعدة وأن المدينة ترك أمر حمايتها للمسيح والعذراء ، ومع ذلك فقد استمرت المدينة في المقاومة سبعة أسابيع .

وأرسل السلطان مبعوثا إلى القسطنطينية يطالب بحرية سنوية مقدارها مائة ألف بيزنت إذا أراد أهلها الخروج سالمين ، وفي مجلس الأميراطور أبدى البعض قبولهم لدفع الجزية لكسب الوقت ، ولكن الجميع كانوا يعلمون بوضوح أنه مبلغ كبير يعجزون عن دفعه فضلا على أن السلطان لن يقنع بالانتظار الوقت الكافي لجمعه بل سيستمر في حصار المدينة . وقيل إن السلطان خیرهم بين أمرين : اعتناق الإسلام أو الاستيلاء على المدينة بالسيف .

### ثانيا : الهجوم :

حدثت تلك المفاوضات يوم ٢٠ مايو وفي نفس اليوم عقد السلطان

مجلسا لمناقشة الهجوم الكبير ولم يعارض إلا هلال باشا الذي اتهمه معارضوه بأنه يتسلم هدايا من البيزنطيين . وفي ٢٧ مايو ركب السلطان مع جيشه وكان هذا إيذانا بالهجوم الكبير وأعلن أن المدينة ستسباح خلال ثلاث أيام بعد الاستيلاء عليها وأن ثروة المدينة ستوزع بين جنوده (١) . واستدعى حمزة بك وأسطوله وأمره بالإحاطة بالمدينة عبر بحر مرمرة . ودعا السلطان ووزرائه وقادته إلى خيمته وذكروا بحالة المدينة وما تحويه من ثروات وأنباهم بأن تحصينات المدينة قوية وأن العدو عدده قليل وأن لديه نقص في السلاح . وذكر أن الإيطاليين ليسوا على استعداد للتضحية بأرواحهم من أجل أرض لا تخصهم وأنهم منقسمون على أنفسهم وأسيرسل رجاله موجة إثر موجة للقضاء عليهم وأمر رجاله بالشجاعة والمحافظة على النظام وأن يذهبوا لحيامهم ويستعدوا لتلبية النداء ، وبقى القادة معه ليتسلموا الأوامر .

وفي نفس الوقت في الجانب المقابل جمع الامبراطور رجاله وقال لهم : « أن على الإنسان أن يكون مستعداً للحرب من أجل عقيدته وذكروا بأنهم ينحدرون من نسل الإغريق والرومان القدماء وأنه شخصيا لم يياس وسيقاتل من أجل عقيدته وطلب منهم التعاون مع بعضهم البعض وأن يساعده من أساء إليه وعانق جنوده بعضهم البعض دلالة على التماسك والائخوة » (٢) .

وفي ٢٩ مايو قرر محمد القيام بهجوم شامل ، وبدأ الهجوم في الساعات الأولى من الصباح من ثلاث جهات ووضع السلطان الباش بازوك في المقدمة وكانت مكونة من أراك وعناصر من أقاليم مختلفة وكان هناك

(١) زاد عدد كبير من المروايش الحيام لغرس الرغبة في الاستشهاد ووعد بحياة شباب دائم في الجنة . جيون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ج ٣ ص ٣٥٦

(٢) Kritovoulos op cit p 66

عدة آلاف منهم من أقصار مسيحية سلاف مجر وجرمان وألمان وإيطاليين. مستعدين لقتال أهلهم في مقابل أجر يدفعه السلطان وكان محمد يخشى من تراجعهم فجعل وراءهم قوة عسكرية بوليفية مزودة بسيور الجلد والحرارات لحثهم على القتال ، ووراء تلك القوة كان الانكشارية وكان لديهم أوامر أن أى جندى يرغب التراجع يقتل واندفعوا على طول الخطوط ولكن ضغطهم المركز كان على وادلو كوس لأن الأسوار ما زالت قوية . وسقطت على الياش بازوك الأحجار وتلقوا الصدمة الأولى وقتل الإغريق منهم أعداداً كبيرة وقدم الإمبراطور بنفسه فشجع رجاله واضصر الأتراك للتراجع

وكان البيزنطيون باملون بأن ينعموا بفترة راحة إلى المساء ولكن عاود الأتراك الهجوم بقيادة جيش الأناضول الذى يقوده إسحق باشا وكان رجاله مدربين حير تدريب ومجهزين بأحدث الأسلحة ، ومع الفجر أطلقت قذائف المدفعية فأوجدت ثغرة نفذ منها ثلاث مائة رجل ولكن استطاع الإمبراطور ورجاله القضاء عليهم ، ولم يحقق الأتراك نجاحا فى القطاعات الأخرى على طول الأسوار الجنوبية وكل ما فعله إسحق باشا ممارسة نوع من الضغط لمنع المسيحيين من تحريك قواتهم إلى وادى لوكوس . ووجد حمزة بك على طول بحر مرمرية صعوبة فى الاقتراب بسفنه من الشاطئ وتولى الدفاع الرهبان وجنود الأمير أورخان العثمانى الذى كان منضمًا للبيزنطيين وحول قطاع البلاشيريه كان القتال بضراوة بين جيوش زاجنوس والبنادقة .

ولقد غضب السلطان أشد الغضب لفشل جنوده الأناضوليين فى اقتحام المدينة فوعده بجائزة كبرى لمن يخترق الحصار<sup>(١)</sup> ، وكان يرجو أن

(١) جيون : احتلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ص ٣٥٦ .

يقوم بذلك جنوده المفضلون وهم الانكشارية وقبل أن يقوم جنود  
الامبراطور بإصلاح أسوارهم انهالت عليهم السهام والقنابل ، ومع ذلك  
لم يستطع الترك الدخول بما أعطى أملا للدفاعيين . وكان البيزنطيون  
يقاتلون قتالا يائسا لأن انتصار الترك يعني نهاية وجودهم <sup>(١)</sup> وكان في  
جانب أسوار بلانثيريه عند التقائها بأسوار ثيودسيوس المزدوجة برج  
في بوابة هجوم معروفة باسم كركبورتا وكانت فرق من البيزنطيين تتولى  
الدفاع عن هذا المكان . وفي البداية أرادوا اقتحام صفوف الأعداء  
ولكن الآن اكتفوا بصد الهجوم على بوابتهم ولقد نسي أحدهم إغلاق  
البوابة خلفه عند تراجعه ورأى بعض الأتراك هذه الفتحة فنفذوا منها  
إلى الداخل وسارع المدافعون بسد الثغرة ومنع بقية الأتراك من الدخول  
بعد أن كان قد دخل حوالى خمسون تركيا ، وقبل شروق الشمس كان  
جيستينياني قد جرح ورجا رجاله أن يحملوه للداخل فلاحظت إحدى الفرق  
خروجه فظن البعض أن الأتراك نجحوا في اقتحام الأسوار وأنه تراجع  
إلى داخل المدينة ، والغالبية اعتقدت أن المعركة انتهت وأنهم قد هزموا  
وقبل أن تغلق البوابة خلف جيستينياني سارع الجنوية بالهروب وتركوا  
الامبراطور وجنوده وحدهم <sup>(٢)</sup> .

ولاحظ السلطان من موقعه ما حدث فصاح في جنوده أن المدينة  
أصبحت لنا نحن وأمر الانكشارية بتسليق الأسوار بقيادة أحد ضباطهم  
ويسمى حسن لكنه قتل وعدد من جنوده ولكن مع ازدياد ضغط  
الانكشارية تراجع الإغريق إلى السور الداخلي وتسليق الانكشارية  
بعض الأسوار الداخلية بدون معارضة ورفعت أعلام الترك على قلعة

(١) Kritovoulos . op. cit. p. 78

(٢) جيون : اضطلاع الامبراطورية الرومانية وسقوطها ج ٣ ص ٣٦٠

Kerkopoorta . وكان الإمبراطور مع جستنيان حين بلغه أنباء دخول الترك Kerkopoorta فسارع إلى رجاله فوصل متأخراً وأصبح من الصعب إغلاق البوابة فقد كان الهجوم شديداً وظل الإمبراطور يقاتل وبجانبه دون فرائثيسكو وحنا دلماتا ولم يسمع بأمره بعد ذلك أحد ، ومن المؤكد أنه قتل أثناء دفاعه عن المدينة (١) .

وأصبحت المدينة في أيدي الأتراك وارتفعت الأعلام التركية على أسوار القسطنطينية وكانت هناك بعض قوات من الجنوية تدافع بالقرب من كيركبورتا ، فلما تحقق من الهزيمة سارعت بشق طريقها خلال صفوف الأتراك إلى القرن الذهبي ، وآخر ثلاث قلاع كانت بأيدي الكريتين قرب مدخل القرن الذهبي سلت للسلطان مقابل تأمينهم على أرواحهم وأولادهم ودخل السلطان المدينة المفتوحة وأباحها لجنوده لمدة ثلاث أيام وانتشر جنوده في المدينة يسلبون وينهبون ويقتلون من يصادفهم ؛ ودمروا كثيراً من الأبنية . بل وجد السلطان أحدهم يحاول نزع لوحات من كنيسة أيا صوفيا فأمر بعدم تعرض جنوده للبياني البيزنطية أو تدميرها (٢) وإن كان قد حول الكنيسة إلى مسجد إسلامي .

أما بالنسبة لمن أسر من القادة والوعماء البيزنطيين فإنه قد عفى عن وزراء الإمبراطور لوكاس وماجدكوس ، أما العسكريين فقد ظلوا في الأسر . وابتهاجا بانتصاره أرسل السلطان ألف وأربعمائة من الإغريق هدايا لحكام المسلمين آنذاك في مصر وتونس وغرناطة (٣) .

Runicman, op. cit p 108 (١)

Kritovenlos, op cit p 70

Camb Med. Hist. Vol. Ip. 697

Hussey , op. cit. p83

(٢) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ج ٣ ص ٣٦٨

(٣) ابن عباس : بدائع الزهور في وقائع الزهور ج ٢ ص ١٤٤

وجعل السلطان من مدينة قسطنطين العظيم عاصمة له لأنها تربط بين أراضي  
الأوربية والآسيوية وتبع ذلك استيلاء العثمانيين على بقايا الممتلكات  
اللاتينية والسلافية في البلقان فسيطروا على الصرب ١٤٥٩ واستولوا على  
المورة ١٤٦١ وعلى بوسنا في ١٤٦٣ وقبل نهاية القرن احتلوا بقايا  
مقاطعات السلاف والألبان في الأدرياتيك . وبذلك اختفت بيزنطة  
إلى الأبد وقامت على أنقاضها إمبراطورية جديدة ولكن إسلامية في  
الأراضي التي تمتد من نهر العاصي إلى الأدرياتيك (١) .

ورغم سقوط بيزنطة في ١٤٥٣ فإن روحها ظلت حية في عقيدتها  
وفي فنونها وفي أدبائها وظل تأثيرها لا على الأراضي التي كانت خاضعة  
لها فقط بل كان لها تأثيرها القوي على الغرب الأوربي بأجمعه فعصر  
النهضة الأوربية استمد حضارته من المنابع القديمة وأهمها المنبع اليوناني ،  
فالقانون والآداب والفلسفة تدين بالكثير لبيزنطة ، وأصبحت الكنيسة  
الارثوذكسية المحافظ الوحيد على الحضارة والعقيدة لشعوب السلاف  
والإغريق فبيزنطة كانت قاعدة الهلينية والارثوذكسية .

(انتهى)

---

Ostrogorsky , op. cit. p. 508 (1)  
Camb. Hist. of Islam Vol. I. p. 291  
Baker ; op. cit. p. 28  
Camb. Med. Hist. Vol. 4. p. 698



الجداول - الملاحق - الفهارس

١ - جداول الحكم

٢ - نصوص اسلامية

٣ - نصوص غربية وبيزنطية

٤ - الفهارس

## أباطرة بين نقطة

٦٤١	هرقليا نوس	٣٣٧—٣٢٤	قسطنطين الاول
٦٦٨—٦٤١	قسطنطين الثاني	٣٦١—٣٣٧	قسطنطينوس
٦٨٥—٦٦٨	قسطنطين الرابع	٣٦٣—٣٦١	جوليان
٦٩٥—٦٨٥	جستينيان الثاني	٣٦٤—٣٦٣	جوفيان
٦٩٨—٦٩٥	لينيوس	٣٧٨—٣٦٤	فالانز
٧٠٥—٦٩٨	تييريوس الثاني	٣٩٥—٣٧٩	ثيوديسيوس الاول
٧١١—٧٠٥	جستينيان الثاني ثانية	٤٠٨—٣٩٥	أركاديوس
٧١٣—٧١١	فليمي كوس	٤٥٠—٤٠٨	ثيوديسيوس الثاني
٧١٥—٧١٣	انستاسيوس الثاني	٤٥٧—٤٥٠	مارقيسان
٧١٧—٧١٥	ثيوديسيوس الثالث	٤٧٤—٤٥٧	ليو الاول
٧٤١—٧١٧	ليو الثالث	٤٧٤	ليو الثاني
٧٧٥—٧٤١	قسطنطين الخامس	٤٧٥—٤٧٤	زينون
٧٨٠—٧٧٥	ليو الرابع	٤٧٦—٤٧٥	باسيليوس
٧٩٧—٧٨٠	قسطنطين السادس	٤٩١—٤٧٦	زينون ثانية
٨٠٢—٧٩٧	ايزين	٥١٨—٤٩١	انستاسيوس الاول
٨١١—٨٠٢	نقفور الاول	٥٢٧—٥١٨	جستين الاول
٨١١	تاوريكوس	٥٦٥—٥٢٧	جستينيان الاول
٨١٣—٨١١	ميخائيل الاول	٥٧٨—٥٦٥	جستين الثاني
٨٢٠—٨١٣	ابو الخامس	٥٨٢—٥٧٨	تييريوس الاول
٨٢٩—٨٢٠	ميخائيل الثاني	٦٠٢—٥٨٢	موريس
٨٤٢—٨٢٩	ثيوفيل	٦١٠—٦٠٢	فوكاس
٨٦٧—٨٤٢	ميخائيل الثالث	٦٤١—٦١٠	هرقلى
٨٨٦—٨٦٧	باسيل الاول	٦٤١	قسطنطين الثالث
٩٢١—٨٨٦	ليو الرابع		هرقليا نوس

١١٤٢-١١١٨	حنا الثاني كومنين	٩١٢-٩١٢	الكسندر
	ماثيويل الاول	٩٥٩-٩١٢	قسطنطين السابع
١١٨٠-١١٤٢	كومنين	٩٤١-٩٢٠	رومانوس الاول
١١٨٢-١١٨٠	الكسيوس الثاني	٩٦٣-٩٥٩	رومانوس الثاني
	اندرونيكوس	٩٦٩-٩٦٣	نقفور الثاني
١١٨٥-١١٧٣	الاول	٩٧٦-٩٦٩	حنا زمكيس
	اسحاق الاول	١٠٢٥-٩٧٦	باسيل الثاني
١١٩٥-١١٨٥	انجيليوس	١٠٢٨-١٠٢٥	قسطنطين الثامن
١٢٠٢-١١٩٥	الكسيوس الثالث	١٩٢٤-١٠٢٧	رومانوس الثالث
	اسحاق الثاني ثمانية مع	١٠٤١-١٠٣٤	ميخائيل الرابع
١٢٠٤-١٢٠٢	الكسيوس الرابع	١٠٤٢-١٠٤١	ميخائيل الخامس
١٢٠٤	الكسيوس الخامس	١٠٤٢	زوى ثيودورا
	ثيودور الاول	١٠٥٥-١٠٤٢	قسطنطين التاسع
١٢٢١-١٢٠٤	لاسكاريس	١٠٥٦-١٠٥٥	ثيودورا ثمانية
١٢٥٤-١٢٢٢	حنا الثالث دوكاس	١٠٥٧-١٠٥٦	ميخائيل السادس
	ثيودور الثاني		اسحاق الاول
١٢٥٧-١٢٥٤	لاسكاريس	١٠٥٩-١٠٥٧	كومنين
١٢٦١-١٢٥٨	حنا الرابع		قسطنطين المباشر
	ميخائيل الثامن	١٠٦٧-١٠٥٩	دوكاس
١٢٨٢-١٢٥٩	باليلوجس		رومانوس الرابع
	اندرونيكوس	١٠٧١-١٠٦٧	ديوجنس
١٢٢٨-١٢٨٢	الثاني		ميخائيل السابع
	اندرونيكوس	١٠٧٨ ١٠٧١	دوكاس
١٢٤١-١٢٢٨	الثالث		نقفور الثالث
١٢٩١-١٢٤١	حنا الخامس	١٠٨١-١٠٧٨	يوثيماتوس
	حنا السادس		الكسيوس الاول
١٣٥٤-١٣٤٧	كتا كوزينوس	١١١٨-١٠٨١	كومنين

١٤٤٨—١٤٢٥	حنا الثامن	١٣٧٩—١٢٧٦	أندرونيكوس الرابع
١٤٥٣—١٤٤٩	قسطنطين	١٣٩٠—١٣٧٩	حنا السابع
	الحادي عشر	١٤٢٥—١٣٩١	ماتويل الثاني

### السلاجقة

#### سلاطين السلاجقة الأوائل

	بركياروق بن	١٠٦٣—١٠٢٧	طغرل بك
١١٠٤—١٠٩٤	ملكشاه	١٠٧٢—١٠٦٣	أب أرسلان
١١١٨—١١٠٤	محمد بن ملكشاه		ملكشاه بن
	أحمد سنجر	١٠٩١—١٠٧٢	أب أرسلان
١١٥٧—١٠٩٦	ابن ملكشاه	١٠٩٤—١٠٩٢	محمد بن ملكشاه

#### سلاجقة العراق

١١٥٩—١١٥٣	محمد بن محمود		محمود بن محمد
١١٦١—١١٥٩	سليمان شاه بن محمد	١١٣١—١١١٨	ابن ملكشاه
١١٧٧—١١٦١	أرسلان شاه	١١٣١	داود بن محمود
	ابن طغرل	١١٣٣—١١٣٢	طغرل الأول ابن محمد
١١٩٤—١١٧٧	طغرل الثاني	١١٥٢—١١٣٣	مسعود بن محمد
	ابن أرسلان شاه	١١٥٢	ملكشاه بن محمود

#### سلاجقة الشام

	أب أرسلان	١٠٩٤	نقش بن أب أرسلان
١١١٤—١١١٣	ابن رضوان		رضوان بن نقش
	الطمان شاه	١١١٣—١٠٩٥	بعلب
١١١٧—١١١٤	ابن رضوان بعلب		دقاق بن نقش
		١١١٣—١٠٩٥	(بدر شق)

## سلطنة صلاحقة الروم

١٢٣٧-١٢٣٠	كيباذ الأول	١٠٨٦-١٠٧٧	سليمان الأول
١٢٤٥-١٢٣٧	كيباصرو الثاني	١١٠٧-١٠٩٢	قلج أرسلان الأول
١٢٥٧-١٢٤٥	كيبادوس الثاني	١١١٦-١١٠٧	ملك شاه
١٢٦٥-١٢٤٨	قلج أرسلان الرابع	١١٥٦-١١١٦	مسعود الأول
١٢٥٧-١٢٤٩	كيباذ الثاني	١١٩٢-١١٥٦	قلج أرسلان الثاني
١٢٨٢-١٢٦٥	كيباصرو الثالث	١١٩٦-١١٩٢	كيباصرو الأول
١٢٠٤-١٢٨٢	مسعود الثاني	١٢٠٤-١١٩٦	سليمان الثاني
١٢٠٧-١٢٨٤	كيباذ الثالث	١٢٠٤	قلج أرسلان الثالث
١٢٠٨-١٢٠٧	مسعود الثالث	١٢١٠-١٢٠٤	كيباصرو الأولى ثانية
		١٢٢٠-١٢١٠	كيبادوس الأول

## سلاطين آل عثمان لسقوط القسطنطينية

١٤١٠-١٤٠٢	سليمان	١٣٢٦-١٢٨٨	عثمان
١٤١٢-١٤١٢	موسى	١٣٦٢-١٣٢٦	أورخان
١٤٥١-١٤٢١	مراد الثاني	١٣٨٩-١٣٦٢	مراد الأول
١٤٨١-١٤٥١	محمد الثاني الفاتح	١٤٠٢-١٣٨٩	بايزيد الأول
		١٤٢١-١٤٠٢	محمد الأول
		(من ١٤١٢ حاكم منفردا)	

### أباطرة اللاتين في القسطنطينية

١٢١٩-١٢١٧	يولاند	١٢٠٥-١٢٠٤	فلاندرز
١٢٢٨-١٢٢١	روبرت كورتناي	١٢١٦-١٢٠٦	هنري فلاندرز
١٢٦١-١٢٢٧	لهوين الثاني	١٢١٧	بيتر كورتناي
١٢٣٧-١٢٣١	حنا برين		

### إمارة إبيروس

١٢٧١-١٢٣٧	ميكائيل الثاني	١٢١٥-١٢٠٤	ميخائيل الأول
١٢٩٦-١٢٧١	تقفور الأول	١٢٢٤-١٢١٥	ثيودور
١٢١٨-١٢٩٦	توماس	١٢٢٤	دخل سالونيك وأقام
(أنابالولوجس كنفازينوس حكم ١٢٢٣)			امبراطورية في سالونيك
١٢٢٣-١٢١٨	نيقولا أورسيني	١٢٣٠-١٢٢٤	ثيودور
١٢٥٥-١٢١٣	حنا أورسيني	١٢٤٠-١٢٣٠	مانويل
١٢٤٠-١٢٣٥	تقفور الثاني	١٢٤٤-١٢٤٠	حنا
(١٢٤٠ هزمته بيترطة و١٢٤٨ ستيفن داسان)		١٢٤٦-١٢٤٤	ديتريوس
		(هزمه سنة ١٢٤٦ حاكم بيقية)	

### حكام البلغار

٧٦٤-٧٦٢	تليتر	٧٠١-٦٨٠	أسباروخ
٧٦٦-٧٦٤	سابين	٧١٨-٧٠١	ثريغيل
٧٦٦	أومير . توكتو	٧٢٤-٧١٨	غير معروف
٧٧٠-٧٧٦	باجان	٧٣٩-٧٢٤	سيفار
٧٧٧-٧٧٠	تاهج	٧٥٦-٧٣٩	كوربوث
٨٠٢-٧٧٧	كاردام	٧٦٢-٧٥٦	فبتش

٨٨٩—٨٥٢	بوريس الاول	٨١٤—٨٠٢	كروم
٨٩٣—٨٨٩	فلاديمير	٨١٤	دوكوم
٩٢٧—٨٩٣	سيمون	٨٣١—٨١٤	أومير تاج
٩٦٩—٩٢٧	بيتر	٨٣٦—٨٣١	ملومير
٩٧٢—٩٦٩	بوريس الثاني	٨٥٢—٨٣٨	برسام

### الامبراطورية المقدونية

١٠١٨—١٠١٥	حنا فلادسلاف	٩٧٦—١٠١٤	صامويل
		١٠١٥—١٠١٥	جابريل دادومير

### ملكية البلغار الثانية

١٢٩٢—١٢٨٠	جورج الاول	١١٩٦—١١٨٧	أسن الاول
١٢٩٨—١٢٩٢	سيميتير	١١٩٧—١١٩٦	بيتر
١٣٠٠	جكا	١٢٠٧—١١٩٧	كالوجان
١٣٢٢—١٣٠٠	ثيودور سفوتسلاف	١٢١٨—١٢٠٧	يوريل
١٣٢٣—١٣٢٢	جورج الثاني	١٢٤١—١٢١٨	إيفان أسن الثاني
١٣٣٠—١٣٢٣	ميخائيل ششمن	١٢٤٦—١٢٤١	كولومان أسن
١٣٣١—١٣٣٠	إيفان ستيفن	١٢٥٧—١٢٤٦	ميخائيل أسن
١٣٧١—١٣٣١	إيفان الكسندر	١٢٧٧—١٢٥٧	قسطنطين
١٣٩٣—١٣٧١	إيفان ششمن	١٢٧٩—١٢٧٨	إيفان جولو
		١٢٨٠—١٢٧٩	إيفان أسن الثالث

### العرب

٨٩٢—٨٩١	بروفلاف	منتصف القرن التاسع	حنا فلاستيمير
٩١٧—٨٩٢	بيتر جوشنكوفيك	٨٩١	مونيير

١٢٧٦ - ١٢٤٢	ستيفان اروس الاول	٩٢٠ - ٩١٧	بول بروتيفيش
١٢٨٢ - ١٢٧٦	ستيفان دارجنون		زاخرياس
	ستيفان اروس	٩٥٠ - ٩٢٧	بروفلا جفتش
١٢٢١ - ١٢٨٢	الشماني		جيتلاف
	ستيفان اروس	٩٥٠ - ٩٢٧	كلونيميروفيتش
١٢٣١ - ١٢٢١	الثالث	١٠١٦	حنافلا ديير
١٢٥٥ - ١٢٣١	ستيفان دوسان		من نهاية القرن العاشر
	(كاذر من ١٢٤٥)	١٠٥٢ - ١٠٤٠	ستيفان فوسلاف
١٢٦٦ - ١٢٥٥	كاذر	١٠٧١ - ١٠٥٢	ميخائيل
١٢٧١ - ١٢٦٦	الملك فوكسين	١١٠١ - ١٠٨١	قسطنطين بودين
١٢٨٩ - ١٢٢٧	ستيفان لادار	١١١٤ - ١٠٧٣	فوكان
١٤٥٦ - ١٤٢٧	جورج برانكوفيتش	١١٩٦ - ١١٦٧	ستيفان نيمجا
١٤٥٨ - ١٤٥٦	لادار برانكوفيتش	١١٩٦ - ١٢٢٨	ستيفان
		١٢٢٨ - ١٢٢٣	ستيفان رودسلاف

### أمراء أرمينية

١٢٨٩ - ١٢٩٣	هيشوم الثاني	١٠٩٠	روبان الاول
١٢٩٢ - ١٢٩٤	ثوروس الثالث	١١٠٠	قسطنطين الاول
١٢٩٤ - ١٢٩٦	هيشوم الثاني ثمانية	١١٢٩ - ١١٠٠	ثوروس الاول
١٢٩٧ - ١٢٩٨	سمباد	١١٢٩ - ١١٢٦	ليون الاول
١٢٩٩ - ١٣٠٥	قسطنطين الاول	١١٤٤ - ١١٦٧	ثوروس الثاني
	هيشوم الثاني	١١٧٠	روبان الثاني
١٢٩٩ - ١٣٠٥	للمرة الثالثة	١١٧٠ - ١١٧٥	مليح
١٣٠٥ - ١٣٠٨	ليون الرابع	١١٨٧ - ١٢١٩	ليون الثاني
١٣٠٨ - ١٣٢٠	أوشين	١٢٢٦ - ١٢٦٩	هيشوم الاول
		١٢٧٠ - ١٢٨٩	ليون الثالث



## ملحق ١

## قلج أرسلان الثاني والحلة الصليبية الثالثة

وصل من الكايغكوس وهو مقدم الأرمن وهو صاحب قلعة الروم<sup>(١)</sup> رسالة إلى صلاح الدين ينبئه بما تم بين السلاجقة وفردريك بربروسا والامبراطور البيزنطي أنجيليوس<sup>(٢)</sup>.

وكتاب الداعي المخلص الكايغكوس ، ما اطلع به علم مولانا ومالكنا السلطاني الناصر ، جامع كلمة الإيمان ، رافع علم العدل والاحسان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، أدام الله إقباله ، وضاعف جلاله ، وصان مهجته وكمل نهاية آماله بعظمته وجلاله ..

أمر ملك الألمان وما جرى له عند ظهوره ، وذلك أنه أول ما خرج من دياره ودخل بلاد الهندكر غصبا ، وغصب ملك الهندكر<sup>(٣)</sup> بالإذعان والدخول تحت طاعته وأخذ من ماله ورجاله ما اختار ، ثم أنه دخل أرض مقدم الروم ، وفتح البلاد ونهبها وأقام بها وأخرج ملك الروم إلا أن أطاعه ، وأخذ رهائنه ، وولده وأخاه وأربعين نفراً من خلصائه ، وأخذ منه خمسين قنطاراً ذهباً ، وخمسين قنطاراً فضة وثياباً اطلس بمبلغ عظيم .

واغتصب المراكب وعاد بها إلى هذا الجانب ، وصحبته الرهائن إلى أن وصلوا حدود بلاد الملك قلج أرسلان ، ورد الرهائن ، وبقي سائر ثلاثة أيام وتركوا الأوج يلقونه بالأغنام والقر والخيل والمضائع ، قد أضلهم

(١) الخطاب وارد في ابن شداد النوادر السلطانية ص ١٠٧

(٢) قلعة الروم : هي قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة - يا وبين سيماس معجم

البلدان ص ٣٠ من ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٣) الهندكر : البحر حالي

الطمع وجمعوا جموعاً من جميع البلاد ، ووقع القتال بين التركان وبينه ، وضابقيه ثلاثة وثلاثين يوماً وهو سائر ولما قرب من قونية جمع قطب الدين ولد قلع أرسلان العساكر ، وقصده وضرب معه مضاداً عظيماً ، فظفر به ملك الألمان ، وكسره كسرة عظيمة ، وسار حتى أشرف على قونية ، فخرج إليه جموع عظيمة من المسلمين ، فردهم مكسورين وهجم على قونية بالسيف . وقتل منهم عالماً عظيماً من المسلمين والفرس ، وأقام بها خمسة أيام وطلب قلع أرسلان منه الأمان فأمنه الملك ، واستقر بينهم قاعدة أكيدة ، وأخذ الملك منه رهائن عشرين من أكابر دولته ، وأشار على الملك أن يجعل طريقه على طرسوس والمصيصة ففعل وقبل منه .

وقبل وصوله إلى هذه الديار اختاراً أوكرها ، اقتضى الحال انفاذ المملوك حاتم وصحبته ما سأل ، ومعه من الخواص جماعة للقاء الملك وجواب كتابه وكانت الوصية معهم أن يمدوا به على بلاد قلع أرسلان إن أمكن ، فلما اجتمعوا بالملك الكبير أعادوا عليه الجواب ، وعرفوا الأحوال بالانحراف ، ثم كثرت عليه العساكر والجموع وزل على شط بعض الأنهار ، وأكل خبزاً ونام ، واتبته فتاقت نفسه إلى الاستحمام في الماء البارد ففعل ذلك وخرج ، وكان من أمر الله أن تحرك عليه مرض عظيم من الماء البارد ، فكف أياً ما قلائل ومات .

وأما ابن لاون فإنه كان سائراً بلقي الملك ، فلما جرى هذا المجرى هرب الرسل من المعسكر وتقدموا إليه وأخبروه بالحال ، فدخل في بعض حصونه واحتوى هناك وأما ابن الملك ، فكان أبوه منذ توجهه إلى قصد هذه الديار ، نصب ولده الذي معه عوضه ، واستقرت القاعدة ، وبلغه

(١) أحد القبائل التركمانية التي كانت تقيم في آسيا الوسطى وراء سيحون معجم البلدان

هرب ربهل ابن لاون فانفذ واستعطفهم واحضرم وقال : إن أبى كان شيخا كبيرا ، وما قصد هذه الديار إلا لأجل حج بيت المقدس ، وأنا الذى دبرت الملك وعانيت المشاق فى هذه الطريق فن أحتاجنى وإلا قصد دياره واستعطف ابن لاون واقتضى الحال الاجتماع به ضرورة .

وبالجملة فهو فى عدد كثير ، ولقد عرض عسكره فسكران اثنين وأربعين بحفجفا (١) وأما الرجال فما يحصى عددهم ، وهم أناس متفاوتة على قصد عظيم ، وجد فى أمرهم سياسة هائلة حتى أن من جنى منهم جناية فليس له جزاء إلا أن يذبح مثل الشاه ولقد بلغهم أن بعض أكابرهم أنه جنى على غلام له وجاوز الحد فى ضربه فاجتمعت القسوس للحكم ، فاقتضى الحال والحكم العام ذبحه ؛ وشفع إلى الملك منهم خلق عظيم فلم يلتفت إلى ذلك وذبحه ، وقد حرموا الملاذ على أنفسهم حتى أن من بلغهم عنه بلوغ لذه هجره وعزروه .

كل ذلك كان حونا على بيت المقدس ولقد صح عن جمع منهم أنهم هجروا الثياب مدة طويلة وحرموها على أنفسهم ، وحرموا ما حل ولم يلبسوا إلا الحديد ، حتى أنكر عليهم الأكابر ذلك ، وهم من الصبر على الشقاء والذل والتعب فى حال عظيم .

طالع المملوك الحال ، وما يتحدد بعد ذلك يطالع به أن شاء الله تعالى .

---

بحفجفا : أى يلبسوا الخفاف وهى آلة يلبسها الإنسان أو الفرس تمنع من الحديد أو غيره  
لقوناية أثناء الحرب وهى كلمة ليست من أصل عربى القاموس المحيط .

## ملحق ٢

### ذكر ما اشتملت عليه المملكة الرومية من البلاد الإسلامية أثناء سيطرة المغول

كما ورد في بيريوس الدوادار في زبدة الفكر في تاريخ الهجرة  
بلد خللاط وأعمالها وتسمى أرمينية الكبرى وكل من تملكها يسمى شاه.  
أرمن ، ومن مدنها خللاط (١) ، وآن (٢) ، وسطان (٣) وارجيش ومامعها .

#### أرزن الروم وأعمالها (٤) :

ومن مداتها : سهر وبارت وقجهاز ، وتسمى دار الجلال .

#### مدينة التي وأعمالها (٥) :

وهي متصلة ببلاد الكرج (٦) وتخومها وهي ذات قلعة حصينة منيعة .

#### أرزنجان وأعمالها :

ومن مداتها أقشهر (٧) ودرجان وكاخ وقلعة كغرفية وما مع ذلك .

- 
- (١) قصبة أرمينية الوسطى ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٧  
(٢) آن في وادي بالقرن من الساحل بين الصلا ومدبر ومبها عين يقال لها آنى - ياقوت  
معجم البلدان ج ٢ ص ٣٩٧ .  
(٣) من البلاد أرمينية على حافة بحيرة أرجيش - أبو الفدا تقويم البلدان ص ١٩٧  
(٤) أرزن الروم آخر بلاد الروم من جهة الشرق - أبو الفدا تقويم البلدان ص ٢٨٤  
(٥) قلعة حصينة ومدينة قرب الفليس بينها وبين أرزن الروم - ياقوت : معجم البلدان  
ج ١ ص ٣٥٧  
(٦) الكرج : جورجيا حاليا .  
(٧) اق شهر : وأحيانا يقال انشار وهي نخالة قوية - الفلكشى : سبع الأشى  
ج ٤ ص ٣٢٢

### ديار بكر وأعمالها :

ومدنها المشهورة خربت (١) ومنطية وشيمسات (٢) ومشار وغيرها .

### سيواس وبلاد دافشمند :

ويسمى دار العلاء ومن أعمالها نكيسار وأماسية وتوقات وفنات وبلاد انكورية (٣) ومدينة سامسون وقلعة سنوب (٤) وكستونية (٥) وطرخلو وبرلو ، وهذه متصلة بسواحل البحر المحيط .

### قيسارية وأعمالها :

ونسكة وعراقية وبلاد أرمنك وبها ابن منقش .

### مدينة قونية وأعمالها :

وطنغزولا (٦) وأعمالها وقراحصار (٧) ودمرلو وأقصر (٨) وانطاليا والملايا (٩) .

---

(١) خربت : تعرف بحصن زياد وهي بلدة يارمينية الدغرى بالقرب من خلاط الفلقندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٢٢

(٢) شيمسات أو شيساط : هي بلدة من ديار مصر وقيل من ديار بكر في الجزيرة : الفلقندى صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١٩ .

(٣) أنكورية : أمرة حاليا .

(٤) من سواحل الروم على بحر القرم — الفلقندى صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٤٨ .

(٥) كستونية : جنوب سنوب شرق أنكورية — الفلقندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٤٨

(٦) قيسارية : كان بها مقر سلطنة السلاجقة وهي مدينة كبيرة من بلاد الروم بأقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٢١٤ .

(٧) طنغزولا : مدينة منبسط في أواسط هذه البلاد : الفلقندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٤١

(٨) قراحصار : اسم لأماكن كثيرة ومدن جليلة عاليتها بلاد الروم منها قراحصار على يوم من أنطاكية ومنها قراحصار قرب قيسارية وهي المقصودة .

أقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٣

(٩) الملايا : بلدة صغيرة في انطاليا على دجلة بحر الروم وهي على تلك البلاد في جنوب

انطاليا تنسب إلى علاء الدين علي من ملوك بني سلجوق

الفلقندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٤٧ .

### ملحق ٣

معركة ابلستين كما وردت في  
جامع التواريخ : رشيد الدين فضل الله الهمذاني  
المجلد الثاني الجزء الأول

في سنة ٦٧٤/١٢٧٥ م سار ضياء الدين وابن خطير وابن بروانه مع  
مائة رجل من ولاية الروم نحو ركن الدين البندقدار بناحية الشام  
وحرضوه على السير إلى بلاد الروم فتوجه إلى تلك البلاد مع جنود  
مجهزين في سنة ٦٧٥/١٢٧٦ . وخرجوا عن طريق جبال ابلستان  
عما يلي جبال ابلستان .

وكان قد عسكر في تلك الحدود من أمراء المغول توقون ايلكاي نويان  
وأخوه أورقتو وتوادون بن سودون من قوم سلدوس وأخو سونجاق نويان،  
ومع كل منهم عشرة آلاف جندي ، فتلاقى الجيشان في يوم الجمعة العاشر  
من ذي القعدة من السنة المذكورة الموافق الثاني عشر من شهر دأنونج ،  
من سنة د هوكار ، وكان البرد قارسا ، فترجل توقو وتودوان ونزل مع  
الجند ، وحاربوا حربا طاحنة ، ولكن جيوش المغول انهزمت بعد الظهيرة ،  
ولم ينج إلا قليل منهم .

ثم قدم البندقدار إلى قيصرية ، وأقام هناك أسبوعا وضرب السكة  
وجعل الخطبة باسمه ولقد ضاق أمر العلف على الجنود ، وكان معين الدين  
بروانه قائما على قلعة توقات فأرسل إليه البندقدار رسولا لاستدعائه  
لم يلب ندائه ، فقتل البندقدار بعض النصارى والأرمن ثم رجع . وقد  
وضعت العوائق في طريق الفرسان المصريين فترجل كثير منهم .

بعد ذلك قدم المدعو بوكداي من خدم توداون ، وشرح لآباقان  
خان ما حدث فغضب آباقان خان غضب شديد ، وسار في نفس اليوم من

دار الملك بتبريز متجها نحو بلاد الروم في شهر صفر سنة ٦٧٦/١٢٧٧ هـ كان  
الفصل ربيعاً ، فلما بلغ أبلستان وآقجة حظى بالمثل لدى السلطان غياث  
الدين مع صاحب نهر الدين الأصغراني . وعندما رأى القتل مكسدة  
أجسادهم في أبلستان بكى عليهم ، وحزن على توفو ونودان حزناً شديداً .  
وبدافع الغضب قتل طائفة من التركان الذين كانوا قد أثاروا الفتن ، كما قتل  
طائفة من أعيان الروم وأمر جنوده بأن يباشروا القتل والنهب في بعض  
بلاد الروم . وقد اشترى صاحب شمس الدين الجويني بعض الأراضي في  
المدن . وكان من جملة ما نهبوا نصف مدينة سيواس . وتشفع صاحب  
شمس الدين حتى لا يأخذ الملك العادل العامة بمجرأته الخاصة ، فوقعت  
شفاعته موقع القبول وتجاوز آباخان خانب عن ذنبهم . وقد استشهد  
نور الدين حرنكي وظهر الدين أبي هود . ثم عزم أبقاخان على السير  
نحو الشام . وكان ذلك في أشد أيام الصيف فقال الأمراء : « أن أواخر  
الحريف والشتاء أنس لتلك الحملة ، فترث لذلك السبب ، وأرسل رسولا  
إلى البندقدار على سبيل التهديد والتخويف فقال : « إنكم تنقضون بقاء  
كاللصوص وتطاردون فرساننا وطلاننا وتقتلون بعضهم ، فإذا ما بلغتنا  
الأخبار تحركنا لصدكم تفرون كاللصوص ، فإذا كنتم تريدون لقاءنا وقالنا  
فادخلوا الميدان كالرجال وثبتوا الأقدام .

تعالى لكي ترى سناني وتنظر إلى التسواء عناني  
فإن كنت جبلا فتناهر من أساسك وإن كنت حجراً فلتستقر ومكانك  
إني شاهدت المقاتلين يامن لم يسمع عواء الثعالب

وإن لم تأتي فإن جيوشنا مستعدة لقتالك في طليعة الشتاء ، وإذا امتدت  
نار غضبنا إلى بلاد الشام ، فإنها بلا ريب سوف تأتي على كل ما لكم من  
أخضر وبابس ، لأن الله الأزلي قد وهب جنكيزخان وخريته بلاد العالم .

وأدخل السراة المتمردين في ربة طاحنا وكل من يظاف أهل الإقبال تكون مخالفته دليلا على الأدبار .

وعندما وصل البندقدار إلى دمشق ، وكان قد رأى من قبل الرسول عليه السلام وقد قلده سيفاً ، جلس في ذلك الأسبوع على عرش السلطنة وحينئذ رأى الرسول مرة أخرى في المنام يقول له : رد إلينا وديعتنا واسترد منه السيف ومنحه الملك المنصور السلطان سيف الدين قلاوون المعروف بالآلاني ، فاستدعاه وقال له أحسن لأبنائي عندما تسير ملكاً . ثم توفي بمدينة دمشق في شهر ذي الحجة سنة ٦٧٦ - ١٢٧٨ ودفن في المدينة التي أقامها هناك .

ولقد عهد آباқан خان ييلاد الروم إلى الأمير قونكفورتای ، ومعه جيش كامل حتى يحافظ عليها من الأعداء ، وأمره بأن يهدم قلعة توقان وحصن كوغانية الذي كان دار مدين الدين برواته ، ثم عاد إلى الآتاغ في سنة هوکار الموافق سنة ٦٧٦/١٢٧٨ م . وقد قدم برواته إلى المعسكر خائفاً هلعاً ، فقال الأمراء أنه منهم بارتكابه ثلاثة جرائم : الأولى أنه هرب من الأعداء ، والثانية أنه لم يخبر قواد المغول على الفور بمجيء البندقدار والثالثة أنه لم يحضر سريعاً إلى الحضرة .

وصفوة القول أن الأمر قد صدر بأن يبق برواته تحت الحراسة ولما عاد الرسل من لدن البندقدار ذكروا أن البندقدار يقول : لقد اقبلت بناء على استدعاء برواته ، لأنه كان قد وعدني بأن يسلمني بلاد الروم حينما أحضر ، ولكنه لاذا بالفرار بعد أن حضرت هناك .

فلما بلغنا آباқан ذلك الكلام أمر بقتله ، فاستشهد في غرة ربيع الأول سنة ٦٧٦/١٢٧٧ م في مصيف الآتاغ على يد كوجك نوغی .



### الحملة الصليبية الثالثة

( ١١٨٩ - ١١٩٠ )

كما وردت في تاريخ أوتو البلاسقى<sup>(١)</sup>

كان الوضع بالنسبة للحملة الصليبية الثالثة يختلف عما عهدناه مع الحملات الصليبية السابقة فالعلاقات بين الأطراف في المنطقة قد تغيرت تغيرا جذريا بعد وفاة نور الدين حيث استقل صلاح الدين بمصر وتزعم حركة الجهاد ؛ وفي معركة حطين ( يوليو ١١٩٧ ) هزم الصليبيون واستولى على بيت المقدس . وكان من الطبيعي أن يثير سقوط بيت المقدس في أيدي المسلمين العالم الغربي بأجمعه والبابوية خاصة التي طالبت ملوك الغرب بالإسراع إلى نجدة المسيحيين في الشرق . فاستجاب لهذه الصرخة ونشأ رد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا وفريدريك باربروسا امبراطور ألمانيا . وكان موقف بيزنطة قد تغير تجاه الحملات لما حدث بينها وبين الصليبيين من خلافات . فمقد إسماعيل أنجليوس اتفاقا مع صلاح الدين ضد سلطان قونية ، العدو المشترك ، الذي تحالف بدوره مع فريدريك امبراطور ألمانيا ولكن قبل قدوم الحملة تم تقسيم المملكة بين أبنائه وتزوج ابنة قطب الدين ابنة صلاح الدين وبذلك لم توضع المعاهدة موضع التنفيذ .

عبر فريدريك إلى آسيا الصغرى

والآن لما كان الامبراطور الإغريقي غير قادر على مواجهة قوة فريدريك فقد استدرك ما كان قد فعله ودخل في معاهدة معه . كما قام بتهدئة الجيش بأمداده بالمؤن . وبذلك وبعد أن تصالح مع فريدريك نقله مع جيشه عبر البر<sup>(٢)</sup> بونتنس ( ٢٢ - ٢٨ مارس ١٩١٠ ) من جاليبولس . وهنا دخل فريدريك بجيشه إلى آسيا . وسار لبعض الوقت ولاقي النجاح في كل

(١) Ottó of st. Blasien trans Tatcher ( -Asource Book for  
Medieval History )

(٢) بحر مرمرة

مكان وخضع له كل شعب رومانيا (غرب آسيا الصغرى) . وعندما اقترب  
الامبراطور من قونية نفى السلطان معاهدته وأمر بأن تحمل كل المؤن  
إلى القلعة ومثل البرابرة والسكتيين رفض أن يبيع المؤن للجيش . وقام  
الجيش من الجوع واضطروا لأن يأكلوا لحوم البغال والحمير أو الخيول .  
بالإضافة إلى ذلك فقد هاجم الوثنيون المؤخرة وأولئك الذين خرجوا  
لرعى دوابهم قتلوا بعضهم . وبهذه الطريقة عطلوا الجيش وأرادت قواتنا  
أن تواجه البدو في معركة مفتوحة بل خرجوا أحيانا للمعركة ولكن  
البدو كانوا يفسحون دائما ويرفضون الاشتباك في معركة شاملة . والآن  
رغم أن الجيش كان مستاء من هذه الطريقة وكان يقامى من الجوع  
والحاجة إلا أن الامبراطور حافظا على المعاهدة مع السلطان ، منع جيشه  
من تدمير ونهب البلد وذلك لأنه اعتقد أن الناس كانوا يهاجمونه بدون إذن  
السلطان . ولكنه حين علم من الرسل أن السلطان قد غدر به وأمر الناس  
بمهاجته غضب وأعلن أن السلطان عدو وسمح للجيش بالإنتقام .

فدمر قليقيه وبامفيليا وفيرجيا بالتذبيح والنهب والنار والسيوف بينما كان  
الجيش الوثني ينسحب باستمرار من أمامهم . واتجه الجيش الآن نحو قونية ، التي  
كانت عاصمة لقلقية والمقر الرئيسى للسلطان ، وأخذها بسرعة ( ١٨ مايو ١١٩٠ ) .  
وكانت مدينة مودحة بالسكان ومحصنة جيدا بأسوار قوية وأبراج  
عالية وفي وسطها قلعة حصينة . كما كانت مزودة جيدا بالمؤن ضد أى  
حصار بينما جرد الريف من حولها من المؤن وذلك حتى إذا جاء الامبراطور  
فإنه سوف لا يستمر كثيرا في حفظ جيش هناك .

ولكن الله محاجوهم حتى أن النتيجة كانت عكس ما ابتغوه . حيث أن  
الامبراطور هاجم المدينة فجأة بعنف شديد قبل الساعة الثالثة من اليوم ( الساعة  
الثالثة بعد الظهر ) . ووضع السيوف في كثيرين من الجنسين وكل الأعمار .  
ولجأ السلطان مع كثيرين من نسلته إلى داخل القاعة التي بدأ الامبراطور

في حصارها في نفس اليوم . والآن ، رأى السلطان أنه لا يوجد شيء يمكن أن يصد قوة الألمان وأن أولئك ، مؤيدين بقوة إلهية فقد احتقروا الموت وبدون تردد هاجموا كل شيء وقف في طريقهم . ولذلك بعد أن تعلم من التجربة الخطيرة وظن أنه من الضروري أن يطلب السلم من الإمبراطور وأعطى رهائن . وبعد عقد السلام أعيدت مدينة قونية وملكته إليه .

### سقوط القسطنطينية كما ورد في كتاب كريستفولوس « تاريخ محمد الفاتح »

كريستفولس مواطن إغريق من جزيرة أمبروز شمال البحر الإيجهي دخل في خدمة محمد الفاتح بعد سقوط القسطنطينية ونولى ولاية ذلك الإقليم وكتب تاريخاً لمحمد الفاتح شمل السنوات السبع العشر الأولى من حكمه ولقد لقي كريستفولس هجوماً من مواطنيه الإغريق المعاصرين له والمحدثين لأنه جعل من الرجل الذي احتل بلاده بطلاً ولكن المؤرخون الغربيون أنصفوه Robert College ; Van Millingen فعدوا مؤلفاته أفضل من مؤلفات يونانية أخرى كفرانتين وخالكنديولنز ودوكامس ، والمخطوطة الأصلية للكتاب اكتشفت في ١٨٦٥ وموجودة بمكتبة متحف سيريخا ليو بتركيا (١) .

### الخطوة والقرار

رأى السلطان محمد أن بعد عدة حركته التالية وهي الاستيلاء على الميناء وفتح القرن (٢) بسلاحه لاستخدام سفنه ، ولكي جميع جموده

Kritovoulos: History of Mehmed the Conqueror trans. Charles (١)  
Riggs « princeton 1954 »

تكتب محمد وفق النطق التركي .

(٢) القرن الذي . في الشهور الأخيرة في سنة ١٤٥٢ كان محمد قد أعد الخطوة النهائية للاستيلاء على القسطنطينية وأرسل السلطان رسالة إلى المدينة يطلب فيها الاستسلام مقابل تأمينهم على أنفسهم ، ولكن الإمبراطور وأهل القسطنطينية لم ينفوا بوعود محمد وبدأ محمد

لاقتحامه بامت بالقشل ، واتخذ قراراً حكيم خليف بذلكه وقوته ونجح في تحقيق غرضه ووضع نهاية لهذه الأمور .

أمر رؤساء المراكب بأقامة طريق منحدر من خارج البحر من ساحل الميناء إلى مكان يسمى ديلكيون وإن يغطي بكتل الخشب . وهذا الطريق مغطى بالماء ويمتد إلى المنطقة الداخلية ، وانتهى من الإعداد بسبب العدد الكبير من العمال الذين أحضروهم وأحضر عدداً كبيراً من السفن ووضع تحتها أوتاد تحمل السفن ووضع دعامات على كل جانب من الجوانب وربطوها بالحبال . وربط دعامات سلكية في الجوانب وشد بها السفن عن طريق الجند أو بواسطة آلات .

وسحبوا السفن ببطء وتبعها الفرسان . وظهرت السفن بالجند على الأرض كما كانت في البحر وبعضها رفع أشرعتة كما لو كان سيبحر وبعض الجند جلس على المقاعد وحمل سلاحه وسهامه كما لو كانت ستطلق والرؤساء يصدرون أوامرهم للرماة ، وحملت السفن في الأرض كما تحمل في الماء . بعضها جذب إلى قمة التل في حين الباقي أنزلوا إلى الميساء وبدؤا بإحراقهم بالنفوساء .

### الاستيلاء على المدينة

وكما يقال قادم بنفسه ، وارتفع صياحهم في المعر ، بهراخ خفيف وذهبوا رأساً إلى السلطان عند السياج وبعد قتال عنيف طردوا الرومان من هناك وتسلفوا السياج بالقوة ، وأسقطوا بعضاً من أعدائهم من السور الكبير والسياج في الفجوة العميقة والتي من الصعب الخروج منها . وقتلهم هناك والباقي طردوهم إلى البوابة

== بالهجوم البحري ولكنه فشل وذلك م فسكر في الاستيلاء على القرن الدمى وقرر نقل قوته وسفنه عبر الأرض التي بها القرن الدمى عبر ربوة ترتفع عن البحر مائة قدم ، وبفضل ماديته من دوات ومعدات شق طريقه إلى يودي وروعت سفن من البحر إلى الشاطئ بواسطة أوتاد جرأها نيران إلى الجانب الآخر .

### وفاة الامبراطور قسطنطين

وفتحوا البوابة في السور الكبير وذهبوا رأساً إلى السياج وكانت معركة كبرى قتل فيها من تمرکز هناك ، فقد هاجمهم المشاة من المسلمين ولم يتعرض الآخرين في التكوينات المنتظمة والذين خرجوا من أما كنهم بسبب الصباح لنفس المصير ، وسقط الإمبراطور قسطنطين وكل من كان معه بعد صراع عظيم .

واندفع المشاة خلال البوابة إلى داخل المدينة وبعضهم إندفع خلال الثغرة إلى السور الكبير وإندفع الباقون خلال الثغرة وأثاروا ضجيجاً خلال المدينة ، ووقف السلطان على الأسوار وكانت الشعارات والأعلام مرفوعة وراقب السلطان ما يحدث .

### الهروب وقتل الكثير

وحدثت مذبحه كبرى لأولئك الذين كانوا هناك بعضهم كان في الطريق حيث تركوا منازلهم واندفعوا إلى مكان الضوضاء فسقطوا تحت سيوف الجنود ، والبعض الآخر كان في منازلهم وسقطوا ضحايا لوحشية الانكشارية والجنود الآخرين بلا سبب ولا جريرة .

وبعض الآخر قاوم إعتدداً على شجاعتهم والبعض الآخر هرب ولجأ إلى الكنائس واحتسى بها رجال ونساء وأطفال ولم يعطوا ماوى ، وهجم عليهم الجنود بلا رحمة دافعهم لذلك صعوبة وطول الحصار ، وكان بعض الأغنياء من الشعب قد سبهم واعنهم أثناء الحصار وعامة قتل الكثير لا تارة الفرز في المدينة والرعب واستبعدهم بالمذابح ولما إكتفوا من القتل واخذوا المدينة للعبودية عاد بعضهم إلى مستقرهم لتقسيم الغنائم والأفراد ، والبعض الآخر ذهب لسرقة الكنائس ، والبعض إقتصر في المنازل العادية للأهالي يسرق ويقتحم ويمضى ، ويسبوا الرجال والنساء والأطفال كباراً وصغاراً رهباناً وفسساً بإختصار أفراد من كل الأعمار وكل الطبقات .

## المراجع العربية

- ابن تغرى بردى : ( جمال الدين أبو المحاسن يوسف ) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ( مطبعة دار الكتب ١٩٣٩ )
- ابن العبرى : ( غريغوريوس الماطى ) تاريخ مختصر الدول ( بيروت ١٩٥٨ )
- ابن حوقل : المسالك والممالك ( ليدن ١٨٧٠ )
- ابن حجر العسقلانى : ( شهاب الدين بن على )
- أقباء القمر بأقباء العمر جزءان ( مخطوط دار الكتب المصرية )
- ابن شداد : ( القاضى بها الدين ) النوادى السلطانية والمحاسن اليوسفية
- ابن العديم : ( كمال الدين عمر بن أحمد ) زبدة الحلب فى تاريخ حلب ٢ جزء ( دمشق ١٩٤٥ — ١٩٥١ ) نشرها سامى الدهان
- ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ( بيروت ١٩٠٨ )
- ابن واصل . ( جمال الدين محمد بن سالم ) مفرج الكروب فى أخبار بن أيوب القاهرة ١٩٦٠ نشره وحققه جمال الدين الشيبان حتى نهاية سنة ٦٢٥ هـ فى ثلاث أجزاء
- ابن الأثير : ( عز الدين أيوب الحسنى على الجزوى )
- الكامل فى التاريخ ١٢ جزءا ( القاهرة ١٣٥٧ )
- أبى أياس : ( محمد بن أحمد ) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ( بولاق القاهرة ١٣١١ هـ )
- أبو شامة : ( شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسى ) الروضتين فى أخبار الدولتين ( القاهرة ١٢٨٧ هـ )
- ذيل الروضتين ( القاهرة ١٩٤٧ )
- أبو القدا : ( الملك المؤيد حماد الدين اسماعيل ) المختصر فى أخبار البشر المعروف بتاريخ أبى القدا ( القاهرة ١٢٣٥ هـ )

- الأصفهاني : (عماد الدين محمد)  
تاريخ دولة آل سلجوق ٢ جزء (القاهرة ١٣١٨ هـ)  
الأنطاكي : (يحيى بن سعيد)  
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (بيروت ١٩٠٩)  
أسد رستم : الروم (بيروت)  
بارتولد : (تاريخ الترك في آسيا الوسطى) ترجمة الدكتور أحمد المسعيد  
(القاهرة ١٩٥٨)  
الباز العري : (الدولة البيزنطية) (القاهرة ١٩٦٠)  
البنداري : (الفتح بن علي) تاريخ دولة آل سلجوق (القاهرة ١٩٠٠)  
البلاذري : فتوح البلدان (القاهرة ١٩٥٥)  
البلخي : كتاب البدء والتاريخ (باريس ١٩٥٧)  
بيبرس الدوادار : (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة)  
الجزء التاسع تحقيق زبيدة عطا خطوط محقق لم ينشر  
البهيقي : (تاريخ البيهقي) ترجمة الدكتور يحيى الخشاب (القاهرة ١٩٥٦)  
جيبون : (أدوارد) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ٢ أجزاء  
(دار الكتاب العربي ١٩٦٩) ترجمة محمد علي أبو درة  
حسن أحمد محمود ، وأحمد إبراهيم الشريف :  
العالم الإسلامي في العصر المماليكي (دار الفكر العربي ١٩٧٢)  
الحسيني (ناصر بن علي) : أخبار الدولة السلجوقية (لاهور ١٩٢٣ م)  
الراوندي : (محمد بن علي بن سليمان) راحة الصدور وآية السرون في تاريخ  
الدولة السلجوقية (القاهرة ١٩٦٠)  
زامباور (أدوارد) : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ترجمة زكي حسن  
وحسن محمود (القاهرة ١٩٥١)  
مسعود عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ٢ جزء (القاهرة ١٩٦٢)  
مصر في عصر دولة المماليك البحرية (القاهرة ١٩٥٩)

- عبد النعم حسنين : سلاحيمة إيران والمراق ( القاهرة ١٩٥٩ )
- الطبرى : ( محمد بن جرير ) تاريخ الأمم والملوك ( القاهرة ١٧٣٦ هـ )
- قامبرى : ( تاريخ بخارى ) ترجمة الساداني ( القاهرة ١٩٦٥ )
- قواد عبد المعطى الصياد : ( المغول في التاريخ ) ( القاهرة ١٩٦٠ )
- القرمانى ( أبو العباس أحمد ) أخبار الدول وآثار الأول ( بغداد ١٢٨٢ هـ )
- القلقشندى : ( أبو العباس أحمد ) أصبح الأعظم في صناعة الإنشا ٢٤ جزء -  
القاهرة ١٩١٣ .
- كلارى : ( روبرت ) فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ترجمة حسن حبشى  
( القاهرة ١٩٦٤ )
- المسعودى : ( على بن الحسين بن على المسعودى ) مزوج الذهب ومعادن  
الجواهر ٤ أجزاء ( القاهرة ١٢٨٢ هـ )
- المقريزى : ( آقى الدين أحمد بن على )  
السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٦
- الترشغى : ( أبو بكر محمد بن جعفر ) تاريخ بخارى ( القاهرة ١٩٦٢ )
- الهمداني : ( رشيد الدين فضل الله ) جامع التواريخ ( تاريخ المغول ) نقله من  
الفارسية إلى العربية محمد صادق نشأت وقواد الصياد القاهرة ١٩٦٠
- ياقوت : ( شهاب الدين أبو عبد الله الحموى ) معجم البلدان ٥ مجلدات -  
( القاهرة ١٣٥٩ هـ )
- اليقوتى : تاريخ اليقوتى ( بيروت ١٩٦٠ )
- المقدسى : ( شمس الدين أبو عبد الله ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم  
( لندن ١٩٧٦ )



## المراجع الأوروبية

- Anna Comenena** : The Alexiad trans. E.A.S. Dawes .  
(London 1967)
- Baker James** : Turkey in Europe (London 1950)
- Baynes, Moss** : Byzantium (Oxford 1962)
- Bernard, Lewis** : Foreword and Acknowledgements outline of Islamic History; . Thames and Hudson (London 1976)
- Braud** : Charles. Saladin and Byzantium "speculum 1945 Vol XX "
- Brooks, E.W.** : The Arab in Asia Minor Arabic Lists of the Byzantine themes. Journal of Hellenic Studies Vol XXI
- Bury** : History of the later Roman Empire 2 Vols (New York 1958)
- Cahen (c)** : La Syrie du Nord a l'epoque des croisades (Paris 1940)
- La Campagne de Manzikert d'apres les sources musulmans  
(Byzantion IX 1934)
- Cambridge Medieval History (Camb 1957)
- The Cambridge History of Islam 2 Vols (Camb. 1970)
- Chalandon** : Histoire de la premiere croisade (Paris 1925)
- Les Comnenes 2 Vol (Paris 1900—1912)
- Essai sur le Regne d'Alexis Comnene (Paris 1900)
- Constantine VII De administrando imperio trans Hyenkins  
(Buctapest 1949)
- Constance Head** : Un paleologue inconnu (Byzantion XLI 1971)
- Diehl Charles** : History of the Byzantine Empire (NY 1945)
- Dunlop** : The History of the Jewish Khazar (Princeton 1954)
- Encyclopedia of Islam (London 1913)

- Gillard Caston** : The Turks and Europe (London)
- Grousset** : Histoire de l'Arménie (Paris 1947)
- Histoire des Croisades 3 Vols (Paris 1936)
- Hearsey** : "John" City of Constantine (Great Britain 1963)
- Howorth Henry** : History of the Mongols (London 1880)
- Hussey, J.** : The Byzantine World (N.Y. 1957)
- E.M. Janssens** : Le pays de Trebizonde (Byzantion XXXVI 1966)
- John Frana** : The Crisis of the First Crusade to the departure from Arga (Byzantion XXXVI 1966)
- Kritovoulos** : History of the Mehmed the Conqueror trans Charlie Triggs (Princeton 1954)
- A. Lalou** : The provisioning of Constantinople During the winter of 1306—1307 (Byzantion Tome XXXVII 1967)
- L'aurent J.** : Byzance et les Turcs seljoukides dans l'Asie (Paris 1919)
- Lemerle P.** : Invasions et emigrations dans les Balkans depuis le fin de l'époque Romaine
- Michael Psellus** : Chronographia 2 Vols trans Sewter. (London 1931)
- Miller William** : Trebizond the Last Greek Empire (London 1920)
- Essays of the Latin Orient
- Nicetas Choniates** : History "Bonn 1835 (Camb 1921—1925)
- Norman Itzkowitz** : The Ottoman Empire in the World of Islam (Thames and Hudson) (London 1976)
- Ostrogorsky** : Hist. of the Byzantine State Trans. by Joan Hussey (Oxford 1954)
- D'Ohsson** : Hist. des Mongols 4 Vols. Amsterdam (1852)

**A. Papa Daks :** Gennadius II and Mehmet the Conqueror  
(Byzantion XXXVI 1966)

**Phrantzes :** Chronicon Maius trans Loenertz. (1940)

**Ramnaud A :** L'Empire Grec audixime siecle. (Paris 1870)

Etudes sur l'histoire byzantine 1912

**Ramsay W. M :** Historical Geography of Asia Minor (London 1890)

**Runleman S. :** A History of the Crusades 3 Vols. (Camb. 1954)

The Fall of Constantinople. (Camb)

Recueil des Historiens des Croisades Publ. Academie des  
Inscriptions et Bells Letters. (Paris, 1841—1905)

**Setton :** A Hist. of the Crusades. 2 Vols. (Philadelphia)

**Stevenson :** The Crusader in the East (Camb 1907)

**Vasiliev (A).** The Byzantine Empire. (Madison 1952)

**Villehardouin :** La Conquete de constantinople trans. P Charlot  
(Paris 1939)

The Foundation of Empire of Trebizond speculum Journal of  
Medieval Studies Vol. XI.

**William of Tyre :** A History of Deeds Done Beyond the Sea  
(Trans. Babcock krey 2 Vols. (Columbia 1943)

**Wittek. P. :** Deux chapitres de l'histoire des Turcs de Roum.  
" Byzantion XI 1936)





تعليق جميع منشوراتنا من  
مؤسسة

## دار الكتاب الحديث

للطببع والنشر والتوزيع

الكويت شارع فهد السالم عمارة المنوق الكبير  
بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضى  
ت : ٤٣٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤